صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

تشرين الاول و تشرين الثاني
١٩٥٩
العددان الخامس والسادس
السنة الثانية

التيارات الادبية في قلب الجزيرة العربية

بقلم : علي شلش

كنا الى عهد قريب كما قال شوقي :

ويجمعنا اذا اختلفت بلاد　　بيان غير مختلف ونطق

ذلك اننا ـ نحن العرب ـ عشنا فترة طويلة من تاريخنا تفصلنا حدود اقامها ـ وهماً ـ دخيل غريب • أما ماكان يجمعنا حقيقة فهو ذلك الادب الذي ترعرع ومد دوحته، من قلب الجزيرة ، فغمر مساحة شاسعة ، وطاف من الخليج الى المحيط نابعا منا متوجها الينا ، بل تعدى هذه الحدود ايضا فعبر المحيط الى الارض الجديدة •

وبالرغم عن الاعاصير والانواء التي واجهت وطننا الكبير في عصور متفرقة الا ان هـذا الادب ظل صلب العود ، عربيا صورة ومادة ، داعيا للوحـدة الكبرى ، وبالجملة كان غذاء لوجداننا ودافعا لنا •

ان المؤرخ لتطور الادب العربي خلال الاربعة عشر قرنا الماضية لابد أن تطالعه حقيقة هامة هي بمثابة المشعل الذي ينير الطريق • ذلك أن هذا التطور الذي حققه الادب العربي كان قائما على ما يمكن ان نسميه بالنقلات الهادئة ان جاز هذا التعبير • فهو تطور هادىء سلمي لم يعرف المفاجآت • وهذه النقلات الهادئة التي سميناها تداولتها اجزاء الوطن العربي الكبير على اختلافها ، فكانت تخبو في جزء وتنهض في آخر • فعندما طلع القرن الرابع الهجري كان الادب قد انتقل الى الشام والعراق ، وهجر مسقط رأسه في الجزيرة العربية بعد أن استوى عوده • غير أن بداية القرن الرابع كانت قد سجلت حقيقة هامة • ذلك ان الصلة الادبية بين الجزيـرة وبين بقيـة اجزاء الوطن ، انقطعت ، أو كادت تنقطع • وهكذا الحـال بالنسبة لمصر والمغرب ، اذ تنقل الادب فيهما فخبا في عصر وازدهر في آخر • وبين موات في جزء وانتعاش في آخـر عاش أدبنا العربي طوال قرون كثيرة •

ولئن كان هناك ثمة انقطاع صلة بين الجزيرة وبين مراكز الحضارة العربية ، فالثابت هنا ان الابداع الادبي لم ينقطع بل استمر وكان بين الاعراب شعراء وخطبـاء وقصاص ورواة • الا ان ابداعاتهم لم تعرفها البصـرة والكوفة وبغداد ولم تكن مدونة حتى يسهل نقلها ، وانما عاشت في الذاكرة تنتقل بين الرواة والحفاظ وتنتشـر أحيانا في الصحراء فلا تبين •

ويلح علينا السؤال : لقد ولد أدبنا في حضن الصحراء ثم تنقل بعد هذا فعبر الصحراء الى أودية خصيبة • ومضت قرون وقرون كان ادب الجزيرة خلالها ـ من القـرون الوسطى حتى مطلع القرن العشرين ـ تقليدا لنظرائه في اجزاء اخرى كالشام أو مصر • اذن كيف حال الادب

الحديث هناك : متى بدأ ، ما هي ملامحه ومدارسه ، ما هي مشكلاته والتيارات التي تدفعه ؟

ذلك ما حاول الاجابة عنه الاستاذ عبد الله عبدالجبار في كتابه الاخير : « التيارات الادبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية » .

أما قلب الجزيرة فهو المعروف حاليا باسم المملكة السعودية ، وهو يتكون جغرافيا من اقاليم اربعة هي : الحجاز ، نجد ، عسير ، الاحساء .

وأما الكتاب الذي تقدمه هنا فهومجموعةمحاضرات ألقاها المؤلف على طلبة المعهد العالي للدراسات العربية ويقع في ٣٧٦ صفحةمن القطع الكبير ، مقسما الىقسمين: أولهما يحتوي بابين خصص الاول للحديث عن جغرافية قلب الجزيرة من تضاريس ومناخ وثروة ومواصلات . والثاني للحديث عن حاضر قلب الجزيرةوتاريخهالحديث وسكانه .

والقسم الثاني من الكتاب ، وهو يحمل عنوانه ، مقسم الى سبعة ابواب تتناول بالترتيب : ميلاد الادب الحديث في قلب الجزيرة والعوامل المؤثرة فيه وأثر البيئة في الشعر وما فيه من رمزية خاصة ثم حديث مسهب عن التيارات الادبية وأثرها في الشعر .

نعود الى البداية بعد هذا ، لنصحب المؤلففي رحلته. ففي المقدمة يشير الاستاذ عبد الجبار الى ان القسم الاول كان تحقيقا لرغبة المعهد في دراسة قلب الجزيرة جغرافيا واقتصاديا لتتم الفائدة بالنسبة للطلاب .

وهذا بلاشك جهد طيب في هذا الخصوص . اذ اننا احوج ما نكون الى تمهيد مسهب كهذا الذي قدمه المؤلف . غير انني كنت افضل أن يكون هذا القسم مستقلا مفردا ، اذ ان الدراسة الجغرافية محلها كتاب للجغرافيا لا الادب . على ان احتمال القاء اللوم لا اجده هنا واقعا على المؤلف بل على المعهد الذي اختار ان يطبع الكتاب بشكله الحالي . والامربالنسبةللقارىءاختياري. فله أن يقرأ هذا القسم الذي تتجاوز صفحاته المئة ، وله أن يتغاضى عنه . وهو اخيرا موضوع فرعي مستقل كما انه لا يمس الموضوع الاساسي بشكل حاسم .

أما الموضوع الاساسي الذي خرج من اجله الكتاب فهو دراسة لتيارات الادبية هناك .. وبالتالي فهو موضوع مناقشتنا هنا .

خصص المؤلف القسم الثاني ، أو الكتاب نفسه في رأيي ، للحديث عن التيارات الادبية كما قلنا . فجعل الباب الاول من هذا القسم للحديث عن ميلاد الادب الحديث في قلب الجزيرة . وهو يؤرخلهذا الميلادبالثورة العربية عام ١٩١٦ ، أما قبل عام ١٩١٦ فقد كان الادب هناك أبان العهد العثماني واقعا تحت سيطرة الركاكة والغثاثة والتقليد والعقم فيما عدا بعض الارهاصات التي سبقت الميلاد مثل اشعار ابراهيم الاسكوبي التي عدت وقتها فتحا جديدا في الادب الحجازي ، وبالرغم من الموجة التقليدية التي غمرت شعر الاسكوبي الا انه كان وطنيا يغار على بلاده .

وعندما انطلقت الثورة انطلقت معها روح جديدة تختلف كثيرا عن سابقات لها .. انطلق جيل كامل من الشعراء والادباء تبنى الثورة وراح يغذيها ويضرمها بابداعاته .. ذلك هو الرعيل الاول من الشعراء فيالادب الحجازي الحديث .

ومن هناك انطلق صوت فؤاد الخطيبيجلجلمدويا:

ايه بني العرب الاحرار ان لكم
فجرا أطل على الاكوان مبتسما
من ذلك البيت من تلك البطاحعلى
تلك الطريق مشت أجدادكم قدما
لستم بينهم ولستم من سلالتهم
ان لم يكن سعيكم منسعيهم أمما
الى الشآم الى ارض العراق الى
ارضالجزيرةسيرواواحملوا العلما

وتغلغلت هذه الروح الثورية في النفوس وربطت الجيل اللاحق بعجلة المستقبل وعمقت من احساساته . وكان للثورة العربية اثر كبير في شعرهم . ويقف على رأس هذا الجيل أو الرعيل الاول كما يسميه المؤلف ، شعراء مثل : محمد سرور الصبان ، عبد الوهاب آشي ، عبيد مدني ، محمد صبحي ، محمد حسن عواد . وقد حمل هذا الجيل على عاتقه عبء النهوض بالشعر بعد كبوته ، كما استفاد افراده بالمدارس المجددة في الوطن

العربي وقتذاك كمدرسة أبوللو والمهجر واتجاهات التجديد في القاهرة في الثلث الاول من القرن الحالي .

وهذه الفترة التي كانت مهدا احتضن الادب الحديث يقدرها المؤلف بعشر سنوات تقع بين عامي ١٣٣٤ ، ١٣٤٤ هجرية . أي منذ اكثر من ثلاثين عاما . ويشير المؤلف الى ان الادب الحديث يتعين بشكل بارز في اقليم الحجاز دون غيره من الاقاليم الثلاثة التي حفلت وقتها بالتقليد والجمود ولم تتطور الا بعد ذلك حين « اتصل الجيل الجديد من ابناء نجد وعسير والاحساء بمدارس الحجاز» أو الارتحال الى الشام والعراق ومصر .

ثم يحدثنا الاستاذ عبد الجبار في الباب الثاني من هذا القسم العوامل المؤثرة في الادب كالصحافة والطباعة والاذاعة وقد عرض لها تاريخيا وتتبع اطوارها . ويتبين لنا ان عدد الصحف هناك يبلغ ٦ صحف ، ٥ مجلات . أما المطابع فيبلغ عددها ١٧ دارا للطباعة موزعة بين جدة ومكة والدمام والظهران والمدينة والرياض . وهذه الصحف تحمل النتاج الادبي هناك رغم الرقابة المشددة التي تصل احيانا الى حد التعسف . أما الاذاعة التي تأسست عام ١٩٤٩ فتهتم بالامور الجدية فقط . ويتطرق الحديث الى التعليم فنجده متخلفا أشد التخلف اذ يبلغ مجموع الطلاب في مدارس المملكة ٦٥ ألف طالب بينما يبلغ عدد السكان ستة ملايين نسمة .

كما يتحدث المؤلف في هذا الباب أيضا عن الرقابة والمنتديات الادبية فيقول في مطلع حديثه : « للرقيب في قلب الجزيرة قصة شائعة بطرائفها ومفارقاتها ومضحكاتها ومبكياتها » ويورد عددا من الامثلة على تعسف الرقابة وجمودها ورجعيتها منها أن أديبا أورد في مقال له عبارة « شاءت الطبيعة » ففوجيء بثورة الرقابة ، اذ كيف يكتب : « شاءت الطبيعة » وهي لا تشاء ولا تملك أن تتعدى على مشيئة الله وتفرده . وما كتب اذن كفر والحاد ولا بد من عقاب الكافر الملحد بالسجن . وفعلا سجن الكاتب شهرا . ويستطرد الاستاذ عبد الجبار قائلا : « وكلمة الطبيعة في الجزيرة كلمة مجرمة أثيمة منبوذة تجدها مطموسة من جميع كتب الطبيعة ... أما الاسم المختار لهذه المادة فهو : سنن الكائنات » .

ويعرج المؤلف على المنتديات الادبية فلا يكاد يتبين شيئا من هذا القبيل في الجزيرة العربية . ويعرض لتجربة نادي الاسعاف الادبي الذي أغلق منذ عشرين عاما بسبب محاضرة حول « الرجولة عماد الخلق الفاضل » .. وينتهي المؤلف الى النتيجة وهي : « أننا سنظل كما ظللنا من قبل والى أمد مجهول بلا منتديات أدبية أو ثقافية أو اجتماعية » .

والحقيققة أن المؤلف قد بذل جهدا كبيرا في هذا الباب الذي عرضنا له بايجاز اذ كشف النقاب بصراحة عن الاتجاهات المتخلفة التي تتحكم في حدية الرأي العام ومكوناته ، وهاجم المظاهر الرجعية الفاسدة ودعا الى اصلاحها . والواقع أن هذه الامور التي تعرض لها الكاتب تشكل جانبا خطيرا من مأساة الحرية في هذا الجزء العزيز من وطننا. وما يستطيع أحد أن ينكر الدور الذي يمكن أن يؤديه اصلاحها .

وفي باب تال يتحدث الكاتب عن أثر **البيئة في** شعر الجزيرة وهذه تتبدى أكثر في الشعر الشعبي الذي يبدعه كثيرون من شعراء الحجاز . كما تتبدى في الشعر بشكل عام فتجد الربع والشفا وشامة وطفيل والدارة وغير ذلك من الالفاظ المحلية الخاصة بجوار التقاليد والملامح العربية كالكرم والاعتزاز بالديار والعفاف .. الخ .

أما الفصل الرابع فيناقش الكاتب مشكلة على جانب كبير من الاهمية وهي « الرمزية الخاصة في أدب الجزيرة » فيقول في مطلعه : « ان فلسفة الحكم الخاصة التي يسير في خفارتها الادب العربي الحديث في قلب الجزيرة قد أصابت هذا الادب بالعقد والمركبات النفسية ... ولا معدى لأدب كظيم كهذا من أن يطرق الدروب الملتوية ويتسلل في السراديب الخافية ليعبر بصورة أو بأخرى عما يعانيه من كبت وحرمان » ومن ثم تصبح الخمر في الشعر هي الحرية وصياح الديك نذير ثورة وطلوع الفجر فجر الحرية كما في هذين البيتين للشاعر حمزة شحاته :

ان رمت ما يسليك فعاقر الخمرا

وارقب صياح الديك واستقبل الفجرا

كذلك قد يعبر الشاعر عن مأساة قرية في دياره فيصب تجربته من خلال قرية جزائرية مثلا تعاني من الاستعمار كما حدث في ديوان « النار والزيتون » للشاعر عبد الله عبد الوهاب .

والواقع أن ظروفا كهذه لا تشجع الرمزية فحسب وانما تعمقها وقد تطيح بها فتتحول الى سير بالية أو دادائية تضرب في التيه . غير أنني لاحظت أن الرمزية في شعر الحجازيين رمزية موحية تخدم الواقع أو هي نوع من الواقعية النقدية صيغت بشكل رمزي يبعد معناها الحقيقي قليلا .

وأخيرا يأتي الكلام عن التيارات الادبية وأثرها في الشعر . ويفرد لها المؤلف ثلاثة أبواب ، يبدأ أولها بالحديث عن التيار الكلاسيكي الذي يقسمه المؤلف الى فروع ثلاثة هي :

١ ـ كلاسيكية ميتة وتتميز كما يقول الكاتب بالتقليد والتعميم والتعقيل والمبالغة تختفي بعدها ذات الشاعر نهائيا.ومن شعراء هذه المدرسة : علي السنوسي وسليمان بن سحمان .

٢ ـ كلاسيكية بين بين . ولا يبين المؤلف مميزات هذه المدرسة فيما عدا تطبيقه على الشاعر أحمد الغزاوي الذي يرى فيه الخطابية المجلجلة واقتسار القوافي ونضوب العاطفة واسعاف الخيال وسيادة الاتباعية . وهذه كلها لا أراها مبررا لتصنيف الكلاسيكية الى ميتة وبين بين .

٣ ـ كلاسيكية حية . ويتميز شعراء هذه المدرسة بالموهبة القوية والرصيد الشعري والصياغة المتقنة والمحافظة وتناول الاغراض التقليدية والاتزان ونضوب العاطفة . ويقول المؤلف : « وبالنظر في تلك الخصائص يلاحظ أننا اتخذنا « الموهبة » والمحافظة على عمود الشعر هما الاساس المشترك لشعراء الكلاسيكية الحية الذين يتفاوتون في شاعريتهم » .

والواقع أن « المحافظة على عمود الشعر » هي أساس مشترك للكلاسيكية العربية لا فرق في ذلك الحية أو الميتة أما الموهبة فهي أيضا أساس مشترك لكل فن واذا جاز لنا أن ندرج أصحاب الكلاسيكية الميتة في مدرسة معينة فلسنا نجد سوى مدرسة النظامين وهي تتميز بالضحالة وقصور الادوات والثقافة الفنية لدى الشاعر .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى التيار الرومانسي فيعرض لعوامل نشأته في أدب الجزيرة وأهمها القلق والاضطراب والمزاج الانطوائي والمدارس الرومانسية خارج الجزيرة وأخيرا الصوفية الحالمة .. ثم يناقش خصائص الرومانسية المعروفة من خلال النماذج الشعرية لشعراء حجازيين أمثال : عبد العزيز الرفاعي وحسين سرحان والغلالي وقنديل وسعيد المسلم ومحمد حسن تقي والعواد وحامد دمنهوري وغيرهم .

وأخيرا يأتي التيار الواقعي فيمهد الكاتب لمناقشته بعرض لمفهوم الواقعية واتجاهاتها في الشرق والغرب الى أن ينتهي الى خصائص الشعر الواقعي وأهمها انكار الهروب والانطواء أي رفض الدعاوى الرومانسية ، وكذلك الارتباط بالارض والواقع والتفاؤل والبناء والتطور والانسان . ويعرض بعد ذلك لاربعة اتجاهات تنبع من التيار الواقعي أو الشعر الواقعي وهي :

١ ـ الشعر الاجتماعي القائم على تصوير الواقع ونقده ومن ممثليه : ماجد الحسيني وحسن فقي وعبد السلام هاشم حافظ والعواد والعطار وخراز وأحمد العربي ، وهؤلاء اتجهوا الى نقد أسلوب الحياة القائم حولهم وصوروا ملامح هذه الحياة بكل ما فيها من تناقضات .

٢ ـ الشعر الثوري القائم على نقد الواقع أيضا بالاضافة الى التمرد والثورة عليه ومن ممثليه أحمد عبد الله فاسي وحمزة شحاته وعلي حسن غسال . كما زاوج هؤلاء بين الرومانسية والواقعية واستفادوا بخبرات الآخرين في هذا المجال .

٣ ـ الشعر الوطني أي المحلى المرتبط بقضايا الوطن والشعب ومن ممثليه : أحمد قنديل وحمزة شحاته وصالح المساعد وياسين علاف .

٤ ـ الشعر القومي أي المرتبط بقضايا الوطن الكبير والقومية . وممن برز في هذا اللون الشعراء : أحمد قنديل وعبد الله بلخير وطاهر زمخشري وسعيد المسلم

وابراهيم فودة وعبد الله عبد الوهاب والفلالي وسعيد بابصيل وهؤلاء ارتبطوا بالقومية العربية ودافعوا عن قضاياها وخاضوا معاركها .

وفي نهاية هذا الباب يقول الاستاذ عبدالله عبدالجبار : « ولا مراء في أن الواقعية التي تحتل مكان الصدارة في الآداب العالمية اليوم تسير مضطربة الخطى في أدبنا العربي ولعل من أهم مظاهر اضطرابها فيه الابتذال والنثرية والفوتوغرافية والتضحية بالروح الفنية في سبيل المضمون أو الشعار وروح التشاؤم في بعض الاحيان » ويختتم هذه الفقرة التي وفق في استخلاصها بعبارة أكثر توفيقا يقول فيها : « اذا كان اينشتين يرى أن الزمان هو البعد الرابع للكون فاني أرى أن الثورية — بهذا المعنى المتقدم — هي البعد الخامس للادب في عصر القومية العربية » .. حقا كان الكاتب موفقا في قوله أن الثورية هي البعد الخامس للادب في عصرنا هذا المشرق المتفتح .

« لقد انتهى كتاب الصديق الاستاذ عبد الجبار . وكان بداية حقيقية لعمل ضخم تكفل هو بالقيام به . وصرح في آخر صفحة من كتابه بقوله : « وبعد .. فقد كان اعتمادنا في دراسة هذا الموضوع البكر على العرض الادبي أكثر من اعتمادنا على النقد الفني . ذلك لأن التوسع في النقد الفني سيكون مجاله في دراسة بعض الشخصيات الادبية التي حال ضيق الوقت بيننا وبين تناولها » وهو بهذا يرد مقدما على الذين قد يتعرضون للكتاب مسقطين من حسابهم ظروف وضعه..

ولئن كنت أوافق الصديق المؤلف في عبارته الاخيرة الا أنني لم أعدم خلال مطالعتي الملاحظات اللماحة الدقيقة والاحكام النقدية الصائبة ، والفهم السليم للادب ودوره وتطور أشكاله . وليس هذا العمل الذي أخرجه بغريب عليه فهو من أدبائنا الحجازيين المعروفين . وهو الى جوار كونه ناقدا دارسا مسلحا بنظرة متحررة عميقة للامور ، نجده أيضا أديبا مبدعا كتب في القصة والمسرحية .

على أن لي بعد ذلك كلمة أن أبدي بعض الملاحظات على الكتاب ، وسألجأ الى اجمالها على الوجه التالي :

● لاحظت في تقسيم أبواب الكتاب شيئا من الاضطراب بمعنى تقديم باب على آخر دونما داع الى ذلك . فمثلا في القسم الاول من الكتاب الذي يتناول قلب الجزيرة جغرافيا وسياسيا وتاريخيا نجد في الباب الثاني منه — وهو مخصص للحديث عن حاضر قلب الجزيرة تاريخيا وسياسيا — فصلا بعنوان : « سكان قلب الجزيرة ودياناتهم وعاداتهم » . وكما هو واضح من عنوان الفصل نجده يدخل ضمن الجغرافيا البشرية ومع هذا اختاره الكاتب ليكون آخر فصل في الباب الثاني من القسم الاول . وكنت أرجو أن يلحق هذا الفصل بفصول الباب الاول من هذا القسم وعنوانه : « جغرافية قلب الجزيرة » ، وذلك لكي يسهل للقارىء متابعة الحديث عن قلب الجزيرة جغرافيا .

كذلك نجد في القسم الثاني من الكتاب تقسيما لأبوابه السبعة كالآتي :

١ — ميلاد الادب الحديث في قلب الجزيرة .
٢ — العوامل المؤثرة في الادب .
٣ — أثر البيئة في شعر الجزيرة .
٤ — الرمزية الخاصة في أدب الجزيرة .
٥ — التيار الكلاسيكي .
٦ — التيار الرومانسي .
٧ — التيار الواقعي .

مع أن التقسيم الذي يسر متابعة الفصول ويحفظ عليها وحدتها كان يجب أن يأتي — في نظري — بالترتيب التالي :

١ — العوامل المؤثرة في الادب .
٢ — ميلاد الادب الحديث في قلب الجزيرة .
٣ — التيار الكلاسيكي .
٤ — التيار الرومانسي .
٥ — التيار الواقعي .
٦ — أثر البيئة في شعر الجزيرة .
٧ — الرمزية الخاصة في أدب الجزيرة .

ذلك لأن البابين الاخيرين (٦ ، ٧) مستقلان تقريبا وبدلا من أن يكونا مقدمة لأبواب ثلاثة عن التيارات كان يجب أن يكونا تابعين لها ، نابعين منها حتى يستقيم التسلسل المنطقي لموضوع الكتاب . أما بالنسبة للباب

الاول هنا (الثاني في الاصل) فهو يتناول ـ كما سبق أن أشرت ـ الصحافة والطباعة والاذاعة والمنتديات الادبية ولم أجد خلال مطالعتي للكتاب ضرورة تحتم احلاله بعد فصل ميلاد الادب الحديث .

● لاحظت أيضا نوعا من الاحالة على آراء الآخرين فعندما يتعرض الكاتب لحكم من الاحكام نجده أحيانا يحيل الحكم على رأي لكاتب آخر دون وقوف عنده أومناقشة . مثال على هذا نجده في صفحة ٢٩٢ حيث يقول : « واذا أنعمنا النظر في شعر العواد ألفينا أكثره شعرا ذهنيا يغلب عليه التأمل الذاتي والنزوع الفلسفي وهو في هذا يشبه أستاذه العقاد فالملحوظ في العقاد كما يرى السحرتي أن أغلب شعره تفكيري مألوف وتأملي ذاتي وفلسفي خفيف . وقل أن تجد فيه شعورا أو انفعالا دفاقا » .. كنت أحب هنا أن نعرف رأي الكاتب في العقاد يحتمل بعد هذا مناقشة الرأي الآخر .

كذلك فيمناقشته لشعر الغزاوي يقول(ص ٢٥٥) :

« ويتسم شعره على العموم بالخطابية المجلجلة واقتسار القوافي ونضوب العاطفة واسفاف الخيال وقد نجد فيه أحيانا رصفا حسنا وألفاظا جزلة وأسلوبا رصينا كما يرى الغلاليولكن وراء ذلك كله كما يرى الخفاجي اتباعية سائدة وشاعرية متوسطة وخيالا ضعيفا وعاطفة باهتة ... » هنا أيضا اختفى رأي الكاتب ، ولست أعترض على التمثيل بآراء الآخرين أو اعتناقها ضمنا كما يبدو هنا ، ولكن في حدود البحث العلمي يتعين على الدارس أن يبدي رأيه ما دام قد تصدى لمناقشة أمر ما بما في ذلك أيضا التعرض لآراء الآخرين قبولا أو رفضا .

● أكثر الكاتب من استعمال التاريخ الهجري في مواضع متفرقة دون ذكر مايوافقه من التاريخ الميلادي ، ولست أعترض هنا أساسا على هذا وانما كنت أرجو أن يتيح لنا الكاتب التاريخ الميلادي لييسر لنا متابعة الموضوع . خاصة اذا علمنا أن التاريخ الميلادي ـ للأسف ـ هو الغالب في أجزاء كثيرةمن وطننا الكبير .

● في صفحة ٣٠٠ يذكر الكاتب العبارة الآتية عند حديثه عن الواقعية ما يأتي : « وعلى يدي جوركي والمتأثرين به أصبحنا نجد ما يسمى الواقعية الحديثة بعد ما تحول معناها عما كان يفهمه منها زولا وفلوبير » هنا أورد الكاتب عبارة « الواقعية الحديثة » عوضا مباشرا عن « الواقعية الاشتراكية » رغم وجود الفارق بين الاثنتين ، في حين أيضا أنه ذكر الواقعية الاشتراكية في مواضع اخرى .

● لاحظت أخيرا في تقسيم الكاتب للتيار الواقعي في الشعر الى اجتماعي وثوري ووطني وقومي تعددا غير ضروري الى حد ما . خاصة اذا علمنا أن شعراء التيار الواقعي قد تناولوا الاغراض الاربعة التي حددها المؤلف .

الملاحظة الاخيرة التي أحب أن أبديها هي أن هذا الكتاب قد تولى نشره المعهد الصالح للدراسات العربية على أن عملية النشر هذه قد جاءت بشكل محدود أتاح لطبة المعهد ـ دون غيرهم تقريبا ـ الحصول على نسخ الكتاب . وما من شك في أن موضوعا هاما كهذا الذي تناوله الاستاذ عبد الجبار ، كان من الضروري أن ينشر بشكل يتيح لمن شاء فيأنحاء الوطن العربيأنيطلع عليه .

وهذه الظاهرة لاحظتها فيكافة مطبوعاتالمعهد تقريبا وهي تتناول في معظمها موضوعات جوهرية وهامة بالنسبة لنا في هذه الفترة من تاريخنا .

وفي انتظار الجزء الثاني الذي وعد به الكاتب لدراسة النثرفيقلبالجزيرة ، نرجو له التوفيقوالنجاح .

القاهرة : علي شلش



المظلة

لـ بي دومو باساند

تعريب: الدكتور جودة الركابي

السيدة (اوراي) مقتصدة ، وهي تقدر قيمة القرش ، وتملك جعبة لا تنفد من المبادىء القاسية في سبيل انماء الثروة . حتى ان خادمتها تلاقي كثيرا من المصاعب حينما تحاول ان تدخر لنفسها بعض القروش مما تشتريه لمنزل سيدتها ، وزوجها السيد (اوراي) لا يحصل على مصروفه الخاص منها الا بشق الانفس ومع أنهما في بحبوحة من العيش ولا اولاد لهما ، فان السيدة (اوراي) يعتريها الم شديد حينما تشاهد الدراهم البيضاء تخرج منها . وفي كل مرة يضطرها فيها زوجها الى ان تصرف بعض الدراهم على اشياء ضرورية لا مندوحة منها ، تنام في الليلة الثانية وقد انتابها الم عميق .

كان السيد (اوراي) يردد على زوجته دون انقطاع قائلا: « يجب ان تكون يدك اكثر بسطاً طالما لا نستطيع ابداً ان نستهلك وارداتنا . »

وكانت تجيبه :

ـ لا نعلم ابداً ما يخبىء لنا المستقبل ، وان نملك الكثير خير من ان نملك القليل !

لقد كانت سيدة لها من العمر اربعون عاماً ، ظهر على وجهها بعض التجعدات ، وهي مع هذا نشيطة ، وغالباً ثائرة ، اما زوجها فكان دائماً يشتكي من الحرمان الذي تذيقه اياه ، هذا الحرمان الذي يشعر حقاً بوطأته ويجرح كبرياءه ، لقد كان موظفاً في وزارة الدفاع ، ولقد كان عليه ان يبقى في هذه الوظيفه ارضاء لزوجته التي ترغب من عمله هذا ان يضاعف دخلها الذي لا يحتاجانه ، وهكذا ، فمنذ عامين ، كان يذهب الى مكتب عمله وهو يحمل « المظلة » المرقعة نفسها التي كانت تثير هزء زملائه ، واخيراً لم يعد يحتمل هذه السخرية اللاذعة فتقدم الى زوجته طالباً بشدة ان تشتري له مظلة جديدة ، فاختارت له واحدة بمبلغ خمسين قرشاً من احدى الدكاكين العامة ، ولكن لم يكد زملاؤه يرون بيده هذه « الالة » التي يرون مثلها بالالوف في اسواق باريس حتى عادوا الى تندرهم وعاد السيد (اوراي) الى آلامه ، وحقاً لقد كانت المظلة مضحكة لا قيمة لها ، ولم يمض عليها ثلاثة اشهر حتى اخرجت من الخدمة ، وصارت حديث الوزارة وموضوع سخرتهم ، حتى انهم قد الفوا عليها اغنية اخذوا يرددونها ، صباح مساء ، في ابهاء المؤسسة ودهاليزها .

عندئذ لم يعد السيد (اوراي) يطيق صبراً ، فأمر زوجته ان تختار له مظلة جديدة ذات غطاء حريري ناعم جيد باهظة الثمن على ان تقدم وصلا بسعرها ليتحقق من صحة قيمتها ، وقد اشترت له ما اراد وقدمتها الى زوجها غضبى ، ثائرة ، محمرة ، قائلة :

ـ خذها .. لاجل خمس سنين على الاقل !

حينئذ ظفر السيد (اوراي) بما اراد ونال نجاحاً هائلا امام زملائه في مكتبه .

وفي المساء حينما عاد الى منزله ، القت زوجته نظرة قلقة على المظلة وقالت له :

ـ يجب عليك ألا تتركها مغلقة ، فذلك يسهل تمزيق غطائها الحريري ، ان واجبك ان تسهر عليها وتحفظها لانني لن اشتري لك مظلة اخرى في القريب !

واخذتها من يده ، وفتحت الحلقة التي تشد بها ، وهزت

ثناياها .. ولكن الزوجة بقيت مشدوهة ذاهلة وقد خالجها اضطراب ظاهر :

ثقب مستدير ، كفتحة القرش ، ظهر لها في منتصف المظلة، انه حرق لفافة تبغ !

ودمدمت :

ـ ماذا ارى ؟

اجابها الزوج هادئاً دون ان ينظر اليها :

ـ من .. ما .. ماذا تريدين ان تقولي ؟

ولكن الغضب كاد يخنقها فلم تعد تستطيع الكلام .

ـ أنت.. أنت .. أنت أحرقت .. و .. مظ .. مظلتك .. ولكن.. أ .. أ .. أنت مجنون .. تريد ان تخرب بيتنا !

فالتفت اليها وقد اصفر وجهه :

ـ قلت .. ؟

ـ قلت انك احرقت مظلتك ، هه .. !

ووثبت نحوه تريد ضربه ووضعت بقوة تحت انفه مكان الاحتراق المستدير من المظلة .

فوقف الزوج ضائعاً امام هذا « الجرح » واخذ يتلكأ في الكلام :

ـ ه .. ماهذا .. ؟ لا اعرف انا ! لم اصنع شيئاً .. ابداً .. أقسم لك .. لا اعلم ماذا حصل لهذه المظلة !

فصاحت عندئذ :

ـ أراهن انك رقصت ومثلت بها في مكتبك ، وقبضت عليها بيداك كأنك « بهلوان » وانك فتحتها لتريها لاصحابك ..

فأجاب :

ـ لقد فتحتها مرة واحدة لاري زملائي كم هي جميلة ، هذا كل ما في الامر ، أقسم لك .

ولكنها ضربت برجلها الارض غضبى ، واخذت تمثل له مشهداً من هذه المشاهد الزوجية التي جعلت المنزل اشد هولا ـ لرجل هادىء ـ من ساحة حرب يمطر فيها وابل من الرصاص .

ورقعت المظلة بقطعة قماش قصتها من غطاء مظلة قديمة ذات لون مخالف للونها ، وذهب السيد (اوراي) في اليوم الثاني مجروح الخاطر ، وهو يحمل الالة المرقعة ، ثم القاها في خزانته هناك ولم يعد يفكر بها الا كمن يفكر في ذكرى سيئة !

غير انه لم يكد يدخل داره في المساء حتى ابتدرته زوجته وقبضت على المظلة ، بكلتا يديها وفتحتها لتفحصها ، وبقيت مختنقة « باهتة » امام نكبة لا يمكن اصلاحها ، لقد تراءى لها ثقوب كالمصفاة كما لو ذر عليها رماد مشتعل للفافة تبغ ضخمة . عندئذ شدهت وضاعت ضاعت دون ما دواء وهي تتأمل هذه الخسارة ولا تستطيع ان تنبس ببنت شفة ، حقاً لقد كانت غير قادرة على ان يخرج من حلقها اي حرف ! اما الزوج فقد فحص هذه النكبة وبقي واقفاً كالابله خائفاً ومنكمشاً ، ثم حدق كل منهما بالاخر ثم اطرق الزوج ، فقذفت الزوجة بتلك الالة المجوفة على وجهه وصاحت به بصوت ثائر بالغيظ :

ـ آه يا كلب .. ياوقح .. لقد اجتزت الحد .. ولكن ستدفع ثمنها راغماً .. وسوف لا يكون لك مظلة مطلقاً ..

وابتدأ المشهد .. وبعد ساعة من ثوران العاصفة استطاع ان يفصح عما في نفسه وان يقسم لها انه لا يعلم شيئاً عن الحادث ولعل ذلك كان اذى او انتقاماً .

(بناء على نصيحة صديق ، قررت السيدة (اوراي) الذهاب الى شركة التأمين طالبة ثمن المظلة التي اتلفتها النار ، وقد اصغى اليها مدير الشركة الى ادعاءاتها ورضي اخيراً بعد ان ازعجته وارهقته ان يقبل مطالبها) .

. . .

رأى المدير انه لا يمكنه التخلص منها وانه سوف يخسر معها نهاره ، فطلب اليها مذعناً :

ـ « هل تتفضلين بان تقصي علي الحادث ؟

فشعرت بالظفر واخذت بالحديث :

« انظر سيدي : يوجد في دهليز منزلنا مشجب من النحاس نعلق عليه المظلات والعصي ، وعندما دخلت الدار في اليوم الماضي علقت هناك تلك المظلة ،ويجب أن أعلمك أنه يوجد فوق هذا المشجب تماماً قطعه خشب بارزة لوضع الشمع والثقاب ، فمددت يدي وأخذت اربعة أعواد من الثقاب ، ثم قدحت العود الاول فانطفأ ، وقدحت العود الثاني فاشتعل قليلا ثم انطفأ حالا ، ثم قدحت الثالث فحدث له كما حدث لسابقه .. أما الرابع فقد اشتعل وأشعلت به الشمعة ، بعدئذ دخلت الى غرفتي لانام،ولكن بعد مضي ربع ساعة شعرت كأنني أشم رائحة احتراق ، وأنا أخاف دائماً من النار ، آه ! لو حصل لنا كارثة في أي وقت ما فلا تكون خطيئتي ! عندئذ قمت وخرجت أبحث وأشم كأنني كلب صيد ، واخيراً لاحظت أن مظلتي تحترق ، ومن المحتمل أن يكون قد سقط عليها عود ثقاب ، وهكذا ترى بأي حال حدث

هذا الامر ... »

أما المدير الذي يود أن ينهي هذا الموضوع فقد طلب قائلا :

ـ وكم تقدرين الخسارة ؟

وبقيت خرساء لاتجرؤ على تعيين الرقم الموافق ، بعدئذ قالت وهي تتظاهر بالتسامح :

أصلحها أنت ، فسأحملها اليك !

فرفض قائلا :

ـ كلا ياسيدتي لااستطيع ذلك ، قولي كم تطلبين ؟

ـ ولكن ... يظهرلي .. أ .. أ .. اسمع ياسيدي . أتالا أريد منك أنا ... ستحل المسألة : سأحمل مظلتي الى صانع المظلات ، وهو يضع لها غطاء من الحرير الجيد الثابت ، وسأقدم لك قائمة لحساب ، أيوافقك هذا ؟

ـ بكل تأكيد ياسيدتي ، حسناً ... هذه كلمة الى الصندوق ، سيدفع لك ماتصرفينه .

وقدم الى السيدة (أوراي) بطاقة ، فأخذتها وقامت فحيته وخرجت مسرعة خوفاً من أن يبدل رأيه !

والان سارت في الشارع فرحة ، تبحث عن صانع مظلات حاذق ، وعندما رأت متجراً كبيراً للمظلات تظهر عليه علامات الغنى والعظمة ، دخلته وقالت بصوت رزين :

ـ هذه مظلة تحتاج الى غطاء حريري .. ومن الحرير الجيد .. ضع لها أجود ماعندك من الاصناف ، فأنا لايهمني غلاء الثمن !

جودة الركابي

بخيل !

قيل في « بخيل » :

قالوا أتدري ما جرى
فقلت كلا ما الخبر ؟
قالوا قضى متمول
باللؤم والبخل اشتهر
واليوم شيع نعشه
بجنازة فيها عبر ..
لم يبكه أحد ولم
يذكره بالحسنى بشر
ولقد سمعنا خلفه
رجلا يصيح الى صقر ! !

لن أعود معكم ابداً!

قصة بقلم : ألفة عمر باشا الادلبي

كان وجهه يترك في النفس انطباعا لا يمحى ، فهو يوحي ببسالة وشجاعة قد انعقد حاجباه في وسط جبهته عقدة قلما تنفرج تركت له غضونا عميقة في جبهته العريضة لا يحملها من كان في مثل عمره لم يتجاوز الثلاثين الا قليلا . أما نظراته فكانت ثاقبة عميقة تدل على رجولة حقة ، وقوة شكيمة ، وصعوبة مراس ، وأنفه كان شامخا يبدو كبيرا في وجهه المستطيل ، وذقنه كانت بارزة الى الامام قليلا ، أما شفتاه فغليظتان مطبقتان بحزم . فاذا كنت محظوظا وقدر لك أن تراه ضاحكا أو مبتسما لتغيرت لك سحنته تماما فرأيت شفتيه تنفرجان عن اسنان نضيدة تبدو ناصعة البياض بالنسبة لسمرته الدكناء ، ويشع من عينيه بريق يضفي على وجهه العبوس براءة طفل . أما قامته فكانت أميل الى الطول ، في مشيته تيه وخيلاء قد تكون عادة أصيلة ، وقد تكون آتية من لباسه المهيب الذي يضفي عليه روعة ومهابة . فهو يتألف من برنس أبيض سابغ الى الارض ، ملقى على كتفيه بلا مبالاة يونبئك بأنه مغربي من مراكش . وينحسر البرنس من الامام عن لباس عسكري تدل مشاراته على انه ملازم أول في فرقة الخيالة التابعة للجيش الفرنسي .

هذه هي كانت صفات الملازم أحمد بن رزوق . الذي كان تلقى ذات يوم من أيام سنة ١٩٢٦ نبأ نقل فرقته من بلده مراكش الى دمشق . وكان هذا أمرا مألوفا عاديا فكثيرا ما كانت تتنقل قطع الجيش الفرنسي بين مستعمرات الجمهورية الفرنسية من حين لآخر . ففرح الملازم الشاب بهذا النبأ فرحا لم يسبق له أن فرحه عندما كان يتلقى أوامر النقل من بلده مراكش الى بلدان أخرى . فدمشق حبيبة الى قلب كل عربي ، يبدو اسمها دائما محاطا بهالة من مجد العروبة وفخارها .

ويصل الملازم أحمد دمشق في يوم من أيام الربيع ، وربيع دمشق ضاحك فياض ، يبعث في النفس بهجة وأنسا . ولذا لم يشعر أحمد ولو بقليل من الوحشة التي يشعر الغريب بها عندما يؤم بلدا ما لأول مرة ، ويخرج من توه يتجول في الاسواق ويتعرف على معالم المدينة فيدهش بهذا الشبه الذي يلمسه بينها وبين بلده البعيد كان يتفرس في وجوه الناس فيتخيل اليه انه يعرفهم جميعا حتى ليهم أحيانا أن يبادرهم التحية كما كان يبادر سكان حيه ، فالسحن والالوان والقامات لا تختلف أبدا عن سحن أبناء وطنه ولا عن ألوانهم وقاماتهم، والحركات والسكنات تكاد تكون هي بذاتها . يتكلمون لغته العربية مع فارق في اللهجة ، توحي نظراتهم بطيب قلوبهم وكرم خلقهم العربي ، فأحبهم ملء قلبه كما يحب قومه وأبناء وطنه ، وما راعه ذات مساء الا أمر تلقاه من قائده الفرنسي يطلب منه أن يكون على رأس فرقته في الصباح الباكر لأن الجيش الفرنسي سيقوم بحملة على الغوطة لتأديب المعتصمين فيها من اللصوص وقاطعي الطرق . فتملكه وجوم وخوف . كان يعرف تماما ما تعني كلمة لصوص وقاطعي طرق في قاموس الاستعمار . لا شك انها تعني هنا كما تعني هناك في بلاده الوطنيين الاحرار أصحاب البلاد الثائرين على الظلم والاستعمار . لقد سبق له أن حارب كثيرا مع الفرنسيين أقواما لا يعنيه من أمرها شيء . كان يحارب بلا غاية ولا هدف . وكانت

الحرب بالنسبة اليه كأنها لعبة رياضية يحبها بطبعه ويسره دائما أن يكون في صف الغالبين ارضاء لغروره وصلفه . أما الآن فقد انعكست الآية تماما . وأصبح يساق اليها مقهورا مرغما ، ويتمنى في صميمه أن يكون في صف المغلوبين ليشمت بهؤلاء الفرنسيين الذين مات فيهم الضمير ، وانعدمت الانسانية . وتساءل مستغربا : كيف لم يتورعوا من أن يسوقونا لنحارب بعضنا بعضا في سبيل مصالحهم ومطامعهم ؟!! حقا لقد بلغ بنا الخنوع حدا أعمى بصيرتنا وأمات شعورنا !! وأصبحنا نستكين لهم كما تستكين الخراف لجزارها ! . وركبه هم شديد لا قبل له به راح يؤرقه طول الليل ، وتملكته حيرة شديدة . كيف يستطيع أن يحارب اخوته وأبناء قومه ؟؟ معاذ الله أن تقوى يده على اطلاق رصاصة واحدة على ثوار الشام . كما انه لا يستطيع التخلف عن المسير مع الفرنسيين . ان معنى ذلك هو التمرد .. وجزاؤه حبس طويل مع محاكمة يتخللها عذاب رهيب ونهايتها المحتومة هي الاعدام ...

فكر طويلا ثم قال جازما بعناد مغربي :

الاعدام هو أهون الشرين ...

وتخيل نفسه وهو يصارح رئيسه الفرنسي بتمرده أمام فرقته بشجاعة وجسارة تثير نزق الفرنسي وتخرجه عن طوره ، فلا يأبه له بل يصب عليه كل ما يعتمل في أعماقه من حقد وبغضاء .

من يدري ربما تتمرد الفرقة بأسرها وربما لا تتمرد فينفرد هو وحده بهذا الشرف ويتلقى العذاب الرهيب حتى الموت ، وما أطيب ذلك وأعذبه !. فربما دخل اسمه سجل التاريخ وأصبح بطلا يقتدى به ، وامثولة طيبة يحتذى بها . ويتهلل وجهه فرحا لهذه الخواطر .

ولكن فكرة طارئة تلمع في ذهنه فتحول مجرى تخيلاته . أليس من الخير له ولاخوانه عرب الشام ألا يعدم ، ويذهب دمه هدرا رخيصا بلا جدوى ؟؟.

فلو تريث قليلا واستطاع أن يكظم غيظه غدا ويساير هؤلاء المستعمرين ويصافحهم قليلا . ثم يسعى من طرف خفي حتى يتعرف الى الوطنيين من أبناء دمشق ، وما أيسر ذلك فكل الاهالي على ما ظهر له في هذين اليومين وطنيون يمقتون الفرنسيين، ويهللون للثورة ، ويعقدون عليها آمالا كبيرة ، وسييسرون له سبيل الالتحاق بالثورة وبذلك يكون قد أرضى ضميره ، وقام بخدمة جلى نحو بلاده أيضا . أليس كلنا عرب ، والعدو مشتركا ، والهدف واحدا .

ويشعر بشيء من برد العزاء والراحة يسري في نفسه لهذه الفكرة الجديدة التي ألمت به . ويستطيع أن يغفو اغفاءة قصيرة تتناوبه فيها أحلام مزعجة .

وفي الصباح الباكر كان على رأس فرقته يسير في طليعة الجيش المتوجه نحو الغوطة ، كان يبدو على ظهر جواده منكس الرأس ، منحني القامة تصطرع في نفسه أحاسيس لا يدرك مداها الا الله . كان يغض طرفه خجلا كلما رأى سكان الضواحي العزل ينظرون الى جيش أعدائهم شزرا وعيونهم تنطلق بالمقت والكره ، وخيل اليه انهم يتحرقون لظى لانهم لا يملكون السلاح الذي يستطيعون به محق هذا الجيش العتيد الذي يحتل أرضهم ويعيش فيها ظلما وفسادا. كان يود في صميمه لو يستطيع أن يكشف لهم فردا فردا عن دخيلة نفسه وعما اعتزمه ليبرر لهم وجوده هو العربي في جيش أعدائهم .

ويصل الجيش الى الغوطة التي كانت في ذاك الصباح في أوج سحرها كأنها قطعة من جنات الخلد . غابات كثيفة من شجر المشمش زمردية اللون تمته الى ما لا نهاية وحقول القمح تتيه بسنابلها الريانة الخضراء وقد انتثرت بينها شقائق النعمان بألوانها الحمراء الزاهية ويفوح من الارض عبير منعش ، وقد خيم السكون على كل شيء الا من وسوسة العصافير وخفق أجنحتها ، فازدادت الغوطة سحرا ، وبدت خالية خاوية حتى من فلاحيها . فقد كان الفلاحون يفرون من أمام الجيش العاتي ويعتصمون في بيوتهم تاركين حقولهم وأعمالهم . فكثيرا ما قتل الفرنسيون الفلاحين وراء محاريثهم ثم جاؤا بجثثهم يعرضونها في شوارع دمشق مدعين انهم من الثوار ليبعثوا الرهبة والخوف في قلوب المواطنين ، وأخذ الجيش يجوب الغوطة حقلا حقلا ، وقرية قرية فلا يعثر على أثر للثوار الذين كانوا يتقنون فن حرب العصابات فيعرفون كيف يختفون وكيف يظهرون .

أما الملازم أحمد بن رزوق فكان طيلة الوقت صامتا ما ينبس ببنت شفة ، يعبر وجهه عن هم وقلق حتى أنكر رئيسه الفرنسي وجومه هذا الذي لا يعهده به أبدا . ويمضي النهار ثقيلا متباطئا ويقبل الليل فاذا اشتدت ظلمته يأخذ الجيش طريق العودة الى دمشق خائبا فاشلا وقائده الفرنسي يتميز غيظا وحنقا . وهو يتساءل أين هم الثوار الذين يهاجمون مراكزنا في دمشق كل يوم هل ابتلعتهم الغوطة ؟؟ لا شك ان الفلاحين يخبئونهم في بيوتهم سأعرف في المرة القادمة كيف أقاصصهم . وما كاد ينتهي من تساؤله هذا حتى أخذ وابل من الرصاص ينهال فجأة على مؤخرة الجيش فيردي عشرات الجنود صرعى على الارض . ويرتد الجيش على عقبيه ويرسل أنواره الكشافة فلا يرى أحدا . ولكن حقلا واسعا من القمح تتحرك سنابله الريانة وتتماوج فيدرك القائد الفرنسي انه الكمين الذي يختبيء فيه المجاهدون . فيأمر أن يرش الحقل بالبنزين وأن توقد فيه النار حالا وما تكاد رائحة البنزين تنتشر حتى يبرز من الحقل عشرة رجال ، عشرة رجال فقط مدججين بالسلاح وينقضون على الجيش العرمرم بشجاعة لا حد لها ويدافعون ببسالة عن حقل القمح فيتساقطون في ساحة الشرف الواحد تلو الآخر بعد أن يكبدوا الجيش خسائر فادحة . وباستشهاد آخر واحد منهم تنتهي المعركة .

ويبرز القائد الفرنسي منتفخ الاوداج يعد الجثث ثم يقول بلهجة أرادها أن تكون ساخرة فجاءت بالرغم منه جدية مليئة بالاعجاب والتقدير : عشرة ، عشرة فقط هذا كل ما في الامر ، انكم شجعان يا خنازير !! وينادي الملازم أحمد ويأمره أن يفتش جيوب القتلى ويخرج ما فيها من أشياء ، ثم يترجم له جميع ما كتب في أوراقهم لأن الملازم أحمد هو خير من يتقن اللغتين بين أفراد الجيش . ويمتثل الملازم الشاب للامر الفظيع صاغرا وكل عرق فيه يضطرب وينتفض ، ولا يذكر أبدا ان لحظة صعبة مرت عليه طيلة حياته كتلك اللحظة . ولولا قدرته العجيبة على ضبط نفسه والسيطرة على أعصابه لافتضح أمره .

ويولي القائد ظهره وينحني على أول شهيد . وكان الشهيد شابا في مثل عمره ، ويمد يدا مرتجفة الى صدره فيخرج من عبه أول ما يخرج مصحفا صغيرا هو نسخة طبق الاصل عن مصحفه الذي لا يفارقه أبدا . فيضم المصحف الى صدره بخشوع ، ويغمض عينيه لحظة فتتمثل له أمه وهي تودعه وتزوده بالمصحف ضارعة الى الله أن يعيده اليها سالما . ويقول في نفسه :

لا شك ان ام هذا الشهيد قد زودته بالمصحف كما زودتني به أمي ، ويشعر بالحزن يذيب قلبه كأنه واقف أمام جثة أخ عزيز عليه ، فيطفر الدمع الى عينيه هو الذي كان عصي الدمع لا يعرف التخاذل أبدا . ثم ينتفض وتمتد يده دون ارادة منه الى بارودته يريد أن يسحبها ويفرغها في صدر القائد . وقد أخذ يشعر نحوه ببغض واحتقار وحقد يأكل قلبه ، ولكنه عاد فتراجع وهو يقول:

لا لا لن أموت من أجل واحد مهما كان كبيرا . سأقتل منكم العشرات بل المئات والايام بيننا . ولكني لا استطيع بعد اليوم أن أعود معكم يا أوغاد ، لن استطع ذلك أبدا . سأبقى هنا أقاتلكم الى جانب اخواني عرب الشام ، وأعرف ان ذلك سيكلفني غاليا وما احبه الى قلبي . ويصرخ القائد الفرنسي بلهجة قاسية نافذة الصبر:

مالك ، ماذا وجدت ؟؟

فيرد أحمد بن رزوق بصوت متهدج ولهجة متحدية :

مصحفا صغيرا أريد أن أحتفظ به أنا .

ويلوي الفرنسي شفتيه مستهزئا ، ويقول بلامبالاة :

لك ذلك ان شئت . ثم ماذا ؟

فيقول أحمد : لا شيء ، منديلا صغيرا مطرزا ، وصورة لخمسة أطفال .

وكانت محتويات بقية جيوب الشهداء لا تختلف عن بعضها الا قليلا : مصاحف صغيرة ، أشياء مختلفة للذكرى قليلا من النقود . كان واضحا بأن الثوار كانوا حريصين الا يحملوا هوياتهم ، أو أي أوراق تدل على شخصياتهم كانوا يؤثرون أن يموتوا نكرات لئلا ينتقم الفرنسيون من أسرهم بلؤمهم المعهود كما هي عادتهم .

ويعود الجيش الى دمشق مهللا يوهم نفسه بالانتصار ولكن شخصا واحدا لم يعد مع الجيش هو الملازم أحمد

(البقية على الصفحة ١٥)

فتحي محمد

الفنان العربي الملهم

بقلم : فؤاد الرفاعي

الزوايا التي يمكننا أن نطل منهـا على الفنان الملهم فتحي محمد ، كثيرة متعددة ، تعدد النواحي المضيئة في نفسه المشرقة وروحه العظيم .

واذا كانت النفس الانسانية لا تزال تستخفي ، في الكثير من خصائصها ومميزاتها ، خلف استار كثيفة من الشك والغموض ، لم يستطع الباحثون حتى الآن هتكها أو تمزيقها ، وكان امتياز تلك الخصائص ، ورقي تلك المميزات ، رهنـا بمواهب معينة ، هي مقطع القـول في التجريد والقياس ، فان نفس فتحي ، الانسان الفنان ، أو الفنان الانسان ، في حاجة الى درس عميق واستقصاء بعيد ، أكثر من حـاجة النفس العـادية اليهما ، لتجلية الكمين من صفاتها وسماتها .

ذلك لأن الكشف عن جوهر الملكة الفنية عند الفنان وهي خاصة موهبية تميزه ممن عـداه ، انما هو ــ في الحقيقة ــ عملية سبر لأغوار نفسية وروحيـة قصية ، بحثا عن ينبوع ثر يهدر في الاعماق بعيـدا عن متناول البصر والسمع ، ومن أجل هذا ، كانت محاولة الكشف عن جوهر تلك الملكة ، عملا معقدا ، لا سبيل الى استكماله في النظر الى الفنان من زاوية واحـدة ، بل من سـائر الزوايا ، ومن كافة الاقواس والمنحنيات .

وعمل كهذا ، لا يتأتى في مقال عابر ، ولاسيمـا ان النتاج الفني للفنان الـراحل ، لم يضمه ، حتى الآن ، متحف واحد ، ولم يطلع عليه النقاد والباحثون ، فبعضه متفرق في متاحف ايطاليا ، وبعضه الآخـر في صناديق خشبية ملقاة في أقبية مفوضيتنا في روما .. ومن ثم ، فان النقاد والباحثين ــ عندنا بالطبع .. ــ لم يتنبهوا لوجود هذا الفنان العظيم الا بعد أن تخطفه الموت .. ولعل يوما قريبا يأتي ، يقوم فيه الباحثون من أصحاب الاختصاص بدرس الخصائص الفنية لفتحي محمـد ، الفنان العربي الاصيل ، الذي جادت به الايام على الامة العربية بعد شح طويل ، ثم اختطفه الموت أحوج مايكون العالم العربي الى أمثاله من الفنانين المطبوعين .

على ان هذا لا يمنع ، فيما أرى ، من ان اعرض الى ناحية واحدة في حياة فتحي ، هي ــ في اعتقادي ــ نقطة انطلاق صحيحة في التعريف به تعريفا خاصا ، قد لا يتاح لمن سمعوا به سماعا عابرا ، أو ألموا بقصة حياته المـاما قصيرا .

ففي حلب ، البلد القليل الماء ، الجاف الهواء ، الذي بخلت عليه الطبيعة المعطـاء بآياتها الموحية ولوحاتهـا الملهمة ، من جبال شاهقة ، ووديان عميقة ، ومن جنات وارفة وعيون متفجرة ، ومن شلالات تهدر بعمق كالطوفان وبحيرات تهمس برقة كالاصيل ، ثم من مرأة ، انثى ، تنطلق في رحاب الطبيعة خفيفة لهيفة فتزيدها رقة وبهجة والهاما ، أقول ، في حلب هذه ، ومنذ نيف وأربعين عاما كان الناس يعيشون في أزقة ضيقة ومنازل هرمة ، يغلقون عليهم الابواب مدبر النهـار ، ويستضيئون بالسـرج المتخابية مهبط الليل، ولد فتحي محمد في حي فقير مهمل من هذه الاحياء القديمة المحافظة ، فنشق مع الهواء ترابه

وعاش مع أطفاله الفقراء ، وهو منهم ، لا تقع عينه الا على ما يخلفه الفقر والجهل والاهمال من مناظر مؤذية ، وأوضاع تقذى لها العين ، وتنهد أمامهـا الاعصاب .. فأصاب شيئا من تعلم ، ومضى في طريق حياته شخصا عاديا ، يبتلعه تيار الحياة اليومية فيمن يبتلع من الاحياء والاشياء ، ثم عرضت له امور قعدت به عن الدرس والتحصيل ، فانزوى في غرفة متواضعة من دار أهله في حي المشارقة ، يفكر ، ويتأمل، ويرسم ، مصيخا الى ذلك الهدير المتفاعل في أعماقه ، مطيلا النظر الى كل ما تقع عينه ، كاسبا عيشه من بعض ما يرسمه من لافتات المحال والحوانيت ، وهو بين هـذا وذاك يتعهد موهبته الفنية ويصقلها ويخضعها لتجارب شخصية بحتة ، ثم مالبث أن طار بخيـاله المجنح الى مواطن الفن ومواقع الجمـال ، فسافر الى ايطاليا بعد عناء طويل ، ودرس في معاهدها ، فكان فيها على تفوق ونبوغ كبيرين ، ومن ثم طلع على الدنيا فنانا مطبوعا ، يناضل أصدق نضال في سبيل رسالته الفنية العظيمة التي أعدته لها الايام .

ألا انها الموهبة الاصيلة في نفس الفنان المطبوع ، سواء أولد في الصحراء أم في ظلال جنة زهراء ، وسواء أنبت من صميم الفقر ونام على فراش من قش ، أم درج على البسط الفاخرة ، وتقلب على الدمقس والحـرير في القصور والدارات .

فلا عجب اذا ، ان ينبت من حي المشارقة في حلب ، ومن صميم الفقر والعوز والحرمان ، فنان يبـدل وجه التـاريخ الفني في تاريخ الامة العـربية ، ويضيف الى الحقائق الراهنة حقيقة دامغة ، هي أن الامة العربية ليست من العقم الفني بحيث يزعمون ، وان الفنان الممتاز ليس وقفا على أمة دون أمة ، وموطن دون موطن ، انما هو هذه الصفوة — المختارة من أبناء الانسانية جمعاء ، على مدى شمولها وامتدادها ، واتساع الرائع من صفاتهـا وسماتها ، فهو من الانسانية وللانسانية عنصر أصيل .

انها هبـة الطبيعة الخيرة للانسان الممتاز ، الانسان الفنـان .

انهـا الجوهر الصافي المشع ، لابد لصفائه أن يبرز للعيان مهمـا تحاول الاقدار ركمه وتغييبه ، لأنه فوق الاقدار ، ولا بد لسناه أن يبهر البصر مهما تحاول الدجى طمسه ، لأنه أقوى من كل دجية في الوجود .

لقد عرفت فتحي ، يرحمه الله معرفة صحيحة ، وعشت واياه حقبة من الدهر لا نكاد نفترق ساعة من نهار حتى نعود فنلتقي وشيكا ، وكان ذلك أيام خطا فتحي أولى خطواته في طريق حياته الفنية ، أيام صمم — في عـزم الفنان الواثق المؤمن — أن يرفع رأس حلب عاليـا ، بل رأس الامة العربية كلها ليطاول السماك ، تحديا لاعدائها والمتجنين عليها ، فراح ينحت للمعري تمثالا يقدمه تحية الفن للحكمة والفلسفة ، بمناسبة المهرجان الالفي الذي أقيم للشاعر الفيلسوف في حلب عـام ١٩٤٥ وشهده وحاضر فيه قادة الفكر والادب في العالم العربي .

فلقد درس فتحي أبا العلاء درسا وافيـا ، في آثاره الادبية والفلسفية ، وعاش واياه أشهرا طويلة يحـاوره ويناقشه ويتـأثر بأفكاره ، حتى توضحت في مخيلتـه الخطوط الصادقة لهيأة الفيلسوف الكبير ، فراح يطوف الازقة والاحياء بحثـا عن وجه يشابه تلك الخطوط ، حتى اهتدى الى فقير مكفوف ، سـرعان ما أخذ بيده الى غرفة صغيرة تشبه الحانوت في حي المشارقة ، فأجلسه أمامه أياما وليالي ، يستوحي من قسمات وجهه وتعابير سحنته هيأة المعري ، بكل ما ينبغي أن يرف عليهـا من سمات الحكمة والزهد والتشاؤم والثورة والوقار .

ولا تسألني عن العناء الشديد الذي عاناه فتحي في صنع ذلك التمثال ، ولا تسألني عن الليالي الطويلة الباردة التي قضاها فتحي واقفا على قدميه في الحانوت الصغير المهترىء الجدران ، تتلاحق منه ضـربات المطرقة على الازميل ، والحي هادىء والناس نيام .. ولم يكن عناؤه في النهار بأقل منه في الليل ، فقد كان عليه أن يغلق على نفسه باب الحانوت ، اتقاء لعبث العابثين وشتائم المتزمتين اذ ما كاد رأس التمثال يتوضح للعيان ، ويلمحه صبية الحي ذا رأس وأذنين ، ولحية وفم وعينين ، حتى راحوا يحصبون فتحي .. (ذلك الزنديق المارق الذي يخلق من الطين صنما على هيأة انسان .. يشبه أوليـاء الله الصالحين ..) .

ثم لا تسألني عن الشقاء الذي ذاقه فتحي بعد ذلك

فيما استقبل من حقبة قصيرة عاش ايامها حتى قضى ، انها حقبة كافرة ماكرة ، لفته بألأم ماتلف به الحقب السود انسانا مرهف الحس ، فياض المشاعر ، من ألم وبؤس ، ومن عذاب وحرمان .

ومع ذلك ، فقد كان يرحمه الله مثال الانسان الفنان،

ومع ذلك ، فقد كان يرحمه الله مثال الانسان الفنان،

تزخر نفسه بأكرم المشاعر ، ويجيش قلبه بأنبل الاحاسيس، لقد كان يحسن الى الناس جميعا ، وينسى اساءاتهم سريعا ، وينظر اليهم من خلال نفسه الطيبة وضميره النقي على انهم اخوة له في الانسانية ، عليه ان يقاسمهم ضراءهم، ويفرح لهم في سرائهم ، شأنه في ذلك شأن الفنان الانسان الذي سما بشعوره المرهف وعاطفته الممتازة لا عما هو دون الانسان من مخلوقات ، بل الانسان نفسه في اسمى مراتب الخلق ، وارفع درجات الصفات .

يرحمه الله ، لقد شاءت الحياة ان لا تهمله الى ان يؤدي رسالته الفنية أداء كاملا ، فقطعت به الاسباب وهو شاب ، وفي عنفوان نضجه الفني . ومع ذلك ، فان انتاجه على قلته ، قد كان من الروعة والفخامة واستكمال الادارة بحيث يستغرق الاعمار الطوال ، وينطوي اصدق انطواء على (الكيف) لا (الكم) في انتاج الفنان العبقري .

ان موت فتحي فجيعة كبرى لفن النحت في العالم العربي كله ، وان مما يؤسف له اشد الاسف ، أن يقضي الفنان الشاب العظيم مهملا في حياته ، مساءً اليه أبلغ الاساءة في نفسه وحسه ، وفي كيانه ووجدانه .

أجل ، ان مما يؤسف له أشد الاسف أن يموت فتحي رخيصا كما مات ... يعوزه الدرهم يبتاع به الدواء بعد ان استشرى في جسمه الداء ، وان يفتقر الى العون تُمدُّ اليه يده في صدق وبر ، لا في تفضل ومنٍّ ، فقد طالما مدَّ فتحي يد العون الى الكثيرين وهو في اقسى لحظات البؤس ، بل طالما أمدَّ فتحي تاريخ الفن العربي بما لم يُمدَّه به غيره من مئات السنين حتى الان ، وان لذلك لثمنا دفعه الفنان الراحل من روحه وقلبه واعصابه .

وليس عزاءً أن تاريخ الفن زاخر بمثل هذه الفجائع المؤلمة ، فالحق ، ان لا عزاء في فقد فناننا العظيم امام العبر المكرورة من تلك الفجائع بالفن والفنانين ، وكأن لزاما على شرعة الحياة أن لا يصيبوا في حياتهم غير العقوق والاهمال ، حتى اذا تخطفهم الموت ، طارت الاكف تدق بعضها ببعض أسفا عليهم وأشرعت الالسنة تتسابق في تقريظهم وتكريم ذكراهم ، حين لا ينفعهم أسف ، ولا يجدي عليهم — في غسل ما ذاقت قلوبهم من شقاء — تقريظ" أو تكريم .

ان اقل ما يفرضه واجب الوفاء للفنان الراحل من حق على ابناء وطنه ، والمسؤولين منهم بوجه خاص ، ان تجمع آثاره من اماكن وجودها ، وتضمَّ في متحف خاص يقام في بلدته ، ويطلق عليه اسمه ، ثم ينقل اليه جثمانه ليرقد — بجانب ما خلف من تراث فني ثمين .

يرحمه الله .

حلب — فؤاد الرفاعي

لن اعود معكم ابداً « بقية »

ابن رزوق الذي بر بعهده لنفسه فعرف كيف يتوارى في الظلام ويختبي في الحقول ، حتى اذا تأكد من نجاح خطته خلع ألبسته العسكرية ورماها أرضا فشعر بزهو كأنه تحرر من عبوديته منذ خلعها ، وتمنطق سلاحه وأخذ يسير متواريا في الحقول تارة ، ووراء الاشجار حينا حتى أسعفه الله بمن قاده الى الثوار الذين تلقوه بفرح وغبطة ، ودون أي تردد أو ريبة .

وما كان أشد دهشته وفرحته عندما وجد بين مجاهدي سورية كثيرين من اخوانه المغاربة والجزائريين الذين سبقوه بالفرار من الجيش الفرنسي وبالالتحاق بالثورة السورية .

فاز أحمد بثقة اخوانه السوريين الى حد بعيد ، فكانوا يولجونه من حين لآخر قيادة معاركهم لخبرته العسكرية ، وعرف بينهم باسم أحمد المغربي . ولكنهم كانوا يأخذون عليه شيئا واحدا هو شدة اندفاعه لدرجة التهور . وفي يوم عبوس من ايام الشتاء ، وفي معركة حامية الوطيس وقع ما كان يحذرونه ، فشربت أرض غوطة دمشق دم أحمد المغربي فيما شربت من دماء عربية ذكية في ذلك اليوم المشهود .

الفة عمر باشا ادلبي

رميـة وسهم

مرت ، على أهدابها حلم — حسناء من أسمائها الظلم

نجمت فعاودني لطلعتها — جرح على قلبي له وسم

فاذا الفؤاد رمية ، واذا — من عينها الفتانة السهم

ما اسطعت يوما أن أعيش بلا — داء ودربي الشوك والغم

ومحاسن الدنيا تشير الى الـ — ـخالي فيعنو العزم والحزم

ما همت مختارا ولي كبد — بين الحنين وبينها رحم

واذا تمادى الوجد أو عصفت — نار الهوى لا ينفع الحلم

يا نظرة أعقابها علق — باق ، وسقم بعده سقم

وكلتني بصبابة وجوى — عات ، وعند جوانحي العلم

أين التي زرعت محبتها ؟ — غابت ، فلا اسم ولا رسم

في تيه أحلامي مصورة — وبخاطري الواعي لها جسم

لو كان يشفيني التوهم لم — يوحش سمائي ذلك النجم

وهصرت بالكفين ـ من شغف ـ — ذا نغمة تقبيله حتم

متطفلا في الصدر ، معترضا ، — تحت العيان يكاد أن ينمو

وشممت ـ في غيبوبة ـ عطرا — ولثمت لا جرح ولا اثم

لو كان يشفيني التوهم لم — يفسد حياتي كلها العقم

حمص : رفيق فاخوري

منتظرة الباص ...

شعر : عبد الغني العلواني

أولى بهذا الثغر أن يبتسما   يوما وان امسى علي محرّما
أهفو اليه وانما أخشى الجفا   منه ولكني أقول لربما ...
ما كل من تهوى يبادلك الهوى   لولا الصدود لما غدوت متيما
ولما أرقت الليل تدعو طيفها   حتى يوافي أو تعدَّ الانجما
صبحاء لو جاد الزمان بمثلها   يوما علي لطار عقلي للسما
نظرتْ الي فلم أطق صبرا على   نظراتها وخشيت أن أتهدما
أغضيت من خجل وبي شوق الى   استغفالها حتى أعود فانهما
ومن العيون نواظر بوداعة   غفلى ومنها ما يسدد أسهما
أنا لا أصدق أن بين الناس من   لا ينثني عن مقلتيها مرغما
صوني بربك ناظريك عن امرىء   القى اليك سلاحه واستسلما

* * *

لله ثغر مطبق الشفتين مثـ   ـل الورد لكن حين يبزغ برعما
ران عليه الصمت الا انه   يدعو الثغور بدون أن يتكلما
والجيد مثل مخدة من مرمر   حار الفم الصادي اليه فحوما
ألقى على النحر المضمخ بالشذا   عقدا أقام معززا ومكرما
يهنا بما لو نلت منه بعضه   يوما لتهت على الانام تهكما
والنهد يا للنهد ماذا لو بدا   منه اليسير تبرعا وترحما
لو أنني طفل يعب رحيقه   لوددت طول العمر أن لا أفطما
والخصر مثل الغصن ان مرت به   ريح الصباح شكا الاذى وتألما
والساق تشنق من يراها ان بدت   ترقى على مرمى النواظر سلّما

* * *

حسْن سما مهما أجدت بوصفه   شعرا أخاف عليه من أن يوصما
قدس من السحر المحبب وقعه   فينا نود بأن يدوم ويسلما
نامت عليه محاجر الاجيال لا   تبغي بغير ظلاله أن تنعما
أبقى عليه الحسن اذ ألفى به   وِرْدا يلبي ما لديه من الظما
والقلب ان ضلت به سبل النهى   طرح التدبر جانبا وتقدما
أولى بمن لا ينتهي ان يبتدي   من حيث أعرض شاكيا متبرما

* * *

يا غادة طلعت علي بعدها   فأفاق قلبي شاديا مترنما
ما كنت أدري ما اسمها ولعلني   ان رمت منها ذاك ان لا اعلما
مالي وذياك الفضول وما يوا   تيني الفؤاد على الزحام فأزحما
انا لا اريد ولن اريد وانما   أرجو لهذا الحسن أن يتنعما
اني اسميها اذا شاءت بما   يُرضي الفؤاد تعلة وتوهما
يا دمية قد كنت أنشد مثلها   حتى استجاب لي الزمان وقدما
أرنو اليها ان بدت فاذا مضت،   مثّلتها في الذهن حتى أحلما

حماه :   عبد الغني العلواني

مجنونة ... ولكنها أمي !

« الى أجمل أم .. الشاعرة كوليت الخوري »

قصة بقلم عبد الله الشيتي

« من جمعية الادباء العرب »

اثنا عشر عاما مضت ، وذكرى المرأة زنوبيا ، أو الملكة ان شئت ، ما برحت تحتل ساحة تفكيري بحيث اجترها في مخيلتي ، كما تجتر الابل غذاءها ، بيد أن غذاء الابل ينفد ، والذكرى باقية ، لا تبلى ولا تنفد .

اثنا عشر عاما مضت، والمأساة اللعينة تضج في أعماقي متسربلة بالسواد ومتشحة بظلال قاتمة ، اتسمت بطابع النسيان في كثير من الاذهان ، وما فتىء اطارها الحزين معلقا في زاوية مغلقة من حنايا نفسي انسابت خيوطها مع اطلالة يوم باك !

اسمها « زنوبيا » ، أو هكذا كانوا يطلقون عليها وهي لم تعش في تدمر ، ولا تربع فوق رأسها تاج ، ولم تمسك يدها صولجانا .. ولم يحط « بجلالتها » جند ولا فرسان .. بل كانت ذات جاه وسلطان ، اذا لم يفوقا ما أحرزته ملكة تدمر ، فانهما لا يقلان شأنا عما أحرزته بل ومن قائل انها تضاهيها وسامة وتقاربها « رجولة » !! ليس ثمة ما يستدعي القول بأن زنوبيا الاولى كانت بطلة عاقلة ، وملكة فذة ، والاخرى ، حليفتها أو المتأثرة بها ، كانت مجنونة ، وليس هناك ما هو أعظم وأمر من مصيبة الجنون !

أما لماذا هي زنوبيا ، فلأنها كانت تحرص على تقمص هذه « الشخصية » ومحاكاتها ، بما قرأته عنها في بطون الكتب وما تناقل اليها عن عظمة تلك الملكة التي افرد لها التاريخ صفحة مشرقة تظللها القلاع والحصون والاطلال وتزدان معالمها بالمجد الغابر التليد .

وأما اسمها الحقيقي فهو « زينب » .. وقد تصطدم بك أو تصطدم بها عبر زقاق ضيق يؤدي في أحد منعطفاته المتعرجة الى بيت متواضع صغير كتب أحد الغلمان على واجهة جداره العريض بخط صبياني مداده الدهان الاحمر :

ــ « هنا بيت زنوبيا ملكة حيفا » !

فاذا ماتلاقيتما فلا بد لكل منكما أن يهرع نحو الآخر لهنيهات .. قد يروق لك بعدها أن تبتدرها متهكما :

ــ : أأنت « الملكة » زنوبيا حقا يا زينب يا بنت المجانين ؟

انك اذا فعلت هذا ، فثمة أحد أمرين : اما أن يصافح سوطها الطويل وجهك أو .. ظهرك ، وفي هذه الحالة تأمن شرها فيما تكون أنت ، قد أطلقت ساقيك للريح !

●

يروون عنها ، ان أحدهم قد تناقل عليها ، وزاد في « نكرزتها » ، فأنشأ يردد على مسمعها في الصبح والظهر والمساء :

ــ : مرحبا يا زينب يا بنت المجانين !

فاذا كانت في عجلة من أمرها ردت بقولها :

ــ : مرحبتين !

واذا كان مزاجها رائقا نهرته ، وأجزلت له العطاء من الشتائم والسباب .

وفي يوم ، لقيها غريمها هذا ، وكانت في عجلة من أمرها .. حياها بطريقته الخاصة ، وقبل أن يغرق في ضحكته المشبعة ، سقط مغشيا عليه وقد تدفقت الدماء من رأسه بغزارة !

ولما أن حضرت هيئة الكشف ، قررت ان الرجل قد قضى متأثرا بجراحاته البالغة التي أحدثتها الملكة من خلال

ضربات « يد الهاون » التي أهوت بها على رأسه بقسوة وانفعال !

ويروون عنهـا انهـا ذكية ، فعندما وقفت في قفص لاتهام ، غصت القـاعة بالمحامين والشهود والنظارة من الرجال والنساء والاطفال ..

كانوا يتحرقون شـوقا لرؤية « الملكة » في القفص تزمجر غضبى ، كأنما هي ضبع كاسر ، في مشاهدة عامة ، يروضه صاحبه على الطاعة !

طالب ممثل الادعاء برأسها جزاء ما اقترفته يداها من جـريمة شنعاء ، وعـزا جريمتها الى سـابق التصميم والتصور !

وطلب اليهـا رئيس المحكمة ـ وكان متبرما بها ـ ان تدافع عن نفسها بعد أن رفضت توكيل محام ، فردت قائلة :

ـ : صل على النبي يا سيدي القاضي !

قال رئيس المحكمة :

ـ : اللهم صل وسلموبارك على سيدنا محمد ! وعاد يحثها على الكلام لتـدافع عن نفسها وعادت هي ترتجيه الصلاة على النبي !

ولثالث مرة طفق يردد الدعاء وهو يحرق الارم من الغيظ .. وردده معه أكثر الحاضرين .

نفد صبره ، وضاق صدره فصاح بها يائسا :

ـ : « وبعدين معك » .. ان عنـدنا أشغالا كثيرة يا هذه ، تكلمي .. أو انزل فيك أقصى العقوبات ..!

ضحكت « الملكة » بملء فيهـا ، وضحـك كل الموجودين .. كانت أية اشارة أو أية حركة تبدر منهـا كافية لاثارة عاصفة من الضحك أو من التصفيق ، فقـد كان موقفها أشبه بموقف أحدب نوتردام !

قالت هادئة : أو ترضى « قنـاعتك الوجدانية » ان تنزل فيّ أقصى العقوبات ، وأنا لم أتجاوز حقي في الدفاع عن نفسي ؟

رد رئيس المحكمة منزعجا :

ـ : انك تراوغين .. ولا مكان للمراوغة هنا !

هتفت عاجلة : انك قد ضقت ذرعا من الابتهال والدعاء والصلاة على النبي .. أفلا أضيق أنا ذرعا بما كان يزعجني به « المرحوم » من تحية سمجة مثيرة تدق أذني عشرين مرة في اليوم ؟

سألها القاضي : وماذا كان يقول لك ؟

قالت : مرحبا يا زينب يا بنت المجانين ! !

هذا هو الذي كان يقوله لي طوال اليوم !

قال : ومن هم شهودك على ذلك ..

التفتت زينب الى الموجودين وسرت بينهم همهمة .. ماذا عساها فاعلة .. أومأت نحوهم بسبابتها وقالت :

ـ : جميع هؤلاء يشهدون معي يا سيدي .. كما ان قناعتك الوجدانية خير شاهد !

وانطلقت أصوات تصيح وسط موجة من الضحك :

ـ : أجل يا سيدنا القاضي .. ان ملكتنا بريئة ..

ران الصمت على جو المحكمة ، واستسلم رئيسهـا الى التفكير ، ثم مال على اذن العضو اليمين ، فاذن العضو اليسار ، وحملق بدوره في وجه المتهمة !

قالت وعيناها تتوسلان : مالك يا سيدي القاضي .. هل لا زلتم تطلبون رأسي ..؟.. وصرخت : مالكم .. تكلموا .. انطقوا ، انني امقت هذا القفص !.. ونطق القاضي الحكم .. بالبراءة !

وعاد التصفيق والهتاف « بحياة العـدل » يشقان عنان السماء ، وصوت رئيس المحكمة يأتي خافتا من بعيد وهو يضرب المنصة بمطرقته الصغيرة صائحا :

ـ : « بلاش ضجة .. بلاش ضجة » !

●

كان منزلنا في حيفا يبعد عن مسكن هـذه المرأة مسافة طويلة .. لكنني ما كنت لأعير هـذا البعد أدنى التفات ، فما يكاد الجرس يقرع حتى أهـرع ونفر من زملائي ، وقد انطلقنا من المدرسة الى مسكنها لا نلوي على شيء !

كانت لنا بمثابة الحكاية الغريبة ، والاسطورة المنحدرة من ركام ألف ليلة .. كنـا نلهو ونمرح بالقرب منهـا ، وتتعمد اثارة حفيظتها علينا بوسائلنا الصبيانية ، فتخرج الينـا يسبقها سوطها الطويل يلهب أجسامنـا الغضة ، ويزمجر مدويا وراءنا ، تماما كما لو كان صدى متفجرة عميق المدى .

حتى اذا ما اتممت السنة الدراسية السابعة ، حلت في بيتنا كارثة ، انتقلنا اثرها الى منزل يقع في زقاق ضيق ملتو ، قريبا من بيت الملكة !

طرت فرحا أو كدت وأنا أعيش في رحاب « مملكة » زنوبيا الاسطورة المرحة .. فرحت بينا كانت مأساتنا بوفاة والدي تظلل سحاباتها السود أجواء حياتنا !..

كنت ادرك ان أقسام الحياة اما أن نكون قد عشناها فانقضت ، أو اننا نجهل ان كنا سنحياها !

غص بيتنا بصحبي واترابي يعزونني ، في حين كنت أحدس انهم في قرارة نفوسهم انما وفدوا علي من أجل أن يحظوا بـ « المتعة » في الضحك على المجنونة أكثر وأكثر ، وأن يقفوا على آخر ما ابتدعه خيالها الحصيف من مبتكرات!

وفي اليوم الذي تلا مجيئهم ، قدمت الملكة وطرقت علينا الباب !

وجف قلبي ، وتسارعت دقاته ، وأسرعت الى أمي أنقل اليها الخبر !

فتحت امي الباب ، ووقفت أنا بحذاء الملكة أرنو اليها عن كثب ، ووجيب قلبي يمعن في الخفقان !

قالت وهي تزوي ما بين حاجبيها :

ــ : أنا الملكة زنوبيا .. ملكة حيفا ! وثنت السوط على كلتا يديها ، فبدا معقوصا يتحفز !

ثم جالت بعينيها تفهقه ببلاهة !

هشت امي في وجه هذه الانسانة الغريبة ، ثم دعتها الى الدخول ، وجلة مترددة .. فرفعت هذه رأسها بخيلاء ، وارتدت قليلا الى الوراء ، وقالت بصرامة :

ــ : الملكة لا تزور ، ولا تزار !

ــ : لمه ؟

ــ : لأنها ملكة !

ــ : على رسلك اذن يا « صاحبة الجلالة » !

كذلك قالت امي ، وهي تهز رأسها حائرة ! أما « الملكة » فقد تأملت فيَّ برهة ، ثم أمسكت بطرف اذني تفركها بقسوة جعلتني أصرخ وقالت :

ــ : وأنت ؟ اياك أن تخرج على طاعتي أو تعصاني أنا هنا في الحي ، أفرض الطاعة على الجميع .. ان طاعة الملكة أمر واجب !

وتملكتني الجرأة فقلت اجيبها : أمر مولاتي .. المجنونة ! وانفجرت ضاحكا وأنا أتراكض جذلا يغمرني السرور ، في حين طفقت تصرخ متوعدة في وجه امي :

ــ : اذا لم يتب هذا الملعون أو يتأدب ، فسأعرف شغلي معه ، وسأعرف كيف أؤدبه !

ومضت الى منزلها المجاور تقهقه ، وامي الحائرة تشيعها بنظرات مختلفة الرؤى ، وتزم شفتيها بين الفينة والاخرى !

●

كانت زينب في العقد الرابع من العمر..وكان جمالها يضفي عليها حيوية اكسبتها اعتدادا بنفسها وطموحا .. فغدت أصغر من سنها بكثير ، حتى ليخالها الرائي عذراء صغيرة في عمر الورود .

وكانت قد سلخت بعضا من سني حياتها في بيت الزوجية ، وما تبقى ، دفنته بين جدران أربعة ، لا يراها أحد ولا ترى أحدا .. حتى اذا ما خرجت من وحدتها الكئيبة التي ترين عليها ، أقبلت على الناس على غير ما عهدوا :

بنطال صوفي كالذي يرتديه العسكريون ، وكوفية وعقال مقصب ، وموشى بألوان ذهبية ، وعلى كتفيها « شيء » كأنه بردعة من جلد ، وانتعلت قدماها حذاءً طويلا له وقع خاص كأحذية الخيالة .. وبين يديها سوط طويل أسود !

وأدرك الناس لتوهم انها جنت !

لم يجهدوا في معرفة السبب ، فكل ما يحيط بها كان يحكي مأساتها في عقلها !

فعندما كانت في مقتبل العمر ، كانت تشتغل معلمة في احدى مدارس الاناث الخاصة ، وكان زوجها موظفا مرموقا ودخله حسن .. وبعد سنوات عشر من زواجها رزقت بوحيدها « أحمد » ، لكن بسمة البشر ما لبثت أن ماتت على شفتيها وهي تذعن صاغرة لارادة القدر النافذة ، اذ لم تمض سنة اخرى ، حتى نفضت يديها من تراب زوجها ، اثر مرض السل الذي ألم به ، فعكفت على نفسها تعمل وتعمل لتعيل وحيدها ، وتنشئه تنشئة طيبة كان يريدها ابوه ، حتى اذا ما شب واستوى ، والفى

نفسه خـارج الطوق الذي أحكمته امه من حوله ، نزح الى الخارج طلبا في الرزق ، وتخلصا من تفاني امه الشديد في الحدب عليه ، فقد آثر حيـاة الاغتراب على البقاء في كنف الام الغريبة الاطوار !

وأفاقت على نفسها من هول الصدمة : الغلمـان والصبية من حولها يوغرون صدور بعضهم بعضا عليهـا ويرشقونهـا بالحجارة ، ويجرون وراءها صـائحين : مجنونة •• مجنونة !

كان يلذ لهم ايلامها وتعذيبها ، ويلذ لها بالتالي اللحاق بهم والجري وراءهم وصوتهـا يتدحرج في أثرهم طروبة مزهوة : أنا زنوبيا •• أنا ملكة حيفا !••

كانوا سعداء بذلك ، وكانت لا تقل عنهم سعادة •• رآهـا الجوار ذات يوم تبكي وتضحـك بعصبية ظاهرة •• كان نشيجها حادا مؤلما يمزق نيـاط القلوب ، وكذلك ضحكها فقد كان يحز في نفس كل من يسمعه !

أقبلت عليها مشفقا مترفقا ، وقد أثارت رؤيتهـا في نفسي مكامن الندامة والالم •• وقلت لها مواسيا :

ــ : مالك يا خالتي ام أحمد ؟••

لا ادري كيف نطقت بهذا ، رفعت رأسها الي ، وكأنها لم تصدق ما سمعته اذناهـا من صبي يحادثهـا دون أن يؤذيها أو يضحك عليها ••

وعدت أناشدها أن تتكلم •• قلت لها :

ــ : لم تبدين حزينة باكية يا ام أحمد ، هوني عليك نحن هنا في الحي ما عهدناك كذلك ؟

وحانت مني التفاتة الى يديها فألفيتهما قد اطبقتا على رسم لم استبن معالمه ، فلما الحفت عليهـا ، مالت علي ، وأخذت وجهي بين يديها تغمره بزفراتها ودموعها •• واذ ذاك عرفت في الرسم ابنها أحمد ، وعرفت انهـا تجد في كل فتى أحمدها ••!

راعني منظرها ضعيفة مستسلمة •• واهنة ، لقـد كانت المرة الاولى التي أراها فيها تطلق العنان لدموعها • كان سوطهـا ملقى الى جوارها باهمـال •• وقد بدت بثيابها العادية البسيطة أنيقة رقيقة الحاشية ، وغدت في تلك اللحظة أشبه ما تكون بأم رؤوم أمضتها حسـرات الفاجعة ، وكان دثارها الابيض يأتلق جميلا زاهيا في ضوء النهـار !

●

مضى على ذلك اليوم شهر ، لم تخرج خلاله من بيتها الا مرة واحدة •• كانت ذابلة العود ، محفورة العينين ، سابلة الجفون ، وكانت طوال اعتكافها موضع شفقة أهل الحي•• كانوا منذ أن جنت يمدونها بالغذاء والكساء •• فقد كانت على ما هي فيه ، أثيرة لديهم ، عزيزة عليهم !

حملت اليها بعضا من غذاء ، ودخلت عليها في غرفتها فاذا بها مسجاة فوق السرير تحملق مشدوهة بالسقف •• وتتمتم شفتاها بصلاة خافتة ، وتشوب وجنتيهـا حمرة طفيفة ، فأخافني حالها ، وتسمرت في أرضي ، وتوجست خيفة منها ، وخلت انها ستنقض علي دفعة واحدة ، لكنها تبسمت بوهن وقالت بحنو :

ــ : اقترب مني يا ولدي •• اقترب !

غاب صوتها ، وأطبقت عينيها ، كأنما لتغالب اعياءاً وشيك الحلول ! !

يا لهذه المجنونة كم بدأت أرثي لهـا ، لقد تغيرت تماما ، لقد هدّ المرض قواها مثلما هدّ عقلها ••

•• واقتربت ، وحملقت فيّ من جديد مشفقة ، ثم دفعت عنها ما حملته لها من زاد ، وتعلقت بيـدي تطبق عليها بشدة ، وتتلعثم قائلة بصوت خفيض متقطع :

ــ : سامحني يا ابني •• سامحوني •• كلكم ، انت وعلي ويوسف وحبيب ونبيل وعزيز وخالد و•• وأحمد !!

وفاضت عينـاها بالدموع السخينة ، وراحت تقول لاهثة :

ــ : اذكروا محبة **الملكة** لكم يا ابنائي•• ولا تقسوا علي بذكراكم •• وأنت ؟ هل تحبني •• أتحب خـالتك ام أحمد ؟

هـزت رأسي ببطء وأنا أرتجف ، فضغطت يدي شاكرة مشجعة •• وقد خـانتني قواي فلم انبس ببنت شفة !

وهنا ، انتابها سعال جاف ، فتناولت من تحت وسادتها منديلا أبيض بدا أحمر قانيا !! لقد أدركت انه « السل »

البقية على الصفحة (٣٤)

موعـــــــــد

شعر : أحمد الصافي النجفي

غدا موعدي مع ذاك الرشا فحق لدربي أن يفرشا

أخاف أعربد ان ألقه من الآن قلبي منه انتشى

سأقطف من خده وردة وأغرسها في صميم الحشا

وأرشف من ثغره خمرة مدى العمر تمنع ان اعطشا

فياسعد كفي اذا جمشت ويا سعد ثغري اذا خمشا

فآخذ من حسنه ما اشاء ويأخذ من مهجتي ما يشا

اطالع في الافق طول الدجى ترى نور الصبح أو غبشا

سأحييك يا ليلة القدر أنت لألقى غدا صبحك المنعشا

فيارب تبعد عنا الرقيب وتجعل ناظره أعمشا

ولا صوت الا لطير شدا وساري النسيم اذا وشوشا

يغني فيسكرني صوته فأنسى أم كلثوم والاطرشا

خذ العيش وارم بمن شوشا لعرض الطريق ومن هوشا

ودعهم حثالة هذي الحياة فهم بقر أو معيز وشا

متى ما مررت بهم تستمع لهم فاحش القول والافحشا

فلا تلق يوما لهم ناظريك والا يصب ناظريك العشا

وبادر حياتك في خلوة بروض جليسك فيه رشا

فصير حديثك همسا له فان يستمعه نسيم وشى

ولا تودع السر الا له فلن تجمع السر اما فشا

ومن شفتيك لثغر الحبيب حديثك حتى يحل الحشا

وخذها قوافي ان أنشدت تروع الكسائي والاخفشا

ولو تليت سالفا اخرست جريرا وحسان والاعمشا

وتطرب غسان ملك الشام وكسرى ونعمان والمرقشا

فلا كقريظي ما رقشا ولا كخيالي ما نقشا

أنا... والعدم... والقلب الصغير!..

● **قصة بقلم : عادل سلوم**

كان الوقت مساء .. عندما بصقتني بوابة السينما الانيقة ومعي آلاف الضائعين امثالي الذين دخلوا يتلقنون مبادىء الحياة .. ومعنى الصراع من رقعة قماش بيضاء لا حس فيها ... ولا حياة !!

كنت في الداخل اختبيء في الظلام أرقب الوجوه وهي تتلون لمرآى قبلة مسعورة .. أو تصفق لمشهد أخرق من بطولات الغرب الزائفة .. وخرجت أرقب نفس الوجوه .. تحملق ببعضها بغباء عجيب .. وتسير في الشوارع الصاخبة المزدحمة بالاجساد المسيرة بشبق مجنون .. وسعار أهوج .. وقهقهات مزعجة كعويل الكلاب ! ! !

وضعت يدي في جيبي وخضت غمار التيار البشري المتدافع على الرصيف .. الحقيقة انني بدأت أعشق هذا الصخب .. رغم أني كنت متيما بالوحدة كأنها عذراء فاتنة .. ماذا حدث اليوم ؟!

من المؤلم جدا أن ينقلب الانسان هذا الانقلاب الشنيع في مبدأ حياته .. مبادىء الحياة ؟! وضحكت .. لقد دست على ذلك منذ أمد بعيد .. لعلها هواية جديدة .. بيد أني لا اعرف متى بدأت ! !

أشعلت سيجارة ووضعتها في زاوية فمي .. رغم أني كنت أشعر بمرارة مقرفة ... فأنا لم آكل شيئا منذ مدة طويلة .. وتحسست جيبي .. كنت املك عدة ليرات هي كل ما تبقى لدي من راتبي الذي بددته في أيام معدودات .. استطيع أن اصرف ربع ليرة ثمن « سندويتش » أسد به جوعي .. وهذا أفضل بكثير من أن أعود الآن الى البيت لآكل .. واستمع الى الاسئلة المنهالة من فم أمي الذي لا يرحم !!

ودخلت محلا عاما .. وفي الزحام هناك ، صدمني وجه اعرفه جيدا وأمقته كثيرا .. جلست قربه .. وراح يحدثني وهو يحشو فمه الكبير .. كان له وجها باهتا غريبا .. كأنه مطاط شد الى عظام جمجمته شدا .. وعينان غائرتان في وجهه كأنهما خجلتان من صاحبهما ..

ـ مرحبا ... ماذا تفعل هنا ؟! عندما بدأ حديثه شعرت برغبة بالبصاق ..

ـ لقد جئت لآكل شيئا ... من منا لا يأكل هذه الايام ... الحقيقة انه لم يبق لنا مانفعله .. الا أن نأكل .. وننام ! ...

وقهقه بصوت عال .. وظهرت اسنانه النخرة ... والاطعمة المترسبة على لسانه ... فنهضت عن الكرسي وغادرت المكان قبل أن أتقيأ وأقذف كل ما في معدتي ! !

تابعت السير من جديد .. من الممتع أن يسير الانسان وحده .. ان هذه الوحدة تتيح له أن يقف في المكان الذي يعجبه .. ويتفرج على المنظر الذي يستهويه دون أن يجد اعتراضا أو تذمرا منا احد ..

كنت أسير وأنا احملق في الوجوه بفضول عجيب .. كأنني أبحث عن انسان معين .. وفجأة .. شعرت ان حصاة صغيرة قد دخلت حذائي .. وراحت تؤلم اصابع قدمي بشكل لم استطع احتماله .. فجلست على عتبة مخزن مغلق .. وخلعت حذائي !!

كان الناس يمرون قربي .. ويحملقون بي كالقرود .. مستنكرين همجيتي وجلوسي على عتبة المخزن وسط الشارع ! !

« أي ضير في ذلك أيها الحمقى .. كلكم تملكون أقداما كقدمي .. أنا لست مشوها .. ولا أتسول منكم شيئا ... انني احاول اخراج حصاة تؤلمني » .

لا ريب انهم يريدون مني ان أحتمل الالم ... وأن أدمي شفاهي من كثرة العض في سبيل ان اظهر راقيا... متمدنا ! !

هذا هو ناموس العصر .. يجب أن نكبت كل ما يربكنا ... ونكظم كل ما يسعدنا ... ونخنق كل شيء يمكنه أن يحقق لنا سعادة فردية ... وذلك ليرضى المجتمع ... ويعتبرنا في صفوف المتمدنين .. أبناء القرن العشرين ...

وبصقت على الارض .. ولم ابال بنظرات السخرية والاستهجان التي سلطت علي .. وعدت من جديد أترنح على الرصيف ..

كنت أسير قليلا .. ثم أقف ... وادور الى الخلف.. ثم أعود من حيث أتيت .. أحب أن افعل ذلك دوما ... لا ريب انني ــ بطريقة ما ــ اريد أن أشعر انني انسان حر !!

من يستطيع منعي من ممارسة هذا الحق ؟!

وتوقفت امام محل للازياء النسائية .. كانت الواجهة الزجاجية مزدانة بشكل بديع جدا .. والتماثيل تحمل الفساتين المختلفة الالوان والموديلات .. كل فستان يحمل بطاقة صغيرة تشير الى ثمنه الفاحش .. الثمن الذي لا يحلم رجل مثلي بادخاره طيلة عام كامل ! !

الشيء الذي لم افهمه بعد .. كيف تسمح الحكومة بهذه السرقة العلنية ؟! السرقة التي منح محترفوها (رخصة) خاصة يمارسون بواسطتها لصوصيتهم ! !

نعم انها لصوصية يغذيها كريستيان ديور وغيره من حثالة اليهود الذين لا يجيدون الا هذه الاعمال ..

ومن المؤسف ان بعض فتياتنا يندفعن الى مطالعة مجلات الازياء وتقليد الفتيات الغربيات .. وممثلات السينما .. اكثر من اهتمامهن بقضايانا الوطنية.. وتكالب الاستعمار على بلادنا ..

ان المرأة عندنا ... ولكن ... ما الفائدة من هذه الافكار الهوجاء !!

وتابعت النظر الى الفساتين الانيقة .. الاصفر المكشوف عند الصدور .. لو كنت املك ثمنه لاشتريته من اجل سلمى ... سد ...

وتذكرتها فورا !!

فركضت .. وركبت الباص الذي أقلني الى شارع كبير .. وفي نهاية الشارع هبطت .. ودخلت أحد الازقة الضيقة .. ثم توقفت أمام باب كبير وقرعت الجرس !!

وفتحت سلمى الباب .. وهي تتثاءب ، انها رغم حبها الشديد لي .. تتثاءب باستمرار كلما رأتني .. لا ريب ان منظري .. يوحي اليها بالنعاس .. دخلت البيت وجلست في مقعد مريح .. بعد أن تجمعت على نفسي كأنني أخاف ان يفاجئني انسان ما بصفعة على رقبتي .

وجلست سلمى قربي .. وراحت تحدق في وجهي ، فشعرت بارتباك فظيع .. أخذت انظر الى حذائي واقلب قدمي يمينا وشمالا وكأنني اعرف لأول مرة انني املك قدما يمكنني تحريكه كما اشاء ..

ــ حسنا .. حدثني قليلا عن نفسك .. ما ذا تفعل هذه الايام .. منذ مدة لم أرك ؟!

ولم أجبها بشيء .. بل تابعت النظر الى حذائي .. وتقليب قدمي ..

ــ لماذا لا تقول شيئا ؟! هل جئت لتصمت كعادتك ؟!

ولاحظت ان ذبابة صغيرة قد حطت على حذائي فرفعت قدمي الثانية وقربتها بهدوء وحذر محاولا .. ولكنها.. طارت فجأة !!

فنظرت اليها باستغراب شديد ، هذه اللعينة رغم صغرها وتفاهتها استطاعت أن تقرأ افكاري .. وعرفت انني أدبر لها مكيدة لقتلها ..

ــ لقد ازدادت شحوبا وهزالا .. ألا تزال تسير

كثيرا •• وتهوى السهر كعادتك ؟!

بدأت سلمى تتلمظ •• بدأ لعابها يسيل •• لقد تحركت أنياب فضولها السوداء •• تريد أن تعرف شيئا عني •• تريد أن تعرف مدى صمود الانسان امام الانحطاط العصري ورفعت رأسي اليها •• كان شعرها الفاحم يحيط برأسها كدائرة عريضة من القمة الشاحبة •• وحولت رأسي عنها كي اقاوم الرغبة التي قامت في نفسي والتي تدفعني لأن أمرر أصابعي بين خصلات شعرها الدافيء ••

ـ هل يهمك أمري حقا يا سلمى ؟!

وأحنت رأسها دون أن تقول شيئا ••

ـ لماذا لم تتزوجيني اذن ؟! •• لا ريب انها لم تكن تنتظر هذا السؤال مني فارتعدت في مكانها •• ونظرت الي ثم تمتمت بلوعة مجروحة ••

ـ اني احبك يا وليد ؟! وصرخت بوجهها ••

ـ ولكنك تحبين المال أيضا •• وتحبين المظاهر •• انت امرأة عصرية •• عندما ظهر لك صاحب الصلعة اللماعة •• والكرش البارز •• وصناديق المال •• بصقت على كل حرف من كلمة حبي •• وتزوجت منه ! !

أين هو الآن يا سلمى ؟! ألا يزال مسافرا في حلب من اجل امواله الطائلة ؟! حسنا ••• ثمة فكرة مدهشة أود أن أعرضها عليك ، وزوجك غائب •• وانوثتك تحتاج الى من يترفق بها •• ما رأيك لو تحتضنين عند النوم بعض مجوهراتك وعدة فساتين من فساتينك الانيقة •• علها تعوضك عن دفء زوجك الذي ترينه احيانا شيئا كأنه المستحيل ! !

ـ وليد •• ارجوك ••

ـ ماذا جرى يا سلمى ؟! ألم تتزوجينه من أجل ماله •• كي يوفر لك مظهرا رائعا •• واناقة فائقة •• لقد نلت كل ما كنت تحلمين به •• ولكنك خسرت نفسك كانسانة •• كامرأة ••

لقد بعت نفسك يا سلمى الى رجل لا تحبينه من أجل المال •• والرياش ! !

وقامت سلمى عن المقعد •• واحمرت وجنتاها ••• وبدأت أصابعها الشمعية الجميلة ترتجف •• ووقفت عند النافذة برهة زفرت خلالها زفرة ملتاعة ثم التفتت الي وقالت بعصبية ظاهرة ••

ـ وماذا بعد ؟! انا احبك •• وانت تعلم ذلك •• لقد عرضت عليك كل شيء ولكنك رفضت ••

ـ هه •••ما ذا اسمع بالله ؟! انت تعرضين علي شيئا ليس ملكا لك •• ان ما تريدين تقديمه ليس الشيء الذي أبحث عنه •• لقد كنت اريدك انت قبل ان تبيعي نفسك، ولكنك رفضت •• عندما ظهرت لك الرياش •• والاموال •• انت الآن ملك رجل آخر •• ولن اكون اللص الذي يسطو على شيء ليس له •• لقد مت في نظري منذ امد بعيد يا سلمى •• واذا كنت احضر اليك بين فترة واخرى •• فذلك لانني احب دوما أن ألعق بعض ذرات من تراب باهت •• اسمه ذكريات ! !

ـ لقد بدأت اذن •• تفلسف لي حبك ؟ !

ـ أبدا يا سلمى •• أنا احبك •• هذا صحيح •• ولهذا لا أرضى أن أخونك •• ان كل ما تعرضيه علي الآن ساعة لذة في احضانك الباردة •• أنا لا أشتهيك اليوم •• الانسان العاقل لا يشتهي جثة تتحرك ••

ـ ماذا تريد مني اذن ؟! ولم أكن أتوقع السؤال اطلاقا •• وفي ذهول عجيب قلت :

ـ ماذا اريد منك ؟! ماذا اريد من نفسي ؟! ماذا اريد من العالم كله ؟! هذا هو الشيء الذي لم اكتشفه ولم أعرفه •• لو كنت أعرف ما اريد لارتحت من هذا القلق الذي اتخذ مخبأ أمينا في نفسي •• انني أبحث عن شيء لا أرى له خيالا واضحا في عالمنا هذا •• لا اعرف ان كان في السماء •• ولكني سأجده يوما صدقيني •• اني أحتاج الى الوقت فقط •• الوقت مشكلة كبيرة تواجه حياتي • اننا نكره الانتظار دوما •• ونكره الشيء الذي يأتينا

بلا انتظار •• المسألة كلها •• ملل •• وسأم •• ووحشة لا تنظري الي هكذا يا سلمى ••• يخيل الي وأنا اسبر اغوار عينيك •• انني أعود الى أزمنة سحيقة •• انك تعودين بي الى أيام الدراسة •• والتعليم •• والجامعة • والزمالة •• وحبنا البكر يومها •• حبنا الذين كنت تقولين عنه « انه لن يموت الا يوم تموتين » وقد صدقت لقد مات حبنا •• ومت انت ! !

اني أرى يديك الآن •• وأذكر لاول مرة حملت بهما اللافتة الكبيرة معي •• أيام المظاهرات •• والفرنسيين • والنضال من أجل يوم أسمر يشرق على بلادنا •• كيف مات كل هذا يا سلمى ؟! كيف ؟! لا حاجة بك للاجابة • أنا ذاهب الآن ؟!

وقمت من المقعد المريح••ونظرت اليها •• الى عينيها الهاربتين دوما •• الى الحنان الاسمر الذي يشع من خدودها الوردية •• وقلت هامسا ••

ـ هل يسيئك أن تعلمي •• انني •• ما زلت احبك يا سلمى ؟ !

واعترتها رعدة خفيفة •• لا ريب انها لم تكن تنتظر هذا الاعتراف مني •• فأطرقت برأسها الى الارض •• وارتمت خصلة بنية من شعرها على جبينها الوردي •• ثم انفرجت الشفاه المرتعشة الكسولة عن اسنان نظيفة كصفحة وجهها •• وتمتمت ••

ـ ولكنك منذ لحظة كنت تقول انني مت •• وانني مجرد جثة تتحرك ؟ !

ـ هذا صحيح يا سلمى •• اني احب فيك الفتاة الماضية التي أحبتني •• زميلة الدراسة •• ورفيقة النضال •• احب سلمى التي أخرجتني من عزلتي الابدية وصمتي الكئيب •• ولكن هذه الفتاة ماتت •• وأنت لست الا رمزا •• أو تمثالا لها ••• وأني أحب هذا التمثال ـ

احبه على طريقتي الخاصة •• الطريقة التي لايمكنك معرفتها •• وداعا •• يا سلمى ! !.

وعدت من جديد الى الشارع •• الى الضجيج الذي أعشقه والصخب الذي أهواه ••

عدت أتشرب التفاهة من الشارع •• وأعب في عيني القلق المصلوب على الجباه المتعبة ••• ما زلت أحملق في كل وجه أراه وكأنني أبحث عن انسان معين ••

عدت أدق الرصيف الجامد بأقدامي التعبة ، وأنا أسير واتلوى كالثعبان من شارع الى آخر •• ولم يخطر ببالي مرة أن أعود الى البيت الا عندما تقفر الشوارع من زبانيتها •• ولا يبقى الا خيالي الذي يتأرجح دائما بجانبي على أوساخ الارض •• عند ذلك فقط ـ أعود • لأتخثر في النوم وأتميع مع هلامية أحلام تافهة عن الغد !!

الغد ؟! هل نملك الغد ؟! وهل ساعدنا العلم على امتلاكه ؟! أبدا •• لقد تعلمنا شيئا واحدا •• ان الانسان لم يملك الامس•• ولا يملك اليوم••ولن يملك الغد !! اننا ندرك هذا ادراكا عميقا ••

ونحس به احساسا رهيبا ، يشل كل شعور طيب ينبت ويزدهر في نفوسنا •• نحن أبناء الجيل الضائع •• أبناء الجيل المهزوم ! !

لقد هزمتنا الآلة •• وهزمنا القلق •• بأقانيمه المفجعة ••

ان كل ما تقوم به اليوم في مضمار الادب •• أو الفلسفة •• أو الفن وكل ما نحاول ادخاله من تجديد على العلم •• ليس الا خوفا ناجما عن ادراك عميق •• عميق •• بأننا نفقد انسانيتنا •• ونفقد لوننا البشري ! !

حسنا •• سأنام الآن •• وأستيقظ مع ميلاد يوم آخر•• لأعود الى اجترار المأساة من جديد••والاشتراك في نسج التفاهة التي تلف الجميع ! !

لقد فشلت في حياتي •• وفشلت في صداقتي •• وفشلت بمعرفة نفسي •• ومات كل شيء بي الا جسدي ومات حبي مع الخريف وآرامه الباهتة •• فماذا اريد بعد ؟ ! بل ماذا أفعل ؟!

وتحت الغطاء السميك •• وجدت الجواب •• لقد نمت ! !

عادل سلوم

كتلة الطين

شعر : علي دمر

لماذا أعيب بغيري الصفات
لماذا أقول صحابي انطووا
وأتهم الناس في خلقهم
أنا مثلهم في جميع الامور
أنا وهمو معدن واحد
اذا كان آدم جدي هفا
فماذا أكون أنا يا ترى
ونحن بنو آدم كلنا
فلا يرشقن امرؤ غيره
ويفخر بالنبل دون سواه
فياكتلة الطين من آدم
يخصص بعض بنيك لهم
ويرمون غيرهمو بالهوان
ويا كتلة الطين سادت على
فينسب بعضهمو للسماء
ويسكن بعضهمو في القصور
ويملك بعضهمو كل شيء
فيحتكر الارض مزدانة
ويري سواه ببعض الفتات
ويهتف هذا مراد السماء
فيا كتلة الطين يا أمنا
حنانك ما ذا يقول بنوك
ألا تستطيعين تأديبهم
أما زال أطفالك العابثون
ألا يكبرون ألا يعقلون
فيمحون فكرة شن الحروب
ويا أرض يا أمنا رحمة
أظلي الجميع بعطف الجميع

وكل العيوب أراها بيه
على الغدر يا ويح أصحابيه
وأنسى مساوىء أخلاقيه
فما خصص الطهر يوما ليه
لآدم تنسب أخطائيه
وأخطأ في الجنة العاليه
أمن غير تربته الخاطيه
سواء بنو الطينة الغاويه
بسيل من التهم القاسيه
وينسب للاسر الراقيه
ويا معدن الانفس الضاريه
بروجا من النسبة الصافيه
ولؤم أصولهم الدانيه
بنيك مفاخرة جانيه
ويرمي سواه الى الهاويه
ويرمي سواه الى الباديه
واقدام اخوته حافيه
بخيراتها السمحة الوافيه
لتحيا على اللقم الباقيه
فقد ورث الملك أجداديه
ويا لحد أعظمنا الباليه
ألم تسمعي الضجة الداويه
وتزويدهم بالنهي الواقيه
يعيشون بالنظم العاتيه
فيمشون في الطرق الهاديه
وتكرار مأساتها الداميه
تباركت يا أمنا الحانيه
وحب السلامة والعافيه

علي دمر

توماس هاردي

بقلم محمد سعيد الكيلاني ـ بانياس

لقد أثار انتاج هاردي وقصصه ـ بشكل خاص ـ جدلا عنيفا أيام حياته .

فالمواضيع التي طرقها ، وفلسفة قصصه الاخيرة أمثال : (جود المغمور) وسواها ، كانت من النوع الذي يثير النقد ، بين اولئك الذين يعيشون في حاضرهم ، ويعجزون عن فهم ان الكاتب العظيم ، يمكنه أن يعيش في حاضره كما يعيش في مستقبله .

انه يهتم بالاشياء العامة والابدية . بينما ينحصر اهتمام الناقد في دائرة ضيقة ، في الوقت الذي يعيش به ، وفي الاشياء السطحية .

هذا ، وان الجلبة التي نتجت عن تشاؤمه المزعوم ، وما عزي اليه من انه لا يحافظ على تلك القواعد التي يهيم بها النقاد ، هذه الجلبة قد خمدت اليوم .

وأما الانتقادات التي وجهت اليه من الكهان والمتحذلقين فقد نسيت . وهو يحتل الآن مكانته الثابتة بين اولئك الذين يؤثرون النظرة البعيدة للحياة البشرية . تلك النظرة التي تقول : (ان الظروف السابقة تقرر الوضع الحاضر) .

ولم يفعل الزمن شيئا للتقليل من أهمية كتابات هاردي ، بل ساعد على ابراز صدق خياله واخلاصه ، كما ساعده على عمق مفهومه للمأساة ، وتثبيت مركزه الخالد في الادب الانكليزي .

ولد هاردي في « دورشستر » ١٨٤٠ وتلقى ثقافته الاولية في مدرسة القرية . وكان والده معمارا ذا مكانة مرموقة ، كعامل ماهر في مجتمع القرية .

وفي ١٨٥٦ ترك هاردي « المدرسة البريطانية » في دورشستر ، والتحق بمهندس ، ليعمل مهندسا معماريا في شركة .A.W في (بلوم فيلد) .

وفي ١٨٦٧ عاد الى السيد (هيكس) مستخدمه الاصلي .

وتبدأ اولى تجاربه في كتابة القصة من تلك الفترة .

بيد أن أول قصصه لم تنتشر الا ١٨٧١ و ١٨٩٧ .

وبنشر قصة The well Beloved ١٨٩٧ هجر الكتابة القصصية وكرس ما بقي من حياته للشعر . هذا القرار في ترك الكتابة القصصية معزو الى قبول غير مستحب واجهه به النقاد في رواية (جود المغمور) ، تلك القصة التي رماها اسقف ـ ويكفيلد ـ بالنار .

وأعظم حدث مهم في حياته الاخيرة هو نشره بين ١٩٠٣ ـ ١٩٠٨ للاجزاء الثلاثة من مسرحيته الروائية الكبيرة المسماة (بالسلالات) .

غير ان الشرف والشهرة اللذين تنكرا له في العصر الفيكتوري قد أغدقا عليه من كل ناحية .

فان رتب الشرف ، والشهادات العلمية الفخرية ، والمنح الدراسية ، والعضويات الفخرية قد انهالت عليه من كل جهة .

كما منح عضوية فخرية في RIBA (المعهد الملكي للمهندسين المعماريين) . وعند موته ١٩٢٨ دفنت عظامه في دير ـ وستمنستر ـ . ولكن قلبه دفن في باحة كنيسة ـ ستنسفورد ـ في ويسكس ، التي أحبها الحب كله .

أما بالنسبة الى ادب هاردي ، فليس في عناصر فنه ثورة أو تجريبية .

كان يستلهم وحيه من أرياف جنوب انكلترا . من وسكس . كما كان يسمي أرياف (همشاير . دورست ورتشاير ...) بأسمائها ، حيث تجري حوادث قصصه التي ترتبط كتابته بها وتقاليدها واخبارها وتاريخ شعبها الارتباط كله .

ولد في دورست قلب ويسكس . وبقطع النظر عن

الفترة الوحيدة من عام ١٨٦٢ – ١٨٩٧ فقد عاش هناك طوال حياته .

الا ما كان من زيارات مناسبة اعتيادية . ذلك هو العالم الذي عرفه كثيرا ، بقدر لا يمكن معه لأية قوة خيالية أن تبعده عنه ، الى حياة حلقات لندن المزيغة ، مع انها أكثر اتصالا بالعالم .

وكان أقل قصصه توفيقا : تلك الملهاة الاجتماعية عن الطبقة – فوق المتوسط – التي وضعها في محيط غير مألوف لديها . كما في (يد اثلبرتا) و (لا اويسن) .

ان حياة عمال البساتين والمزارعين وبنائي السياج وحصادي الاعشاب ، الذين وضعهم بخيال قوي فعال ، أقول : ان هذه الحياة جزء أساسي من حياة وسسكس الفنية .

فالبساطة والعاطفة في أكثر أشخاص قصصه ، تنبعث من التربة السوداء التي يرتبطون بها بقوة يائسة . وهي التي تعطي صورة قاتمة لحياتهم القصيرة المحزنة .

ان قوة الشخصية عند (كبريل اوك) و (كايلز وينتر) و (ميشيل هنتشرد) ... ذات جذر عميق في بساطة الريف وديمومته . كما ان الاشخاص الثانويين في القصة هم من نفس المادة .

فهؤلاء حكماء منذ القديم ، تعلموا أن يتحملوا الصعوبات ويقبلوا ذلك . وان تعليقات السيد – كاكسوم و (من قصاصي الاعشاب) مأخوذة كلها من البيئة .

وهي مسائل تتعلق بأمور لا مناص منها . كحقائق الولادة والموت والحب .

هذه الشخصيات الثانوية تهيىء بيئة من بشرية قوية بسيطة ساخطة ، لاتستسلم للشخصيات الاساسية (وهي الاكثر عاطفة وثورة وحزنا) التي ولدت بينها .

ان الطبيعة المتكررة ومناظر ويسسكس ، جزء أساسي في كل قصة . والطبيعة والمناظر ، لا تشكل أكثر من اسس رومانتيكية ساحرة تبنى عليها القصة كما في : Under The grcenwoodtree Tree وفي أحيان اخرى كما في الصورة التي يقدمها عن شخصيات (Egdon heeth.) التي لا يمكن أن تنسى في (رجوع المواطن) .

هذا التأثير يسيطر ويجعل كل شيء قزما بالنسبة اليه أيضا . وفي هذه الرواية تبقى الشخصيات في جميع الانحاء رمزا للعالم المؤتلف . فوجه المرج الهادىء ، الذي تحدى هجوم التغيرات الطبيعية خلال قرون ، جعل من هذا الغليان للفرد شيئا تافها .

وفي Tess of The Durbe rvilles نشعر بوجود الطبيعة القاتم . كما ان (مايكل) بطل القصة يذهب الى كوخ منفرد فوق المرج ليموت منفردا . ان قوة التخيل والخيال الشعري ، اللذين يجعلان وسسكس عند هاردي وشعبه الريفيين ، حقيقة ، هما سبب رئيسي لجعله في عظمته كفنان يهتم بالمأساة .

وباستثناء قصصه : تحت الشجرة الخشبية الخضراء يد اثلبرتا ، اثنان فوق برج فان مصدر وحي قصصه هو الايمان بأن الرجال والنساء في كفاحهم للسعادة هم تحت رحمة قدر قاس .

فهو يعرف أول لحن حقيقي عن الحزن الانساني في : Far from The moding Crawd . كما ان القدر الذي لا يمكن توقعه يأخذ في قبضته معظم الشخصيات في القصة ، ولا يطلق سراحهم الا عن طريق تحملهم للآلام ، وغموض الالم ، ومأساة صراع الانسان ضد القوى التي تعترضه ولا يفهمها .

كل هذه الاشياء تصل الى قمة التعبير في قصة (رجوع المواطن) (ساكني الغابات) . وينهمك الرجال والنساء معا في كفاح غير متكافىء مع الظروف والمصادفة المشتركة والعاطفة ، ويسيرون الى النهاية التي لا محيص عنها .

كما ان تفاعلهم مع الاحداث يوصف في مناظر فيها قدرة هاردي على الوصف ، وهذه المقدرة تشتد بعمق مشاعره .

فالابتداء القاتم لقصة (عودة المواطن) ، (ومنظر المقامرة تحت ضوء اليراعة الاخضر) ، (وليلة يوستاتيكا الاخيرة) ... وسواها ...

هذه المناظر كلها ومناظر اخرى كثيرة ، هي من المقياس الضخم . وليس هناك ما يجاريها في شعور المأساة الشديد وجمالها الحي في انتاج أي كاتب انكليزي آخر .

لقد انتقد هاردي كثيرون بسبب تشاؤمه وقدريته .

ولا شك ان هنـاك بعض اللحظات في قصصه فيها كفتا الميزان ، ورجحت اللغة الثانية بصورة آلية ضد السعادة البشرية كما في قصة (جود المغمور) •

ولكن علينـا ألا ننسى في التقدير النهـائي لنبوغ هاردي ، أن الارادة أو التصميم على الحياة ، والتفتيش عن السعادة ، تستمر في أشخاص الرجال والنساء فيمـا يكتب ، ولا تتأثر بمأساة اللامبالاة في العالم الخارجي •

ومع ان (تس) (هنتشرد) (يوستاتيكا) ••• هذه الروايات كلها لا تصل الى مستوى شخصيات البطولة ، ولا تلقي عليه شيئا من ضوء العظمة كما رأينـا في رواية (همالت) (لير) (ماكبث) •

فنحن نحترم هـذه الشخصيات ، ويبعث مصيرها المحزن في القارىء الرفع من معنويات الانسان الذي هو المقياس النهائي لكل فن عظيم •

هناك نقاط ضعف في زمن هاردي ، يعترف بها نفسه• فقد كتب في مناسبة : (هدف الخيـال الحقيقي هو بعث السرور بالاكتفاء بالحب غـير الاعتيادي ، في التجربـة الانسانية ، اما في العقل أو الجسم) •

لقد كان من الممكن ان توجد نتائج سيئة جدا لمثل هذا الاعتقاد في كاتب أقل مستوى من هاردي • ولكن افضل قصصه كشفت عن سيطرته على المادة التي يكتب عنها • بحيث ان استعماله احيانا للحوادث التي فيهـا افراط ومبالغة في المأساة ، أقول : يضيع هذا الاستعمال في عظمة تخطيطه للقصة وتنفيذه لها بشكل عام •

ولكن اذا كانت سيطرته على مادتـه أقل كمـا في (لا اوديش) و (يد اثلبرتا) ، فان كل ما يقدمه لنا هو اشخاص وحوادث لا نراها عادة •

والاساليب التي يستعملها Dar النذل في الرواية السابعة للوصول الى مأربه ، كزيارته للمدرسة في الغابة، وخدعته التي استعملها فيما يتعلق بصورة (سومرست)، فيها جو غير واقعي تماما كما في وجود اثلبرتا وطالبي يدها الثلاث في فندق (روان) •

كما يوجد ايضا جو غير واقعي يحيط بانتاج اثلبرتا الادبي •

والتفسير لكل هذا ان مقدرة هاردي على الابداع في التصوير كانت محدودة •كان يشعر بسهولة العمل في ريف وسيسكي وبين قاطنيها •

فاذا انتقل ليتحدث عن الحياة الاجتماعية في لندن ، وجدنا ان التأثير فقد صفة الاقناع •

ان المصادفة والمبالغة في المآسي التي ادخلها في مجتمعه قد تصبح عنيفة وغير ممكنة ، بل هي تشويه غير واقعي لحوادث المجتمع في غرفة استقبال بلندن ومعالجة العقدة بصورة آلية مشابهة ، هي نقطة الضعف الاساسية لتلك الرواية التي كثيرا ما بحثت وانتقـدت وهي (جـود المغمور) •

واذا كان الاسقف قد رماها في النار لاسباب فنيـة ، وليس لاسباب اخلاقية ، فهناك بعض التبريـر البسيط لعمله ، بسبب فشلها الفني • لأن هاردي يشوه عن عمد ، ويزيف القصة ، لكي تسير الى أبعد مدى في تشويه القدر ولا مبالاته ــ كما يعتقد هاردي ــ •

ان زيادة افراط الفقر والشقاء الذي يجعله المؤلف يهبط على (« Sne » و «Jude») وألم الحياة التي لا تأتيها مواساة مطلقا يجدها القارىء اكبر من ان يقبلهـا اعتقاده •

في هذه المرحلة تصبح القصص مجرد شخصيات آلية• فالعاطفة الصحيحـة التي ظهرت بقوة في قصص هاردي مفقودة •

ان الخيال الحساس الذي ترتكز عليه جذور كفاحه كروائي ، قد وجد طرقا متنوعـة للاعراب عن نفسـه في الشعر الذي ظهر بعد قراره في التخلي عن كتابة القصص ١٨٩٦ •

وهذه الصورة فيها ارتباطات انسانية عميقة ، وصورة ساخرة للحياة ، وصورة للطبيعة ــ وقد لاحظتهـا عين محبة ، ووضعت بتحر للحقيقة قوي ــ • وهي صورة عنيفة قاسية ، تلونها وجهة نظر الشاعر القاتمة ، لضعف الانسا ن في كفاحه ضد القدر •

وهي ايضا صورة ينقلها الينا في كل الضروب الشعرية المتصورة : من اصغر القصائد الغنائية ، من طراز غـير عادي ، الى طراز ملاحم للدراما ، الى المسرحية الشعرية الهائلة المسماة (بالسلالات) The Dynashe ويعطينـا

هاردي في هذه المأساة تعبيرا اكثر دقة عن آرائه التي استوحاها لرواياته المحزنة .

فالقدر المتسلط اللامبالي ، والذي خيم على ابطاله وبطلاته ، قد تحول الان في المسرحية الشعرية الارادية الداخلية . وهي قوةمهددة يفسرها لنا في الرواية ثلة من الاشخاص غير العاديين يسميهم الارواح أو العقول The spirits or inteligence . وهم يشكلون نوعا من المناقشة السماوية عند استعراضهم الحوادث التاريخية ايام نابليون .

وقد استعمل هاردي كل القوى التي يملكها في تلك الفصول من رواية السلالات التي تدور حول المأساة البشرية المتمثلة في تقدم نابليون المؤكد ومقاومة انكلترا لـه .

وهناك نرى — للمرة الثانية — فلاحي ويسسكس من رجال ونساء يعيشون على صفحات رواية السلالات، ويشاركون هاردي في حيويته المبدعة ، مع القواد والملوك الذين يقومون بدور لا شعوري في المسرحية الابدية للقدر .

ومن المتحتم ان توجد نقاط ضعف في مثل عمله الضخم الذي يتألف من فصول متكاثرة .

هناك لحظات يبدو فيها العنصر غير الطبيعي وكأنه مقصود ، كما يبدو جهاز الارواح في الرواية مصطنعا .

وكانت قريحته تتدنى أحيانا ، ويصبح شعره سطحيا وعلى وتيرة واحدة . ومع ذلك فهذه الاخطاء تتلاشى وتصبح تافهة اذ يتحقق القارىء شمول الفكرة والابداع العام في التمثيل .

ان الخيال الذي أوحى اليه برواية السلالات والقصص الاخيرة ، يظل ثابتا في شعره الغنائي والتأملي . وقد نشر من هذا الشعر تسعة مجلدات .

في هذا الشعر الغنائي يتأمل الحب والموت والطبيعة، بطرف رقيق ساخر ، معطيا المجال الكامل للناحية التقليدية والمضحكة في رواياته .

وضمن المجال الضيق للمقطوعات الصغيرة الشعرية، تتضح تفاصيل اسلوبه بصورة أقرب الى الفهم .

وكان يجهد نفسه احيانا للبحث عن تعبير خاص به في استعماله للغة . وهذه اللغة مزيج من الالفاظ التي أولدها بنفسه ، أو استعملها من تعابير قديمة ولهجات محلية والفاظ فنية .

ولكن على الرغم من كل الجهود فقد كانت التعابير غير شعرية .

تمكن هاردي في قليل من قصائده أن يصل الى البساطة المرموقة ، تلك التي أحلته مكانة مرموقة بين اعظم شعراء بلاده .

ومن سخرية القدر ان قصيدته الغنائية التي تعبر بوضوح وعظمة عن قوة الجنس البشري التي لا تغلب ، ومقدرة ذلك الجنس على البقاء ، اصبحت من اشهر قصائده .

(مع ان كل رواياته وقصائده الاخرى تبحث عن ضعف الانسان امام القدر) :

انه رجل يشقق كتلة التراب
في سير هادىء بطيء
ومعه جواد هرم يتعثر ويهز رأسه
وكلاهما يسير مغمض العينين من النعاس
ويبدو دخان ضئيل دون لهب
من اكوام العشب اليابس
ويبدو ان ذلك سيستمر
مع ان السلالات تنقرض
هناك فتاة تسير وفتاها
يتهامسان معا
ان حوادث الحرب تنقضي في الليل
قبل أن تنتهي قصة حبهما .

لاحظ هاردي — بعين شاعرة — الصقر عند انبلاج الصباح مع سقوط الندى . وجمال ليالي الشتاء المتألقة بالنجوم . لقد كانت له عين تجلو مثل هذا الغموض ، ولكنه اهتم ايضا بالاحساسات الغامضة للنساء والرجال، ومصيرهم المرتبط بالارض .

وفي تعبيره عن ذلك ، بقصصه واشعاره ، وفي وصفه البديع لموسيقى البشرية الهادئة المحزنة ، تكمن عبقريته الاساسية .

محمد سعيد الكيلاني
بانياس

« حلول »

ورغم اساري

منحتك عهداً ...

خليع العذار !

وألفيت عندك

في ظل ليلي ...

ألف نهار !

نوافير طيب !

ووجد حبيب ،

وشبابة في يدي عندليب ؟ !

أطليت بالبوح ، والاغنيات

فكنت حياتي ! ! ..

وفي ناظريك استحمت ، قوافل

من ذكرياتي ؟ ! ..

عواصف فلٍ

وثغر مظلِ

على ضفتيه ،

التشاويق تغلي ! ...

وأنّى أطيق ...

وعندك من كل زهر رحيق!..

فساقية من صهير الرخام ...

وذوب العقيق ! ..

وضفة حسن ،

طليق التمني ،

تعرى وأورق ،

في كل غصن ! ..

فاما عرفتك ، أهوى شراعي ...

الى كل قاع ! ...

وغيض بصدرك ، في ظل بوحي ...

كل امتناع ! ...

فدكت سدود ،

وأهوت حدود ،

وعانق قلبك

قلبي الودود ! ! ؟ ! ....

دمشق : **فؤاد العادل**

الى مصر الحبيبة

في عيد الثورة

للشاعرة عزيزة هارون

عيد يمور به السني عيد المنى ... أفديه في شفة الخلود ملحنا
أنا ما عرفتك يا جمال بسهجتي ... لو لم تشد لي في ربوعك موطنا
العيد عيد الشعب في لألائه ... العيد عيدك انه عيدي أنا
ماذا أحس وفي دمي ألق الضحى ... اني أحسُّ العيد مشبوب السنا
النار من أعماقه وثابة ... والفارس العملاق يهتف معلنا
الصوت صوت الشعب في أشراقه ... هدم القصور على الطغاة وما انثنى
رشوا على العيد الحبيب طيوبه ... ما أجمل العيد الحبيب مزينا
غنوا له نغم الفداء وسحره ... الثورة الشمَّاء يطربها الفنا
هلَّت على شعبي ندىً وعذوبة ... وتفجرت نعمى وفاحت سوسنا
من فرحة الفقراء صغت قصائدي ... من زغردات الريف صغت الميجنا
من ثورة الاحرار في أبداعها ... عاد الكفاح المرُّ معسول الجنى
شعبي الذي بلى العذاب ملونا ... يطغي على الاعصار حراً مومنا
لا ظلم بعد اليوم يرهقنا ولا ... غدر ولا أملاق يرهب جيلنا
النيل يهدر نشوة سحرية ... جزلان يرفل بالسعادة والهنا
خيراته نعم تهيم طروبة ... النيل يعلم أنها ردَّت لنا
يا عزَّ يعرب للنبوَّة والهدى ... يا عزَّ يعرب تستظلُّ به الدنا
الشمس في ألوانه مسحورة ... تختال من زهو تعانق زهونا
شبه يؤلّف بيننا من عهدنا ... شبه الصراحة والمروءة والغنى
يا ثورة الاحرار شقي في الذرا ... انا لنبعث في شعاعك حلمنا
يا ثورة الاحرار في أوطاننا ... لمّي على عهد العروبة شملنا
يا مصر أهدتك العروبة قلبها ... لمَّا لمسنا في جمالك قلبنا
يرنو اليك الشعر في نفحاته ... ويذوب في نعماء حبك ان رنا

عزيزة هارون

كـن الهـاً ...

اليـه .... الى متعجرف

غازلتـه مفـاتن الذهب العـذب — فأمسى مـن سحرهـا مخبـولا
ورآهـا ـ وهو الكمي يخر النجم — مـن بأسـه الامرّ جـديلا
تخفض الهـام وقـدة عينيـه — وتعنو لديـه عبـدا ذليـلا
فارتقى للاثير ، يحشد سرب الزهر — يجنـي لرأسـه اكليـلا

* * *

يتهادى كالديك ، يرفـل كالغيـد — يضوع الجـلال منـه بليـلا
واذا مـا ادّنيت منـه اراك الـ — ـعجب في بردتيـه يجري ثقيـلا
واذا ما اردت منه خطـابـا — رمت امـرا يذيقـك التنـكيلا
أنت . من انت ؟ كـي تفوز بلطف — من عظيـم ينـافس التنـزيلا
أوترى من جـلالة العـاهل الفرد — ولاء أو بسـمـة أو جميـلا
أنت عبد .. وهو المليك .. فسبح — باسمه . والثم الثـرى والذيولا
أنت . لا عقل ، لا معارف ، لا رأي — جهول . وهـل تجهل جهـولا ؟ ؟
هو مولى السبائك الصفر فاخشع — لعـلاه . وأحسـن التذليـلا
قـد كفـاه التبر المصفى كمـالاً — وكفـاك العـدم الاصم خمولا

* * *

أيهـا السيـد الذي غره المـال — وجـاه ، لابد مـن أن يـزولا
جـانب العجب والتكبر ، ان العـ — ـجب والكبـر يرذلان الفضيـلا

* * *

كـن الهاً .. أو ماردا يقف النجـم لديـه ، سهل القياد ذلولا
وازرعنّ الخيال... ان شئت أحلاما لطافا ... كي تحصد المستحيلا
ما علينـا من عـار ذلك شـيء بل علينـا أن نسخـرنّ طويـلا

جبلة : **محمد علي اسبر**

الامراء الشعراء

بقلم : محمد ثابت أبو دان

لا أكون مبالغا اذا قلت أن أدبنا العربي قد عرف كثيرا من الخلفاء الشعراء الذين كانوا يقرضون الشعر في مجالس اللهو والمجون والشراب ، يصفون به الجواري الحسان والاباريق والدنان بالاضافة الى الغلمان . شأنهم في ذلك شأن من عاش في ذلك العصر الذي دعاه الدكتور طه حسين بعصر الشك والمجون والشراب(١) .

واذا ما رجعنا الى كتب الادب قديمها وحديثها رأيناها تذكر لنا من هؤلاء الامراء الشعراء الرشيد والمأمون والمنتصر بالله والوليد بن يزيد وابن المعتز وكثيرون غيرهم مما يضيق المجال بذكرهم .

ولنبدأ بالرشيد فقد كان ينظم الشعر في مجالس الشراب وفي أوقات اللهو والمجون ، غير أننا لا نعرف له سوى أبيات قليلة جاءت متناثرة في كتب الادب ومعنى هذا أنه كان مقلا في شعره ، وهذا انموذج من شعره :

ملك الثلاث الآنسات عناني
وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطيعني البرية كلها
وأطيعهن ، وهن في عصياني

وما ذاك الا أن سلطان الهوى
وبه قوين — أعز من سلطاني(٢)

وأما المأمون فقد قال لنا صاحب كتاب جواهر الادب أنه كان ينظم الشعر ولكنه لم يبرع فيه ولم يبدع في النظم .

تروي كتب الادب أن الخليفة الرشيد كان يتوضأ وكانت تصب له الماء جارية حسناء ، ودخل ابنه المأمون (دون أن يراه الرشيد) وأخذ يغازلها فأومأت له بحاجبها أن أقصر الآن ، وكان أن أبطأت في صب الماء على يدي الرشيد فأدرك أن ابنه المأمون يغازلها ، وهنا التفت الى المأمون وقال له : لو شرحت لي ماذا فعلت مع الجارية في أربعة أبيات من الشعر لوهبتها لك ؟

وهنا قال المأمون على الفور :

ظبي كتبت بطرفي — من الدموع اليه
قبلته من بعيد — فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد — بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني — حتى قدرت عليه

فضحك الرشيد ووهبه الجارية .

وقصة ثانية تظهر لنا بداهة المأمون وسرعته في قول الشعر . فقد حكى لنا صاحب كتاب جواهر الادب أن المأمون جلس يوما للحكم بين الناس ، وكان آخر من تقدم اليه امرأة عليها هيئة السفر فوقفت بين يديه وأنشدت :

يا خير منتصف يهدى له الرشد
ويا اماماً به قد أشرق البلد

تشكو اليك عميد القوم أرملة
عدا عليها فلم يترك لها سبدُ

وابتز مني ضياعي بعد منعتها
ظلما وفرق مني الاهل والولدُ

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه اليها وقال :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد
عني وأفرح مني القلب والكبدُ

هذا أوان صلاة العصر فانصرفي
وأحضري الخصم في اليوم الذي أعدُ

والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا
ننصفك منه والا المجلس الاحدُ

وفي اليوم الموعود جاءت المرأة مع خصمها وحكم المأمون بينهما بالعدل .

أما الخليفة المنتصر بالله فقد كان ينظم الشعر أيضا غير أنه كان مقلا . فما الشعر عنده الغاية التي ينشدها والهدف الذي يسعى اليه ولكنه أسلوب من الاساليب

---

(١) حديث الاربعاء الجزء الثاني .

(٢) هاتف من الاندلس لعلي الجارم .

التي يستطيع بواسطتها شرح أحاسيس الفؤاد . ومن شعره قوله :

متى ترفع الايام من قد وضعته
وينقاد لي دهر علي جموح
أعلل نفسي بالرجاء وانني
لأغدو على ما ساءني وأروح

أما الوليد بن يزيد فقد وصفه الدكتور طه حسين في كتابه حديث الاربعاء بقوله « كان خليعا ماجنا تبعه أبو نواس في خلاعته ومجونه وتبعه غير ابي نواس من شعراء هذا العصر ، فسطوا على شعره وسرقوا معانيه وألفاظه وكان مكروها من بني العباس لأنه كان أمويا » وكان يعد من أشعر الناس فقد دخل مروان بن ابي حفصة على الرشيد ، فسأله عن الوليد فتردد ، فأعفاه الرشيد من آثار قوله فقال : كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس وأنشد هذه الابيات :

ليت هشاما عاش حتى يرى
مكياله الاوفر قد أترعا
كلنا له الصاع التي كالها
فما ظلمناه بها أصوعا
لم نأت ما نأتيه عن بدعة
أحلّها القرآن لي أجمعا

قالوا فأمر الرشيد بهذه الابيات فكتبت له[1] .

وقد رمي الوليد بالالحاد والزندقة ونسبا اليه أنه مزق القرآن الكريم وقال :

اذا ما جئت ربك يوم بعث
فقل يا رب مزقني الوليد

كما أنه كان يشرب الخمر كغيره بل أكثر وهو القائل :

يا أيها السائل عن ديننا
نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفا وممزوجة
بالسخن أحيانا وبالفاتر

وأبو شاكر هذا هو مسلمة بن هشام الذي كان يرشح للخلافة مكان الوليد[2] .

جميع هؤلاء الامراء الشعراء ما قالوا الشعر الا في مجالس الشراب ، وأما الخليفة الذي أخلص للشعر حق الاخلاص ، واعتكف في محرابه فهو « ابن المعتز » هذا الشاعر الذي نشأ نشأة بؤس وفاقة ، فقد قتل جده الخليفة وهو ابن اربعين يوما وقتل ابوه الخليفة أيضا وهو طفل صغير ، لكنه تأدب على أيدي مؤدبين من خيرة مؤدبي عصره ، وكان شغوفا باللهو والشراب محبا للجمال . كان له جارية تدعى « نشر » وكان له غلام مليح يدعى « نشوان » فكان يلهو مع هذه ومع ذاك . يحدثنا طه حسين في كتابه « من حديث الشعر والنثر » أن جعفر بن قدامة ، دخل مرة على ابن المعتز فوجده محزونا شديد الكآبة لأن نشوان قد غضب عليه ، ولم تستطع القصائد الجياد أن تعطف قلب نشوان على ابن المعتز الذي قال في احدى قصائده التي أرسلها الى نشوان :

بأبي أنت قد تماديت في الهجر والغضبْ
واصطباري على صدودك يوما من العجبْ
ليس لي ان فقدت وجهك في العيش من أربْ
رحم الله من أعان على الصلح واحتسبْ

قال جعفر : فنهضت ودخلت على نشوان وما زلت أداوره حتى رضي[3] .

ولابن المعتز الباع الطويل في فن الموشحات فله الموشح الجميل :

أيها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع
كلما فكر في البين بكى
ويحه يبكي لما لم يقع ...
غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى

وأخيرا لو أننا ذهبنا نتحدث عن الامراء الشعراء لطال بنا الحديث ولضاقت بنا الصفحات . وحسبنا أننا قد استطعنا أن نلم المامة صغيرة بهذا الموضوع الضخم المتشعب الاطراف وأن نكوّن عند القارىء الكريم فكرة عن هؤلاء الامراء الذين استطاعوا أن يجمعوا بين السيف والقلم وان كان سيفهم في الحكم مغلولا وباعهم في الشعر طويلا .

بقلم : **محمد ثابت ابو دان**
« كلية الحقوق »

(1) حديث الاربعاء لطه حسين الجزء الثاني ص ١٤١
(2) المصدر السابق .
(3) من حديث الشعر والنثر ص ١٦١

الاقصوصة واثرها في التوجيه

بقلم : سليم زهدي

يتوجب[1] علينا قبل كل شيء ، أن نعرف شيئا عن الاقصوصة ، وذلك حتى يتسنى لنا ، أن نتفق على تعريف لها ، وبالتالي أن نحكم على اطارها الفني ، هل هو اطار متكامل أم لا ... ومن ثم هل هي تجربة ناضجة ، أم أنها تعاني أزمة النضوج .

فالاقصوصة[2] عبارة عن حادثة يرويها الكاتب ، وتتعلق بشخصيات انسانية مختلفة ، تتباين في أساليب عيشها وتصرفها في الحياة ، وهي تتناول قطاعا أو شريحة من الحياة ، يعتمد الكاتب في ابرازها بصورة متألقة واضحة المعالم ، بيّنة القسمات ، بحيث تؤدي الى ابراز فكرة معينة . والاقصوصة لا تعتمد كما في القصة على الاحداث والشخصيات وتفاعلها مع بعضها الآخر ، بقدر ما تعتمد على ما ينتظم بين الشخصيات من علاقات ، وعلى مدى تأثيرها بالبيئة .

ولئن كانت القصة تصوّر فترة كاملة من الحياة ، فان الاقصوصة تصور حادثة خاصة ، أو حالة شعورية معينة ، وهي تدور في محور واحد ، وفي خط سير واحد ، لا تشمل من حياة أشخاصها الا فترة محدودة ، لهذا فان الاقصوصة ، تعتمد على قوة الايحاء والتأثير ، قبل أن تعتمد على الحادثة أو الشخصية ، لذلك كان من الضروري أن تتبع طريقة أداء موحية ، منذ اللحظات الاولى ، وأن تعتمد على تعبير لفظي حافل بالصور والظلال والايقاع ، ذلك لان الفرصة التي أمامها محدودة ، وهذا مما يحتم عليها التركيز والاندفاع ، ولقد أكد (براندر ماتيوز) في كتابه « فلسفة الاقصوصة » ، على وحدة التأثير وقال : انها الفارق الاساسي بين القصة والاقصوصة .

وهنا تظهر عبقرية القاص ، في نقل القاريء الى حياة الاقصوصة ، بحيث يدفعه للاندماج التام في جوها ، ويحمله على قبول الاحداث ، والاعتراف بالشخصيات بصورة منطقية ، ولا يفترض بعد هذا ، أن يكون القصاص واقعيا ، بحيث يقدم لنا من الاحداث ما وقع فعليا على مسرح الحياة ، ولا من الشخصيات ما لها وجود فعلي في سجلات النفوس . المهم هو أن يكون قادرا على اقناع القاريء ، بامكان وقوع هذه الاحداث وبامكان وجود مثل هذه الشخصيات .

وهنا تكمن نقطة ، وهي أن من واجب القصاص أن يقوم بعملية نخل وغربلة ، واختيار للحادثة أو للحالة النفسية التي سيجعل منها أقصوصة ، ذلك لان ليس كل ما يقع أو يلاحظ من حوادث ، أو حالات ، صالحا لان يشكل أقصوصة .

واذا كان يشترط في القصة أن تبدأ من نقطة معينة ، وتنتهي بنقطة معينة ، فيكون لها بذلك بداية ونهاية ، فان الاقصوصة لا يشترط لها بدء ونهاية ، فقد تصف حالة نفسية اعترت شخصا ما ، في لحظة ما ، فاذا صورتها صورة مؤثرة موحية ، فقد انتهت مهمتها . أما اذا عالجت حادثة ذات أثر معين في حياة معينة ، فيكون لها بدء ونهاية ، والحادثة في العموم ليس لها أثر واضح في الاقصوصة ، فهي آخر مقوماتها .

والعناصر التي يمكن أن تسود الاقصوصة ، تأخذ احدى الاشكال الآتية :

- سيادة الفكرة .
- سيادة الشخصية .
- سيادة الحادثة .
- سيادة البيئة أو الجو .

وأنجح القصص على الاطلاق ، هي هذا النوع الذي يبلغ به الايحاء والتأثير ، ما تبلغه القصيدة التي تصل بالنفس في نهايتها ، الى شعور مطلق مبهم ، ينسى معه

---

(١) الكلمة التي ألقيت في الندوة القصصية ، التي عقدت بدار المركز الثقافي العربي في اللاذقية ...

(٢) اعتمدنا في اعداد هذه الدراسة ، على كتابي « فن القصة » للدكتور محمد يوسف نجم ، و « النقد الادبي » لسيد قطب .

القاريء الاحداث الجزئية ، والمعاني التفصيلية ، تماما كما تضع المقطوعة الجيدة من الموسيقى .

ونستطيع أن نجد أمثال هذه القصص ، عند كتاب الغرب « كسومرستموم » في أقصوصة « الاحمر » ، التي قدمتها السيدة أمينة سعيد في مجموعتها « أمطار »، و« زفايج » في أقصوصة « رسالة من امرأة مجهولة » ، التي قدمها محمد قطب في مجموعته « سخريات صغيرة »، وأيضا « غي دي موباسان » فان أغلب أقاصيصه من هذا الطراز ، ومن هذا الاتجاه في اللغة العربية « قنديل أم هاشم » ليحيى حقي ، و « وسوسة الشيطان » لعبد الحميد جودة السحار .

نستطيع بعد هذه اللمحة السريعة ، أن نقول بأن للاقصوصة اطاراً فنيا متكاملا ، له مقوماته وأسسه التي تعتمد على القيم الشعورية ، والقيم التعبيرية ، التي تعني بالاسلوب الفني ، وبطريقة العرض ، ومن الخطأ أن نقول بأن الاطار الفني للقصة ، مشابه للاطار الفني للاقصوصة ، ذلك لأن الاقصوصة لا تعني « قصة صغيرة » كما يعتقد البعض ، بل انها تعني ثورة على القصة ، فكلمة « نوفيل » معناها « جديد » ، ومن هنا نعلم مقدار الاختلاف بين القصة « Roman » ، وبين الاقصوصة (Nouvelle)

وطالما أن للاقصوصة اسلوبها الخاص ، وطريقتها الخاصة في التعبير وترتيب الحادثة ، أو الحالة النفسية ، ترتيبا منطقيا مقبولا ، فاننا نستطيع ان نقول ، ان الاقصوصة فنا من الفنون الادبية ، تشبه بقية الفنون الادبية ، كالشعر مثلا ، وطبعا فان القيمة الفنية لكل اقصوصة ، تختلف باختلاف امكانية القاص ، وبراعته الشعورية والتعبيرية في انتهاج الاسلوب والطريقة .

ان أول اقصوصة ظهرت في الادب العربي ، هي « المقاومة » ، ومعنى هذا أن للاقصوصة جذورا في أدبنا العربي ، ولكن الاقصوصة بمفهومها الفني الادبي ، قد برز ظهورها على أيدي « غي دي موباسان » ، وقد دخلت الينا عن طريق التراجم ، حيث أخذ كتابنا في محاكاتها ، والنسج على منوالها ، باديء ذي بدء ، وذلك قبل أن يتوصلوا للابداع والخلق . وهذا يعني بطبيعة الحال ، أن الاقصوصة دخيلة على أدبنا ، اذا حاولنا أن نقيس المقامة ، بالمقاييس الفنية الحديثة للاقصوصة .

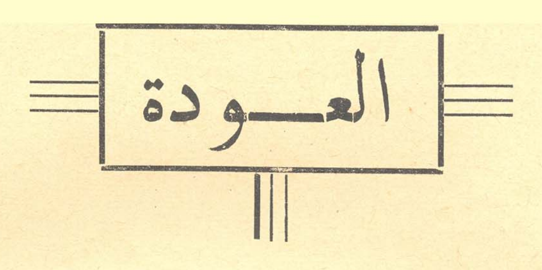
وللاقصوصة أثرها الواضح في حقل التوجيه ، ذلك لانها تتصف بالمرونة ، وأنها صالحة لأن تخوض جميع المواضيع الاجتماعية ، والقومية ، والثورية ، وقد ظهرت الكثير من الاقاصيص التي تحمل على مبدأ الفساد الاجتماعي ، وتعني بالقضايا الانسانية ، ولن نتقصد فنضرب أمثالا من الماضي البعيد ، بل نضرب أمثالا مستمدة من حاضرنا « كحادثة شرف » للدكتور يوسف ادريس ، و « انسان فوق الجسر » لعثمان سعدي ، ومن المعلوم ان امكانية الاستفادة من الاقصوصة في حقل التوجيه ، يتبع نفسية القاص ، وحالته الشعورية العميقة ، التي تشعره بالاحداث ، وتوحي له بالافكار .

والامة العربية أمّ قصاصة بطبعها ، فمن عندنا نبعت « يحكي لنا » و « كان ما كان » و « قال الراوي يا سادة يا كرام » و « زعموا أن ... » الخ ...، ومنذ القديم والصغار يجتمعون في المساء حول جداتهم يطلبون منهن رواية الاقاصيص ، ولا ينامون الا على « توتة توتة ، خلصت الحدوتة » ...

وحتى حديثنا اليومي ، لا يخلو من نزعة قصصية ، فالميل واضح لرواية الخبر العادي ، بالشكل القصيص ، ومعنى هذا أن الامة العربية نزاعة الى القصة ، محبة لها ، والاقصوصة بحد ذاتها ، تتلائم مع العقلية العربية ، ذلك لان اللغة التي تعبر بها الاقصوصة ، قريبة من لغة الشعر ، الذي يتعشقه العرب منذ القديم، اذن فالاقصوصة جوها شاعري ، وتعابيرها قومية راقصة ، وهذا مما يجعلها تنسجم مع عقلية العربي، المغرمة باللفظة الحلوة ، والعبارة المشرقة .

وفي اعتقادنا أن الاقصوصة ، ستنتصر في يوم ما على القصة ، ذلك لأنها تساير تسايرا منطقيا ، السرعة وضيق الوقت ، الذي يحتمه عصر الذرة ... عصر البناء والعمل . وعندما نقول تنتصر ، فلا يعني هذا أن القصة ستندثر وتختفي من الوجود ، بل يعني أن كثيرا ممن لا تسمح لهم ظروفهم ، بالتفرغ لقراءة الروايات الطويلة سينجذبون للاقصوصة .

اللاذقية : **سليم زهدي**



العودة

قصة

بقلم : جورج سالم

من الاصدقاء

ـ ماذا أفدت من رحلتك تلك يا شاكر ؟

كان هذا السؤال لا يفتأ يتردد في ذهنه ، والسيارة تسير متباطئة على عادتها ، وقد غصت بكتل من المسافرين من جميع الاصناف : أطفال يبكون ، ونساء يأكلن ، ورجال من مختلف الاعمار ، بعضهم نائم ، وبعضهم يدخن ويتحدث .

أما العم شاكر فقد جلس في مقعد في مؤخرة السيارة الكبيرة ساهم العينين ، شارد الذهن .

ـ ماذا أفدت ؟ لا شيء . وتلك الاحلام الكثيرة كلها ؟ لقد تبددت وحل حزن قاتم كثيف ..

منذ خمسة عشر يوما كان العم شاكر يجلس في مثل هذه السيارة وهو يتجه الى بلدته التي فيها ولد ونشأ وحاك نسيج ذكريات صباه . وحين صمم أن يعود اليها بعد غيبة طويلة ليستريح فيها أخيرا ، بعد تطوافه الطويل في الارض ، شعر بفرح لم يشعر به منذ أمد بعيد : منذ أن ودع الافراح . فهيأ أمتعته القليلة وركب السيارة في الصباح الباكر ، وانطلقت به على رسلها تقف في كل قرية فيود لو يستحث السائق الى أن يطير بسيارته طيرانا . كان طوال الطريق يضحك ويمزح ويروي نكات قديمة عاشها وأخبارا سمعها وحوادث جرت له خلال حياته الطويلة . وعجب الركاب أشد العجب لهذا الشيخ الذي يتجاوز الثمانين ، كيف يحتفظ بهذه الحيوية وذاك النشاط ، وكيف يتحلى بهذه الروح السمحة الخفيفة الظل ، ولم يكتف بهذا بل راح يغني بصوت متهدج : « على بلد المحبوب .. » وكان شيء من الصفير يخالط صوته ، مرده خلو فمه من كثير من الاسنان ، ولكن الجماعة انسجمت معه وفرحت لفرحه ...

« على بلد المحبوب .. » .

وأية بلدة أعز عليه من بلدته .. وأطل بنظره وهو يرى الى السهل الفسيح الذي ظهر أمامه .. السهل الاحمر الخصب .. سيرى أهله وسيفرح بهم . لا شك أنهم يحبونه ويتمنون لقاءه . ان له اختين وأخا يعمل في أحد المعامل ، قد تزوج منذ أمد بعيد وله عدة أولاد بلغ كبيرهم السابعة عشر من عمره .. كم يود لو يتمتع بمرآهم . انهم كأولاده سواء بسواء .. وما دامت الظروف قد حرمته من الاولاد ، فلا أقل من أن يتعزى بأولاد أخيه . انهم على كل حال من لحمه ودمه .. لقد طلب مرارا من أخيه أن يرسل اليه صورة الاولاد ، ولكن أخاه لم يجبه الى طلبه .. لو أن معه صورتهم لأطلع الركاب عليها وحدثهم عنهم طويلا .. انه ليتذكر البكر منهم بشق النفس ، فمنذ عشرة أعوام حين مر على مدينته كان هذا طفلا في السابعة . لا شك أنه تغير الآن وأصبح شابا .. **أما بقية اخوته** فبعضهم من كان طفلا يحبو ، وبعضهم لم يكن قد رأى النور بعد ..

أية مفاجأة يحمل الى أهله بقدومه هذا ..؟ انه لم يخبرهم بذلك ، ستكون المفاجأة هكذا أعمق وأجمل .

حين توقفت السيارة نزل العم شاكر منها وتفقد سلة تين الصبير واطمأن عليها . لم يستطع أن يشتري غيرها هدية . كانت تلك كل ما يستطيع أن يحصل عليه .

ـ ماذا أفدت من رحلتك تلك يا شاكر ؟

وضحك ضحكة صفراء .. ثم مد يده الى جيبه فأخرج منها صورة وراح يمعن فيها النظر .

أتكون هذه الصورة كل ما أفاده من هذه الرحلة الطويلة الشاقة ؟

انها صورته هو وقد جلس على كرسي قديم ، والى

جانبه وقف شاب صغير لم يتجاوز السابعة عشر من عمره ، أبيض الوجه ، طويل القامة ، ضعيف البنية .

وقرب الصورة من شفتيه وطبع عليها قبلة وشرد ذهنه ..

مال اليه المسافر الجالس الى جانبه :

ـ من هذا يا عم ؟

ـ **غسان ابن أخي . انه شاب وسيم** ، أليس كذلك ، وأراد أن يحدثه عنه ، وأن يقول له انه نجح في شهادة الكفاءة وانه سيتابع .. وأنه ... لكن المسافر مال عنه وهو يتمتم :

ـ فهمت ، فهمت ، ظننته ابنك .

وغصت الكلمات في حلقه وسكت .

حين وصلت السيارة الى مدينته ، كانت الساعة تقارب الثانية عشرة ، ولم يبلغ بيت اخوته الا في الساعة الواحدة لكنه طرق الباب بحماسة ، وما أن فتح الباب حتى ارتمى على أعناق اخوته يقبلهم وهم نصف أيقاظ . ولم يستطع أن ينتظر الصباح بل طلب الى أخيه أن يوقظ ابنه غسان واستيقظ غسان الا انه لم يعرفه أول الامر . اذ رأى فيه شخصا أسود الوجه أشعث الشعر .

قالت له امه :

ـ قبل عمك يا بني !

أحس بقلبه يوشك أن يطير فرحا . ان حياته **كلها** تجمعت في تلك اللحظة ، وما كان يراه حلما غدا الآن حقيقة . وراح يتفرس في وجه كل من أفراد الاسرة على حدة ، وابتسامة عريضة تملأ وجهه .

ـ الحمد لله !

ثم تفرس في الدار التي نشأ فيها ، واستنشق هواء بيته ، وشرب من البئر ماء باردا .

ونام في تلك الليلة نوما عميقا هانئا فرحا ...

ـ ألا ليت الليالي كانت متشابهة .

لماذا لم يخبرهم منذ الاسبوع الاول بما بيته في نفسه من رغبته في البقاء في مدينته ، بين أهله ، بعد أن هجرهم طويلا ؟ أتكون نفسه قد خافت أن تلقي اليهم بنبأ هذا العزم ، ولم تخاف ؟ أليس هو أخاهم الاكبر الذي رعاهم أطفالا وتعهدهم شبابا ؟

في اليوم الثاني لمجيئه ، زارت بيت اخوته عجوز طالما كانت تتردد عليهم . وسأل العم شاكر ابن أخيه :

ـ أتعرف هذه ؟

ثم ابتسم ابتسامة عذبة وهو يهز رأسه .

ـ السيدة نجيبة ؟ وهل تعرفها أنت ؟

ـ نعم لقد عرفتها يوم كانت في مثل سنك . كانت جميلة القوام ولم تكن الشيخوخة قد أعملت يدها في وجهها وظهرها وجلدها . لقد كانت من أجمل الفتيات ، وكانت تحلم بي زوجا لها .

ـ ولماذا لم تتزوج منها ؟

ـ لم أشأ أن أتزوج ، أردت ان ابقى طليقا كالطائر ، أتنقل من مكان الى مكان ، الا ان هذا الطائر لم يعد له الآن من مأوى . أود أن أبقى عندكم .

قال غسان :

ـ أهلا وسهلا .

ثم ذكر توا ما قاله أبوه لامه :

ـ عسى ألا تكون زيارته طويلة .

●

تتوقف السيارة الكبيرة بين فترة وفترة لينزل منها عدد من الركاب الى قراهم ، ويصعد آخرون غيرهم ، الا ان العم شاكر لايشعر برغبته في النزول لتنشق الهواء ، لأن نفسه حزينة ..

حين نزل المسافر الغليظ الذي كان بجانبه ، ابتهج قليلا وأخرج الصورة من جيب سترته .

سأله ابن أخيه وهما في طريقهما الى المصور :

ـ ما عملك يا عم ؟

ـ ليتك زرتني يوما ، فلو انك فعلت لأريتك المدينة الصغيرة التي سكنتها شبرا شبرا ، وأخذتك الى السينما .. و ..

ـ وكيف كنت تعيش هناك ؟

ـ كنت أعمل في دار للسينما .

ـ في السينما ؟ !

ـ نعم . احضر الافلام كلها ، ثم انظف الارض بعد خروج المرتادين . لقد كرهت هذا العمل فقررت أن آتي اليكم ، أقضي بقية أيامي عندكم .

ـ نعم .

أعطاهما المصور نسختين من الصور فقدم العم شاكر احدى هاتين الصورتين الى ابن أخيه :

ـ احتفظ بهذه ، سأحتفظ أنا بالثانية .

ـ ولكن اذا كنت تريد الاثنتين ، فلا بأس .

واعجباه ، ألا يريد الاحتفاظ بصورتي ، بصورة عمه وقد جلس الى جانبه وأحاطه بذراعه .

ـ حين يشيخ الانسان يصبح ظله ثقيلا ، ولا سيما اذا كان فقيرا ، أليس كذلك يا غسان ؟

ـ لا ، لا ، على العكس .

وهز العم شاكر رأسه .

ـ ماذا أفدت من رحلتك تلك يا شاكر ؟

لقد اعتنت به اختاه في الاسبوع الاول اعتناء كبيرا ، فنظفتا له ثيابه ، وأصلحتا قمصانه وجواربه ، وقدمتا له المآكل التي كان يحب .

ـ كل يا شاكر ، فانك لم تأكل مثل هذا الطبخ هناك ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، سلم الله ايديكم .

كانتا تلقيان عليه أثناء السهرة أسئلة لا حصر لها ، عن حياته وأيامه وعمله وعن كل ما يتعلق به من قريب أو بعيد .

وأحس بوشائج عميقة تربطه بهما ، فهو وحيد وهما وحيدتان .

وتساءلت الاختان فيما بينهما :

ـ ترى أتطول اقامته . لقد رآنا واطمأن بالنا عليه . انه في صحة حسنة وحيوية ممتازة .

وشعر شاكر بقطرات من الجفاء والجفاف ملأت الجو حوله ، ثم راحت تترسب أمامه .

قال لاختيه في نهاية الاسبوع الاول ، وهم يتناولون الطعام :

ـ بودي أن أمضي ههنا ما تبقى لي من أيام لا أظنها كثيرة .

فوجمت الاختان .. ثم لم تلبث الصغرى أن قالت وهي تغمز اختها :

ـ آه ! اذن فزيارتك طويلة الامد ..

ـ من يدري فقد لا تكون طويلة ..

فقالت الكبرى بحزم :

ـ من الخير أن تعود الى مدينتك ، فان بقاءك معنا يضايقنا ، وخاصة . .

ولم تتم جملتها ، الا انه فهم انها تشير الى هيئته وثيابه .

ـ ولكنني لن اثقل عليكما .

ـ نريد أن نعيش وحدنا .

ـ سأساعدكما في تنظيف البيت ، في شراء ماتحتاجون اليه .

ـ نستطيع أن نقوم بذلك بأنفسنا .

مالت السيارة ميلا كبيرا ، وهي تجتاز أحد المنعطفات فصحا العم شاكر من تأملاته ، ثم لم يلبث أن عاد يحدث نفسه .

ـ ما ضرهما لو أبقياني عندهما . انهما تعيشان في بحبوحة ، فعندهما كمية من المال في المصرف ، واختي الصغرى لا تزال تعمل في وظيفة وسيكون لها ذات يوم اذ تبلغ سن التقاعد مرتب حسن .

وامتنع عن المجيء الى البيت ظهرا في اليوم التالي وفي الايام التي تلته . فراح يقصد أخاه في معمله فيتقاسمان الطعام الذي يحضره أخوه معه .

ـ ما بك ، كل .

وسرد العم شاكر على أخيه ما دار بينه وبين اختيه .

ـ انهما أنانيتان ، ولولا ضيق يدي لاستأجرت بيتا آخر منذ زمن وعشت فيه وحدي مع اسرتي ، فليس بي

من رغبة في رؤيتهما ولكن ..

قال أبو غسان لاختيه :

ـ لم أظهرتما لشاكر هذا الجفاء ؟

فقالت الصغرى :

ـ وماذا تريد منا أن نفعل . لم نأكل خيره شابا ، لقد عاش بعيدا عن أهله ، يربح الاموال ويبددها ، فلم تريد أن نحتفظ به الآن وهو في هذه الحالة ؟!

وقالت الكبرى :

ـ لن يموت هناك جوعا ، فعمله يدر عليه مايكفيه ، ولا بأس في أن يزورنا بين سنة وسنة ، أما ان يبقى عندنا دائما ، فلا ..

ـ ولكنه أخونا وقد شارف نهايته .

ـ لماذا لاتحتفظ به أنت ، فتأمر زوجك بالاعتناء به ؟

ـ ان دخلي لا يكاد يكفيني ، وبيتي صغير كما تريان : غرفة واحدة للاسرة كلها ، أما أنتما ..

ـ لنا غرفتان ، اعرف ذلك .. لقد اشترينا منه حصته من الارث بمالنا الذي تعبنا فيه .

وصمت الاخ صمتا طويلا .

شعر العم شاكر أن الاحلام التي بناها ، انما كانت مشيدة على رمال واهية . فاستيقظ صباح هذا اليوم باكرا ، وجمع أمتعته .

ـ الى أين ؟

ـ سأسافر ، لقد رأيتكم جميعا بخير ، وسررت بلقائكم ، والآن يجب أن أعود .

ـ ابعد عدة أيام أخر أيضا ، لا بأس في ذلك .

كان في وده أن يبقى دائما ، وما دام رحيله أمرا لا مفر منه ، فلا فرق في أن يذهب اليوم أو بعد أيام .

ـ لا ، لعل أصحاب السينما ينتظرونني .

ـ لا تتعب نفسك كثيرا ، اشتغل على قدر طاقتك .

ـ طبعا .

ثم ودعهم وقبل أولاد أخيه ، وحين هم أن يغادر البيت التفت نحو ابن أخيه:

ـ هل ترافقني الى السيارة ، وتظل معي هناك حتى اسافر .

ـ نعم .

ومضى الاثنان .

ـ حاول أن تزورني يا غسان في هذه العطلة وفي كل عطلة.سأعطيك أنا اجرة السيارة ، ولن أدعك تركب مثل هذه السيارة الكبيرة . ستأتي وتعود في سيارة صغيرة . على كل لا بد من اخباري قبل ايام . اكتب لي رسالة وأرسلها الى سينما (د . .) هل تعرف لماذا ؟ لكي أغسل الشراشف وانظف البيت وانتظرك . أتعرف ماذا سأفعل بهذه الصورة ؟

ـ ماذا ؟

ـ سأعلقها في صدر غرفتي .

وانتهيا الى السيارة .

ـ سأعود يا غسان الى تلك البلدة الضيقة .

ـ وماذا ستفعل فيها ؟

ـ لا شيء .. سأنتظر .

ـ ماذا ستنتظر ؟

ـ أعتقد أنني أصبحت شيخا كبيرا . حين يشيخ الانسان يصبح ظله ثقيلا ، وليس عليه الا أن ينتظر الموت حين تنضج الثمرة وتكبر فليس أمامها الا السقوط .

●

قال المسافر الذي كان الى جانبه لمن حوله :

ـ اف . لقد أتعبني هذا الشيخ الخرف . انه لايفتأ يهذي ويحدث نفسه ويتكلم بصوت عال منذ أن انطلقت السيارة في الصباح الى الآن . ألا تسكت يا عم ؟

وسكت العم شاكر ..

جورج سالم

من الاصدقاء

« ثلوج »

* * *

شظـايا قُبَـلْ ،
وخفـق أمـل ! .
وفـلٌ وباسـمْ ،
وعـرس وخـاتَمْ ! ؟
ونـولُ نسيـجْ
ورجْـعُ نشيـجْ ! . .
يسـربل ليـلي
ويغـزل حـولي ،
خيـوط النقـاء
وبـوح السمـاء ! . .
فيـزهـر غضـنُ
وينهـدُ لحـنُ ! .
وتمحـي عـوالمُ
خلف الثـلوج ؟ ؟ ! ! . .

●

وأنقـل خطـوي
ومـوجك يطـوي . . .
خطـاي الـوئيـدة
ودربي البعيـدهْ ؟ ! . .
فأهفـو . . . .
لأعـراسي الضـائعهْ ! . .
وأحضـن . . . .
آمـالي الجـائعهْ ! . . .
فـلا نجم . . . .
يومض في المنحنـى ! . . .
ولا فجـرَ . . . .
يمسح ثغر الدنى ! . . .
ثلوجٌ ، ثلوجْ
سـرابْ وآلْ
وأفقٌ بخيـلْ
من المستحيلْ . .
فينفض جفنـي
مـدامـع عِهـنِ
وأمشـي وأمشـي
لأطـوي ثلوج ! ! ؟ ! . . .

دمشق فؤاد العادل

ذكريات قاسية احيانا

● هاني الحاج ●

أخذ الناظر بيدي ، بعد أن طلب اليه المدير ادخالي الصف ، ثم سار خارجا من (الادارة) .. فدلفنا على صالون المدرسة الواسع ، منتهين الى ممر طويل تتناثر على جانبيه الصفوف .. سرنا فيه بضع خطوات حتى أتينا في النهاية على صف ينبعث منه اصوات مختلفة ، مزيج من الفوضى والصراخ والضحك ...

توقف الناظر ، وقرع الباب بطرف يده .. ثم تمهل قليلا الى أن هدأ الجو .. وبعدها جاءنا صوت من الداخل: (تفضل) ..

وفتح الناظر الباب .. ثم ألقى التحية على الاستاذ وهو يشير الي :

ـ طالب جديد استاذ .. أتسمح ..؟

ـ أهلا وسهلا .. ادخله ..

وعرجت الى الداخل .. فأشار الي الناظر على المقعد الاخير :

ـ هناك مكان فارغ .. بامكانك الجلوس بقرب ذاك الزميل ..

لا أدري لماذا أحببت زميلي هذا الذي يشاركني المقعد منذ النظرة الاولى .. فبمجرد القاء نظرة عابرة عليه بامكانك أن تحكم انه انسان هادىء جدا .. لطيف جدا .. خجول لدرجة أنه يذوب لأتفه خطأ يرتكبه .. اسمر .. طويل .. وسيم .. يضع على عينيه نظارة طبية بيضاء ، يدل زجاجها الرقيق على أن ضعف النظر عند واضعها قليل جدا حتى ليكاد يكون معدما .. وقد علمت فيما بعد ان تلك النظارة كانت مصدر ازعاج له.. فقد استغل وجودها الزملاء كمادة دسمة في معاكسته ، وخصوصا انهم يدركون كم هو هادىء وخجول ..

كان اذا سار مع بعضهم وقال احد الرفاق يبدي اعجابه بشيء ما :

ـ ما اجمل تلك (البناية) مثلا ..

فيكون طبعا من واجب هذا الزميل أن يسأل :

ـ أي بناية ..؟

وهنا لن يأتيه الجواب : (تلك) .. بل كثيرا ما يأتيه من الجميع بصوت واحد :

ـ ضع النظارة ... مثبتين في ذلك بأنه لا يقوى على الرؤيا بدونها .. وكان يتلقى مزاحهم هذا بصدر رحب وان كان يسبب له الكثير من الخجل ..

* * *

سمعته يقول لي ، حين مددت يدي أصافحه :

ـ حسان ...

فقلت مع شيء من الانحناء بالرأس :

ـ تشرفنا ... هشام ..

وسمعته يتمتم :

ـ تشرفنا ..

ساد قليل من الصمت كان خلاله الاستاذ يتحدث عن أميركا القارة العجيبة الغريبة ، التي غمرت الدنيا بأعظم الاختراعات .. وكان معنى هذا بالطبع اننا في درس تاريخ .. ومن باب التأكد التفت الى حسان أسأله هامسا :

ـ ما نوع الدرس الذي تأخذونه ..؟

قال :

ـ رياضيات ...

وكدت أفقد صوابي .. ولاحظ حسان مني ذلك .. فابتسم بهدوء :

ـ هذه هي عادة هذا الاستاذ .. دائما هكذا (يشط) عن الموضوع ..

فابتسمت .. ثم قلت أسأل :

ـ وما اسمه ..؟

وهنا ضحك حسان ، وهمس لي :

ـ (واضح شباب) ...

ـ (واضح شباب) ... ! !

أماهذا شيء غريب..! يظهرأنهذا الانسان مخلوق عجيب لم يسبق لي مشاهدة مثله ..

وطبعا فهمت بمجرد الاشارة ، انهذا الاسم ليس هو اسم الاستاذ الحقيقي بل هو لبق لصقه به الطلاب لكثرة ما كان يردد في الصف أثناء شرح الدرس : (واضح شباب ؟) .

ولاحظ الاستاذ (واضح) انشغالنا عن المحاضرة (الاميركية) بالاحاديث الخاصة .. فصرخ :

ـ أي .. هناك .. أنتما في الاخير .. ما هذا ..؟؟

وانتصبت أنا وحسان واقفين على قدمينا .. في حين تابع الاستاذ تأنيبه :

ـ ألستما في درس .؟ أليس هنا استاذ رياضيات يلقي درسا عن ....

فقاطعه أحد الطلاب على الفور :

ـ عن المرحوم (دالس) ..

وضج الطلاب (بالضحك) واختفى وجه الاستاذ .. وظهرت آثار غضب على وجهه ، لكنه كتمه ، ثم تابع التحدث الينا :

ـ والآن أرجو أن تكونا قد انتهيتما من حديث قيس وليلى وذكرتما أن هناك استاذا في الغرفة ..

وهززنا برأسينا .. ثم جلسنا .. وسار الاستاذ في الغرفة صامتا لدقيقتين .. ثم عاد الى الكلام :

ـ قم (يا حسان) .. قم حل لنا هذا التمرين ..

وتحرك حسان من المقعد .. ثم اتجه نحو السبورة..

وكان أول عمل قام به أن نظر الى أعلى اللوح ، يريد المحاة لينظف مكانا يكتب عليه..لكن صاحبتنا المساحة أبت أن تكن آنذاك في المكان المخصص لها .. فسأل حسان :

ـ أين المحاة ..؟

وجاءه الجواب بصورة اجماعية من الطلاب :

ـ ضع النظارة حسان ..

واحتقن وجه حسان .. واضطربت يداه .. وتغير وجهه .. حتى خيل لي انه سيقع من على المنبر .. واكبرت على الزملاء احراجهم هذا ..

وأُحضرت المحاة لحسان .. فتناولها بطرف كفه.. ثم استدار لينظف السبورة .. لكن ما أن وضع المساحة على اللوح يمحي الكلمة الاولى حتى أسقطها الخجل من بين أنامله ..

وساد صمت في الغرفة .. صمت عميق .. وكأن كل زميل أراد أن يوبخ نفسه لما وضع حسان فيه ..

ونظر الصديق بعينيه المضطربتين الى الاستاذ ... نظرة استغاثة ... نظرة غريق الى منقذ .. لكن الاستاذ لم يتفوه بحرف ..

فرفعت اصبعي .. فقال الاستاذ يسأل :

ـ نعم ..؟

ـ عندي سؤال ..

ـ عن ماذا ..؟

ـ (النظرية السادسة) لم أفهمها .. فهل تفضلت بشرحها ..؟

وخرج صوت من صفوف الطلاب :

ـ أستاذ .. هذا طالب جديد لا تخجله ..

وأعقب الصوت صوت آخر :

ـ صحيح استاذ .. طالب جديد..جديد (خلنج)..

وضجت القاعة بالضحك .. وابتسم الاستاذ .. ثم أعقب يحدث حسان :

ـ عد لمكانك ..

وخرج الزميل من المأزق .. سألته حين استقر في المقعد :

ـ ما اسم الزميل صاحب : (جديد خلنج) .. فقال :

ـ (بشير) .. وهو صديق حميم لي .. وظريف جدا .. غير انه (يُخيس) في بعض الاحيان ..

وقد علمت فيمابعد ، حين أصبحنا نشكل أنا وحسان وبشير (الثالوث العجيب) ـ كما سمانا الزملاء ـ علمت أن تلك (اليخيس) في بشير قد عناها حسان من ناحية الجنس الآخر.. أي ناحية البنات أو الطالبات بالاحرى..

فقد كان حسان ، كما قلنا ، هادئا هادئا يكاد يذوب

حساسية •• وكان بشير دائم الحركة •• طريف •• خفيف •• ظريف •• لا تفارق ثغره الابتسامة •• وكنت أنا بين بين ••

ومن هنا جاء (الثالوث العجيب) ••

كان بشير يريد دوما أن يوقع حسان في مآزق محرجة •• ولذا كثيرا ما كان يتعمد معاكسة الفتيات في الطرقات •• وهذا ما كان يثير حسان •• ويغضبه •• بل وكثيرا ما كان يستحيل هذا الغضب الى ثورة تجعل حسان يغادر حلقة الثالوث العجيب مصمما على عدم التكلم مع بشير بعد اليوم ولو قامت الدنيا وقعدت ••

وهنا كان يأتي عملي أنا لأمثل دور (همرشولد) في صيانة السلام •

ولن أنسى يوما كان به بشير يتأبط ذراع زميله وهما يجتازان شوارع البلدة •• وفجأة ضغط الزميل البشير على يد صاحبه وكأنه يخشى منها الافلات •• ثم قطع الطريق على غادة عابرة ليقول وهو يشير الى شعر الفتاة :

ـ بشرفك يا حسان •• ألم يسرق الذهب لونه من هذه الضفائر ؟

والحقيقة انني فزعت حين فعل بشير ذلك •• فزعت جدا •• لانني اعتقدت جازما أن حسان سوف يسقط مغميا عليه لا محالة ••

لكن الله قدر •• وسارت القضية بسلام ••

ماذا قلت ••!؟ سارت القضية بسلام ••؟!

أعني سارت بسلام من ناحية الاغماء أو اصابة الزميل بالسكتة القلبية •• أما من ناحية غضب حسان •• فلا يحاول أحد أن يتصور كم كانت ثورته جارفة •• ولن أنسى ما حييت كيف تغير شكله يومها •• وكم من الايمان أقسم بأنه لن يكلم بشير طوال حياته حتى ولو أدى به الى ذلك الانقطاع عني أيضا ••

وجاء اليوم الثاني •• وكنت أقف مع بشير في ساحة المدرسة حين أقبل نحونا حسان :

ـ صباح الخير يا شباب ••

قالها هكذا •• بكل هدوء •• بكل سذاجة •• وكأن شيئا لم يحدث البارحة ••

ونظر الي بشير باستغراب •• ونظرت أنا أيضا اليه •• كان كل منا لا يكاد يصدق نفسه •• فحسان نسي نهائيا ما حدث معه قبل ذلك بيوم واحد ••

* * *

وانتهى العام الدراسي •• وتقدمنا لنيل الشهادة •• قلت أنا بعد أن خرجت من (الانكليزي) :

ـ خلص •• رسوبي تأمن ••

وحاول حسان جاهدا أن يعيد لي ثقتي بنفسي •• حاول أن يخلق لي العلامات •• أن يجعلني أثق أن الخطأ صواب •• وكنت أهز له برأسي في استسلام ••

وانتهى الامتحان •• وجاء الصيف •• وذهبت مع اسرتي الى المصيف ••

لم اشعر بكثير بعد عن حسان •• فقد كانت تردني منه في كل يوم رسالة •• وكان يصف في كل رسالة أدق تفاصيل حياته مع آخر أنباء النتائج ••

وظهرت نتائج الشهادة •• وأرسل لي أقربائي نتيجتي •• وكانت كما توقعت •• فلم أوفق لأن علامة اللغة الاجنبية كانت مدنية الى حد كبير ••

ثم انتظرت نتيجة الزميلين •• انتظرتها بضعة ايام في غاية القلق •• كنت أعيش كل ساعة على حساب أعصابي •• وكل برهة كنت ادفع ثمنها غاليا من صحتي ••

لا أدري لماذا كنت مندفعا كل ذلك الاندفاع لنجاحهما •• لعلي كنت أشعر أن ذاك هو الطريق الوحيد لتعويض خسارتي ••

ومضى اليوم الخامس ورسالة لم ترد من حسان •• وصحيفة لم يحدفها الله لهذه القرية النائية ••

وأخذ قلقي بالاشتداد اكثر فأكثر : لو نجحا فلاشك كانا أنبآني ••• لا •• لا ••• لا يعقل أن يفعلا ذلك فقد يشكا بأن هذا سيجرحني ويذكرني بأنني لست سوى طالب مقصر ••

واخيرا •• وردت رسالة من بشير •• كتب فيها : (سنعود يا اخي الى نفس المقعد •• أنت في الزاوية على اليمين •• وحسان يسارك •• وأنا امامكما ••) •

وعلمت من هذا بأن حظ زميلي لم يكن أحسن من حظي •• وكانت أياما قاسية تلك التي أمضيتها ، فلم

يسبق لي أن رسبت في غير هذا الصف..ودوما الصدمة الاولى هي أقسى الصدمات ..

وعدنا في العام التالي الى نفس المدرسة ، ونفس الصف .. غير ان حسان أصر على تغيير المقعد..ففي رأيه أن ذاك المقعد هو بشارة شؤم لنا ، ولذا فهو يصر على ابداله .. ولم نشأ ازعاجه فانصعنا لما اراد ..

وكنا ذات يوم نتحدث .. كان الحديث يدور عن العام الماضي .. والامتحان .. ثم النتائج .. وكيف تلقاها كل منا .. وفجأة سمعت حسان يسألني :

ـ هشام .. ألم تبك حين قالوا لك رسبت ..؟

فنظرت اليه بهدوء .. ثم هززت رأسي بالنفي وأنا أقول :

ـ وهل هذا يستدعي ذلك يا حسان ..؟! أنا لم ابك في حياتي قط .. وأأكد لك أنه مهما حدث لا يمكن أن أدع دمعة واحدة تخرج من عيني .. فالصبر مفتاح الفرج .. وابتسم للدنيا تبتسم لك ..

فنظر الي بامعان .. ثم قال :

ـ معك حق .. معك كل الحق .. لكن هناك أشياء كثيرة تؤثر في الانسان جدا .. لا يمكن أن يبتسم لها ..

فقلت وأنا أومىء برأسي مؤكدا :

ـ لا .. تأكد يا حسان انك لو حاولت أن تبتسم يوم علمت نتيجتك لما كنت بكيت.. حتى ولو كانت ابتسامتك من باب التصنع ..

وهنا انبرى حسان وكأنني صفعته .. وقال بحماس:

ـ أنا والله ..

فقاطعه بشير على الفور :

ـ والله بكيت حتى نشفت الدموع في عينيك ..

وصمت حسان كمن اعترف بالحقيقة ..

ومضى الشهر الاول من العام الدراسي ـ عام الف وتسعمائة وستة وخمسين ـ وبدأ العدوان على بورسعيد ...واستحال الطلاب الى كتلة من نار..خرجوا من المدارس، الى ساحات التدريب .. تركوا المقاعد لينبطحوا على الارض يتدربون على القتال .. القوا الاقلام بعيدا ، ليأخذوا السلاح كيما يتعلمون صناعة الموت ..

وتطوع (الثالوث العجيب) في صفوف المقاومة ..

وكنا ذات يوم في ساحة التدريب .. وكانت الاناشيد القومية تخرج من حناجر المتطوعين لتلهب الافئدة .. وفي هذه الموجة الصاخبة .. سمعت بشير يهمس :

ـ حسان .. ما رأيك في أن تصعد لتهتف ..؟

وجاء الجواب على الفور من حسان .. كان يقوله بقوة وعزيمة وايمان :

ـ انهضني يا بشير .. وما عليك الا ان ترى ..

وما كاد يتم كلامه ، حتى كان بشير قد وضع رأسه بين فخذيه .. ودفعه بقوة الى الاعلى .. وبدأ صوت جهوري قوي ، يهتف للملأ :

(بدنا الوحدة باشر باشر مع هالاسمر عبدالناصر)

نظرت الى حسان ، ولا انكر أنني كدت لا اصدق.. الشاب الذي كنت اخشى عليه من الاغماء لمجرد حادثة طريفة صغيرة .. يقف الان يهتف لهذه الآلاف وهي ترد عليه بكل هذا الاندفاع ..

وبقي يهتف .. ويهتف في الآلاف التي حملت السلاح الى أن خرج المعتدي من الارض المقدسة ..

* * *

وانتهى الخريف وجاء الشتاء .. كان شتاء قاسيا جدا .. وكان حسان يقول لي دوما : بأن هذا البرد يكاد يجننه .. وانه في كل يوم يترك المدفأة موقدة طوال الليل كي تحميه في هذا البرد اللعين .. وكنت أحذره عاقبة ذلك ، فان ترك المدفأة في الليل امر مكروه ، قد يودي غازها بحياته ذات يوم لا قدر الله .. غير انه كان يهزأ من كلامي هذا .. ويجيب علي دوما بابتسامة باهتة ..

وكان يوم ..

كان يوم جمعة .. والمدرسة معطلة .. وكنت انتظر حسان في البيت .. كانت مواعيده دقيقة جدا .. لكن لسبب اجهله تأخر في ذاك اليوم عن الموعد المعين..وطال انتظاري بدون أن يظهر أي أثر لحسان ..

وجاء اخي الصغير الى البيت .. قالت امه تهزأ منه:

ـ غريبة .. كيف خطر لك أن تغادر (الحارة) .. مسكين (الزقاق) سوف يفتقدك الآن ..

البقية على الصفحة ٦٤

بردى ...

بردى ! يطيب بدوحك الغزل فالحب باق ما له أجل
رقد الحنين ! بضفة عرفت مغنى الشباب وضمها الازل
وشكا النسيم رقيق معزفها تلك الغصون وراح ينتقل

* * *

بردى أغني والاصيل له كجدائل الحسناء منسدل
والشمس ترقص خلف مخبئها : وخمارها الوردي مرتحل
ومواكب الغيم التي ازدحمت في الجو تمخره ولا أمل
والظل ينشر شاله سأما : من يومه والقيظ منعزل

* * *

لثم المساء الشمس فارتعشت وغفت وجفن الافق مكتحل
والليل ينشر جانحا تعبا ودمشق تبدو ملئها الشعل
ذهب الصداح عن الغصون ولم تبنِ الطيور وضجت السبل
بينا أرى بردى يداعبه رقص النجوم وما به ملل
والهائمون على الضفاف لهم أحلام يسخر فكرهم كلل
ناجاهم بردى وآنسهم ورعاهم حتى بدا الكسل
عادوا الى أحيائهم وبهم شوق المحب أمضه الثمل

* * *

بردى ! يزغرد فيك كل هوى وتتمتم الاشواق والغزل
فالغوطة الخضراء تلك دنا يحيا الغرام بها وينتقل
صفق فدربك ملؤه الشجر وارقص فلا حقد ولا وجل
فالسفح فوقك خالد هرم والصخر بان كأنه طلل
لك في الحياة محاسن كثر تزهو دمشق بها وتكتمل

السلمية : **باكير محمود**

من كتاب : في ظلال الرحيل

بقلم : خضر قنوع

سيصدر قريبا

الغيـــاب ...

خلف أرديــة الغمـام
يتراءى لي طيف حبيبتي ...
فيفتتن الافق بسحـر الطبيعـة
ويخفق قلبـي بقوة ،
ثم تسري في عـروقي رعشات خفيـة
وكأني بغتـة ، أصبحت روحا حساسـا
لهـا الوجود كلـه !
الا انني ، وأنـا أتخيل دنيـاي الثريـة ..
بالعبـير والزهور والربيع والضيـاء ...
بالينـابيـع والسواقي والشلالات ،
وحوريات البحر ...
البحـر والحب ...
أتمنى لو أستطيـع تعطير الهواء بأريج الورود
وارسال الشذى والنشوات
الى الحقول والحدائق ،
والى المدن الكبـيرة والقـرى
لتحمـل الى أحبـائي الضيـاء : محبـة ،
تلمع تحت الشمس خيوطا مذهبة في الصيف
حانيـة في الشتاء تزدان بألوان الغيوم
كحبـات من اللؤلؤ ...
في رذاذ المطـر ...
أقطفهـا من النجـوم ... بسيف اسطوري
كسيوف مشاهير ألف ليلة ...

● خضر قنوع ●

الطفولة ..

بقلم صلاح الدين موسى

ان التربية تتوقف الى حد بعيد على درجة تفهمنا لمعنى الطفولة وتقديرنا لأهميتها ولهذا فاننا نرى من الواجب علينا أن نتحدث عن الطفولة في الماضي وكيف تطورت .. مع تقدم البشرية .

لقد كان الظن قديما ان الطفل رجل صغير لذلك كانوا يطالبونه بسلوك الرجل في جميع أفكاره واعماله حتى انهم كانوا يلبسونه ثياب الرجل .. وكانوا يرهقون الطفل بأشياء لا يستطيعها . يطالبونه بأعمال لا يحسن القيام بها ـ فقد كانوا يطالبونه مثلا ـ بحفظ كثير من الكلمات المجردة في حين ان الطفل في المدرسة الابتدائية حسي لا يفقه للامور المجردة معنى .. وهكذا ... ظل عهد الطفولة مجهولا لا يدركون له قيمة ولا يتعرفون فيه على خصائص الطفل وميوله حتى قدر الله للانسانية رجلا وهو (جان جاك روسو) تمكن أن يفهم معنى الطفولة فلقد أفاض في ذكر خصائص الطفل وميوله في كتابه « اميل EMIL » وأوضح بأن للطفولة مميزات وصفات لا تتوفر في الادوار الاخرى ـ ونبه الناس الى ان من واجبهم معاملة الطفل معاملة خاصة وأن يسمحوا له بالعيش على حال تنفق وعهد الطفولة .. وهنا بدأت التربية الحديثة تجعل من الطفل مركزا لعنايتها بالتعرف على ميوله ورغباته وقابلياته واستعداداته .. وبتعرفنا على عقلية الطفل نستطيع أن نقدم له ما يناسبه من المعلومات وذلك بوقوفنا على عواطفه وغرائزه .. فنستطيع اصلاحها وتقويمها في بدء تكوينها ، ولقد قال (استوارت ميل) : يجب ضرب الحديد حاميا ، فلقد شبه الغرائز في بدء نموها بأنها قابلة للتكييف كالحديد المحمى ...

والطفولة هي المدة التي يقضيها صغار الناس والحيوان في النمو والترقي حتى يبلغوا حد النضج ولهذا فان مدة الطفولة تختلف من الانسان الى الحيوان ، قصيرة عند الثاني وطويلة عند الاول هذا وان المدنية كلما تقدمت ازدادت مدة الطفولة وعهد الطفولة نعمة تساعد الطفل على الارتقاء والتزود بما يلزمه في حياته المقبلة والتأهب لخدمة المجتمع الذي سيعيش فيه ، وان اهمية الطفولة تعود بالدرجة الاولى الى مرونة الجملة العصبية على التكييف وقابليتها للتعلم والحفظ ..

وليس بالامكان ان نحدد بصورة دقيقة مراحل الطفولة اذ اننا لا نستطيع أن نقيس الطفولة بالقوانين العامة لان ما ينطبق على طفل في منطقة ما لا يمكن أن ينطبق على جميع الاطفال بصورة عامة ومع ذلك فانه بالامكان مراعاة التصنيف الآتي ـ على أن لا يعتبر التصنيف ـ وقد استندنا في هذا التصنيف على عاملي النمو الجسدي والنمو العقلي والنفسي .

أ ـ مرحلة الطفولة الاولى : وتمتد من السنة الاولى حتى السنة الثانية عشرة أو الرابعة عشرة .

ب ـ مرحلة المراهقة : وتمتد من السنة الثانية عشرة حتى الثامنة عشرة .

جـ ـ مرحلة الشباب : وتمتد حتى الواحد والعشرين ..

والطفل يقضي سني الطفولة الاولى في المدارس الابتدائية أما سني المراهقة فيقضيها في المدارس الاعدادية والثانية أما سني الشباب في الدراسات الجامعية العالية .

أما مرحلة الطفولة الاولى ففي الامكان تصنيفها الى مراحل مختلفة ففي الدور الاول منها وهي الطفولة المبكرة والتي تمتد من الولادة حتى السنة السابعة : تتم تفسيرات جسدية عديدة وتتكون لدى الطفل وظائف كثيرة وفي هذه المرحلة يستطيع الطفل أن يحرك كثيرا من أعضائه ويبدأ في المشي والكلام وحين يولد الطفل لا يتجاوز طوله النصف متر ولكنه يصبح في نهاية الجزء الاول من هذه المرحلة ذا طول من ستين الى ثمانين

سنتمترا ـ أما وزنه فلا يتجاوز عند الولادة ٣ كيلو غراما ولكنه يبلغ في آخر النصف الاول من هذه المرحلة ١٢ كيلو غراما …

وفي هذا الدور تبدأ حواس الطفل بالتكامل ويأخذ في الاعتياد عليها في حياته وتبدأ اشارات الطفل وحركاته في هذا الدور بالتكون اذ أنه حين يولد لا يكون قادرا الا على القيام ببعض الحركات الا انه حينما يبلغ السنة والنصف من العمر يصبح قادرا على المشي وأخذ الاشياء وتناولها وتمزيقها وكسرها .

هذا من الناحية الجسدية أما من الناحية العقلية فيبدأ الطفل بهذا الدور بالكلام .. فيلتقط كلام أهله بعد أن يسمعه ويقلده ومن ثم يبدأ بتنظيم الجمل … ويقدر محصوله اللفظي خلال هذا الدور بألفي كلمة وأكثر ما يعتمد في هذا الدور على المفاهيم التي تتكون عن طريق الحواس وتكون هذه المفاهيم في بادىء الامر مشوشة مضطربة لا تمييز فيها ولكنها لاتلبث أن تتضح وتتميز بعضها عن بعض …

ويظن بعض الآباء أن الطفل الذي يتناول الاشياء ويكسرها انما يقوم بذلك لانه فريد بطبعه وهذا خطأ فادح اذ أن الطفل ليس شريرا انما يفعل ذلك بدافع غريزة حب الاطلاع التي تدفعه الى كشف كنه الاشياء التي تحيط به ..

أما من الناحية العاطفية فالطفل في هذا الدور سريع الغضب والهيجان والانفعال … فهو يرتجف ويصرخ ويبكي ويشتد ميله الى التخريب .. فعواطفه في هذا الدور حادة جدا وفي هذا الدور تبدأ غريزة الخوف بالظهور عند الطفل .. أما في النصف الثاني من هذه المرحلة فليس هناك تبدلات هامة ولكن الطفل يبدأ تدريجيا بالشعور بذاته وبشخصيته ويميزها عن الاشياء الاخرى … وهذا الشعور ينبثق عن حس الالم الذي يحدثه بنفسه فيما اذا عض اصبعه مثلا … بينما لا يحدث عنده هذا الشعور اذا عض اصبع غيره أو شيئا آخر وهكذا يتوصل الى التمييز بين جسمه وبين الاجسام الاخرى التي تحيط به .. وفي هذه المرحلة ينمو المخ ويكتمل نموه في السنة السابعة ..

وادراكاته في هذه الفترة حسية ومقتصرة على المحسوسات وتفكيره مفكك ينتقل من فكرة الى أخرى دون ارتباط بين فكرتين وفي هذا الدور يميل الى سماع القصص الخيالية .. وتبدأ الاثرة عنده وتبدو في الغيرة التي تشاهد بين الاخوة .. أما الدور الثاني من هذه المرحلة وهو الذي يمتد من السنة السابعة حتى الثانية عشرة فأهم تطوراته ما يلي :

١ ـ تبدأ المدرسة وواجباتها ومشاكلها .

٢ ـ يستطيع أن يستظهر بعض المقطوعات وبامكانه أن يتعلم لغة أجنبية .

٣ ـ يستطيع أن يفكر ويعين الحوادث وأفكاره مرتبطة ببعضها بعضا …

٤ ـ يميل الى الحركة النشيطة كتسلق الاشجار ولعب الكرة والسباحة والعدو وما شابه ذلك .

٥ ـ يلاحظ فرق بين الذكر الذي يهوى الالعاب الخشنة والبنت التي تميل الى الالعاب والدمى وصنع الملابس .

٦ ـ يفهم الاعمال الاجتماعية ويستطيع أن يقوم بأعمال الجماعة .

هذا مجمل لأهم التبدلات التي يمر فيها الطفل خلال مرحلته الاولى … أما التبدلات التي يمر فيها بالمرحلتين المراهقة والشباب … فسنتحدث عنها في مقال آخر .

دمشق ـ صلاح الدين موسى ـ

« مينيب او استفتاء ميت »

قصة

من الادب اليوناني القديم

تأليف لوقيانوس السميساطي

ترجمة الياس سعد غالي

مينيب(١) :

« سقف بيتي عليك مني السلام
ان مرآك فرحة ومرام »
« عدت من عالم الظلام الى النو
ر بقلبي الى حماك هيام(٢) »

فيلونيدس :

من هذا ، أليس الكلب مينيب ؟ انه هو نفسه ما لم تكن عيناي مضطربتين . هذا مينيب حقا . ولكن ما هذا الثوب الغريب الذي يرتديه وما هذا الطربوش وجلد الاسد وهذه القيثارة ؟ فلأحدثنه . عم صباحا يا مينيب. من أين وفدت ؟ انك لم تظهر في المدينة منذ أمد طويل ؟

مينيب :

« من مقر الاموات تحت التراب
عدت بعد اجتيازي الظلمات »
« حيث يثوى في وحشة واكتئاب
هادس(٣) نائيا عن الالهات

فيلونيدس :

قسما بهراكليس(٤) اني أجهل ان مينيب توفي ثم بعث حيًّا .

مينيب :

« ما عرفت المنون واستقبلتني
هادس(٥) خافق الجوانح حيًّا »

فيلونيدس :

ولكن ما الذي حداك على القيام بهذه الرحلة الجديدة غير المنتظرة ؟

مينيب :

« جرأة في الحجى وغض شبابي
دفعا بي الى دياجي العباب »

فيلونيدس :

كفَّ أيها السعيد عن تمثيل هذه المأساة وانحدر من سماء الشعر وقل لي ببساطة ما هذا اللباس المضحك وأي حاجة كانت بك للهبوط الى الجحيم لا سيما ان الطريق اليها ليس فيها ما يلذ أو يغري .

مينيب :

« حملتني على هبوط الجحيم
يا صديقي مناط حبي العميم »
« حاجة عندي لاستشارة روح
لتريزياس(٦) المستقيم الحكيم(٧) »

فيلونيدس :

لاشك في انك فقدت عقلك يا صاح والا لما كنت لا تتكلم أمام اصدقائك الا شعرا .

مينيب :

لا يدهشنك ذلك يا رفيقي فقد صحبت مؤخرا

---

(١) مينيب فيلسوف يوناني عاش في الجيل الثالث قبل الميلاد وهو من المدرسة الكلبية ولذا وصف كما وصف هو نفسه بالكلب .

(٢) أبيات لاوريبيد أحد أشهر شعراء المسرح اليوناني عاش في الجيل الخامس ق.م . .

(٣) ملك مملكة الاموات ويدعى أيضا بلوتون وايدنوس.

(٤) هيراكليس أو هرقل ابن جوبتير .

(٥) العالم السفلي مقر ارواح الموتى .

(٦) عرّاف مدينة طيبة .

(٧) من أذيسة هوميروس أشهر شعراء اليونان والعالم .

اوريبيد[٢] وهو ميروس من غير أن أشعر فامتلأت من أشعارهم حتى ان لساني ينطق بالكلام الموزون بداهة • ولكن قل لي كيف تسير الامور في الارض وماذا يجري في المدينة ؟

فيلونيدس :

لا جديد ، كل شيء على حاله ، فمن الناس من ينهبون ومنهم من يتشاتمون ومنهم من يرابون ومنهم المشغولون بوزن الابولات[١] •

مينيب :

آه يا لهم من تعساء انهم يجهلون أي تدابير اتخذت في الجحيم وأي قرارات صدرت بحق الاغنياء ، لا مفر لهم منها قسما بكرفيروس[٢] •

فيلونيدس :

ماذا تقول ؟ صدرت في الجحيم قرارات جديدة بحق سكان الارض ؟

مينيب :

أجل قسما بزوس[٣] وهي كثيرة ولكن لا يجوز افشاء الاسرار واعلانها أمام الجميع فقدتهم بالكفر أمام محكمة رادامانت[٤] •

فيلونيدس :

أستحلفك بزوس يا مينيب الا تحرم صديقك هذا الحديث ، انك تخاطب رجلا يعرف أن يسكت وهو مع ذلك مريد مبتديء •

مينيب :

انك تفرض علي بذلك عملا ادًّا خطرا ولكني سأجازف بعض المجازفة لأجلك • لقد تقرر بحق ذوي الغنى الطائل أولئك الذين يحتفظون بالذهب محبوسا كدانايه[٥] •••

---

(١) الابول سدل الذراخم الوحدة النقدية اليونانية .

(٢) كلب عجيب يحرس مدخل الجحيم .

(٣) جوبتيرب الارباب .

(٤) قاض في الجحيم وهو ابن زوس وشقيق مينوس .

(٥) بنت ملك طروادة حبسها والدها في غرفة تحت الارض لكي لا تنجب ولدا تنبيء بأنه سيقتل جده .

(٦) شاعر يوناني عاش في الجيل التاسع أو الثامن ق.م.

(٧) جبل في تساليا كان يعتقد الاقدمون ان الآلهة تعيش على قمته .

(٨) فلسفة اتباع ابيقور .

فيلونيدس :

لا تقل لي يا صاح شيئا عن هذه القرارات قبل أن تقص علي ما أحب معرفته أولا عن غايتك من هبوطك الى هادس ومن كان دليلك في هذه الرحلة ثم تفصيل ما رأيت وما سمعت هناك لأني أفترض ان رجلا نظيرك يحب الاشياء الجميلة لا يدع شيئا يفوته مما يستحق أن يسمع أو يرى •

— ٥٦ —

مينيب :

يجب أن البي رغبتك ، وهل من سبيل الى الرفض عندما يطلب صديق باصرار ؟ اذن سأشرح لك قبل كل شيء فكرتي والسبب الذي جعلني أنزل الى الجميع : لمَّا كنت أقرأ ، وأنا فتى ، هوميروس وهيزيود[٦] عما كان يجري في الاولمب[٧] ليس فيما بين انصاف الآلهة فحسب بل أيضا فيما بين الآلهة أنفسهم من تطاحن ومنازعات عدا الفجور والعنف والخطف والدعاوى وطرد الوالدين وتزوج الاخ بأخته ، كنت أعتقد ان جميع هذه الاعمال شريفة وكنت أجد لنفسي في ذلك لذة عظيمة • ولكن لمَّا صرت في طور الرجولة سمعت المشرع يأمر بعكس ما يقوله الشعراء ويحظر الزنا والخلافات والاغتصاب ، فوقعت منذ ذلك الحين في حيرة كبيرة لا أدري كيف أضبط سلوكي اذ كنت أعتقد ان الآلهة ما كانوا ليزنوا ويعصوا لو لم يروا في ذلك عملا شريفا ، ومن جهة اخرى ماكان المشرع ليأمر بالعكس لو لم يجد ذلك مفيدا •

وفي حيرتي عزمت على الذهاب الى اولئك الاشخاص الذين يدعون بالفلاسفة والارتماء بين أيديهم ووضع ذاتي تحت تصرفهم لكي يرشدوني الى الطريق البسيطة الامينة لتصرفي بين الناس • وتقربت منهم بهذه النية ولم أك أعلم اني كما يقال مثل من يلقي دخانا في النار اذ اني وجدتهم بعد التجربة على جانب عظيم من الجهل والتشكك وكادوا يظهرون لي ان العيشة الذهبية انما هي عيشة الجهال • وفي الواقع نصح لي أحدهم بالاستسلام الى الملذات والبحث في كل شيء عن اللذة فحسب اذ فيها كل السعادة[٨] ، ونصح لي آخر بالعكس وحضني على البحث عن العمل والتعب والتسلط على الجسد والحياة

في الوساخة والقذارة والظهور بالمظهر الكريه وتوجيه الشتائم الى جميع الناس ، وكان يستشهد في كل مناسبة بأبيات هيزيود الشائعة في الفضيلة والعرق والذروة التي يجب بلوغها[1] ، وحثني غيره على احتقار الثروة واعتبار امتلاكها شيئا لا يؤبه له[2] ، واعتبر آخران الثروة هي أيضا خير . وماذا أقول عن آرائهم في الكون ؟ لقد كنت أقرف لدى سماعهم كل يوم يتكلمون عن الافكار والمزج والذرة والفراغ وكلمات اخرى من هذا القبيل . وما هو أغرب من ذلك ان كلا منهم عند ادلائهم بآرائهم المتضاربة عن الاشياء ذاتها يأتي بحجج قاطعة مفحمة حتى بات من المحال أن تنفي مقالة من يثبت ان شيئا هو حام ومقالة من يثبت ان الشيء نفسه بارد مع العلم جيدا بأن الشيء لا يمكن أن يكون حاميا وباردا في آن واحد . لقد كنت مثل أولئك النيام الذين تميل رؤوسهم طورا الى الامام وتارة الى الوراء .

ولكن اليك ما لا يقبله عقل : لقد وجدت وأنا اراقب هؤلاء الفلاسفة أنفسهم أن سلوكهم يخالف تماما أقوالهم . لقد كنت أرى الذين ينصحون باحتقار الثروات يتمسكون بها تمسكا لا انعتاق منه وينازعون في امور المصالح ويعلمون لقاء اجور ويتحملون كل شيء في سبيل المال . والذين يزهدون في المجد يعملون ويتكلمون في سبيل المجد نفسه فقط والذين كانوا يدعون الى ترك اللذة منغمسين في اللذة في حياتهم الخاصة انغماسا كليا .

لقد نابني بعد خيبة املي عذاب أمضّ من العذاب الذي كنت فيه قبل ولكني كنت أتعزى قليلا لدى افتكاري بأني ان كنت أحمق وأسعى عبثا في البحث عن الحقيقة فقد وجدت في رفقة زمرة كبيرة من الحكماء المشهورين بذكائهم . وفي احدى الليالي وقد طردت هذه الافكار النوم عن عيني قررت الذهاب الى بابل واستجداء مساعدة أحد المجوس تلاميذ وخلفاء زردشت[3] لأني سمعت ان في استطاعتهم بالاشراك والرقي فتح ابواب الجحيم وادخال من يشاؤون اليها واخراجه منها سالما . فبدا لي ان أفضل مما استطيع عمله اذا تمكنت بوساطة احدهم من النزول اليها ان أذهب الق العراف العليم تبريزياس وأتعلم منه أيّ عيشة هي الافضل والتي يختارها رجل عاقل . فوثبت من سريري وتوجهت رأسا الى بابل بأسرع ما تستطيعه قدماي . ولدى وصولي الى هذه المدينة واجهت أحد الكلدانيين وكان حكيما عجيبا في فنه ، انه رجل شائب ذو لحية طويلة مهيبة يدعى ميتروبارزانس ، وبعد أن رجوت منه وتوسلت اليه مرارا ودفعت له الاجرة التي طلبها قبل أن يكون دليلي في الطريق الى الجحيم .

لقد سار بي المجوسي صباحا الى الفرات وشرع يغسلني فيه مدة تسعة وعشرين يوما ابتداء من هلّ الهلال وكان في الوقت نفسه يتلو الى الشمس صلاة طويلة لا أكاد أسمعها ، لانه كان يتكلم بسرعة وغمغمة مثل مناد رديء في الالعاب ، ولكن كأنه كان يدعو بعض الابالسة . وبعد الرقية بصق في وجهي ثلاث مرات ثم أدار وجهه من غير أن يلتفت الى من يصادف من الناس . وكان غذاؤنا الثمار وشرابنا الحليب ومزيجا من الحليب والعسل وماء نهر سوزيان . وكنا نتام مفترشين العشب وملتحفين بالسماء . ولما رأى أن هذا الاعداد الطويل أصبح كافيا ذهب بي في منتصف الليل الى شاطىء دجلة وغسلني ثم نشفني وطهرني بالبخور والعنصل وغيرهما من العقاقير وهو يتمتم في تلك الرقية ، وبعد أن سحرني كلي بدورانه حولي ليمنع الاشباح من ايذائي عاد بي مهيئا على هذا الشكل نكصا على الاعقاب الى المنزل وبعدئذ أخذنا نهتم بأمر المرور .

لقد لبس هو ثوبا سحريا يشبه كثيرا ثوب العيدين وقدم لي لتسليمي الاشياء التي تراها الطربوش وجلد الاسد والقيثارة وأوصاني بأن لا أقول اذا سئلت أن اسمي مينيب بل هرقل أو اوليس[1] أو اورفيوس[2] .

فيلونيدس :

ولم هذا يا مينيب ؟ فاني لا أدرك سبب هذا التخفي ولا هذه الاسماء .

---

(١) فلسفة المذهب الكلبي .

(٢) فلسفة الرواقيين .

(١) بطل أوذيسة هوميروس وأحد مشاهير أبطال اليونان في حرب طروادة .

(٢) ابن ملك ترافيا كان جميل الصورة والصوت يجيد العزف على القيثارة هبط الى عالم الاموات ليسترد روح زوجته كما نزل أوليس من قبل ليستشير روح تريزياس في أمر عودته الى وطنه .

مينيب :

مع أنه جلي واضح وليس ثمة سر . لما كان هؤلاء الابطال نزلوا قبلنا وهم أحياء الى الجحيم فانه كان يظن اني بالتشبه بهم أتمكن بسهولة من التقدم بدون عائق اذا مررت لابسا هذه الثياب السحرية فأتخلص بذلك من مراقبة اياكوس[3] الذي سبق له أن رأى تلك الثياب .

كان الفجر بدأ يلوح لما شرعنا في رحلتنا بعد أن هبطنا شاطىء النهر . وكان قد أعد له قارب وضحايا وحليب ممزوج بعسل وكل مايلزم للاشراكات . وبعد أن أنزلنا هذه المعدات الى القارب

« وركبنا والحزن ملء الحنايا

نذرف الدمع مستفيضا سخيا»[4]

لقد تركنا القارب فترة من الزمن يسير بنا والمجرى ثم دخلنا في المستنقع حيث يختفي الفرات . وبعد أن اجتزناه وصلنا الى مكان قفر مشجر لا شمس فيه . فنزلنا هناك ، وكان ميترو بارزانس يتقدمني . فحفرنا حفرة وذبحنا النعاج وسفحنا الدم على حافاتها . غير أن المجوسي الذي كان يحمل مشعلا متقدا أخذ يدعو لا بصوت خافت بل بكل قواه جميع الشياطين دفعة واحدة ربات التعذيب والانتقام[5] والليلية هيكاتي[6] والراعبة بيرسيفوني[7] و[8] وكان يخلط أدعيته بكلمات بربرية غير مفهومة طويلة ذات عدة مقاطع .

وفي الحال تزلزل ما حولنا كله وبتأثير الرقية انشقت الارض وسمع نباح كرفيروس البعيد ، وساد تجهم محزن في كل مكان .

و « أدنوس العظيم ملك الجحيم

بات في فزع شديد مقيم »[9]

وقد تبينا قسما كبيرا من هادس والبحيرة ونهر اللهب (بير يفليجيتون)[10] وقصر بلوتون . ثم نزلنا من الشق المفتوح ووجدنا رادامانت يكاد يموت جزعا وكرفيروس ينبح وقد هم بالوثوب . ولكني لمست القيثارة وفي الحال استحوذ عليه سحر النغم . ولما وصلنا الى البحيرة كدنا ألا نجتازها لان القارب كان قد ملىء ركابا كانوا ينوحون ويئنون من ألم الجراح مهشمين فأحدهم فخذه مكسورة والآخر رأسه أو عضو آخر من أعضاء جسده لانهم آتون كما يبدو من معركة حربية . غير أن خارون[11] الطيب لما رأى جلد الاسد ظنني هرقل فاستقبلني بترحاب وأمرني ولما نزلنا من القارب أرشدنا الى الطريق .

وبما أننا كنا نمشي في الظلام كان ميتروبارزانيس يتقدمني وأنا خلفه ممسكا بطرف ثوبه حتى بلغنا مرجا فسيحا مزروعا بروافا ، وفيه أخذت أشباح الموتى تحوم حولنا وهي تصرخ صراخا حادا وقصيرا . وما أن سرنا قليلا حتى وجدنا نفسنا قرب محكمة مينوس[1] . لقد كان جالسا على عرش مرتفع وبالقرب منه ربات الذعر والانتقام واقفة . وكان الناس يفدون من الجهة الاخرى صفا طويلا مقيدين بسلسلة طويلة . وقيل أنهم زناة وقوادون وعشارون ومملقون ووشاة وجمع غفير من نمط هؤلاء الناس الذين يقلقون العالم ويخربونه . وقد رأينا أيضا جماعة منعزلين هم الاغنياء والمرابون صفر الوجوه بطونهم بارزة وفي أرجلهم النقرس وفي عنق كل منهم طوق وغل يزن وزنتين ، ولبثنا بالقرب من قوس المحكمة نرى ما يجري هنالك ونستمع الى الدفوع . وكان المشتكون خطباء من نوع جديد غير عادي .

فيلونيدس :

من كان هؤلاء الخطباء ؟ نشدتك باسم زوس ألا تتردد في أن تقول لي ذلك أيضا .

مينيب :

أتعرف الظلال التي تنشرها الاجسام المعاكسة للشمس ؟

فيلونيدس :

بلا شك .

مينيب :

اذن هذه الظلال أو الاشباح هي التي تشتكي وتشهد

---

(٣) ابن زوس وثالث قاض في الجحيم .
(٤) الاوذيسة ن ١١ .
(٥) ثلاث ربات مكلفات بتعذيب الاشرار في العالم السفلي
(٦) ربة غامضة خادمة بيرسيفوني الهة الجحيم .
(٧) بنت زوس وزوجة بلوتون .
(٨) تحريف بيت من الاوذيسة ن ٩ .
(٩) الالياذة ن ٢٠ ب ٦١ .
(١٠) من أقسام الجحيم .
(١١) نوتي الجحيم ينقل أرواح الموتى الى العالم الآخر .
(١) ابن جوبتير وقاض في الجحيم .

علينا بعد موتنا فتخبر بما صنعنا في حياتنا • ولانها ترافقنا الى كل مكان تلازم أجسادنا لا تفارقها يوثق بها كل الثقة •

وكان مينوس بعد التمحيص الدقيق يرسل هؤلاء الآثمين الى مقر الكفرة لكي يعانوا هنالك العقاب الذي تستحقه جرائمهم • لقد كان قاسيا بنوع خاص على أولئك الذين أعماهم سلطانهم وثرواتهم حتى كانوا ينتظرون من الناس أن يعبدوهم تقريبا لانه كان يكره تبجح هؤلاء الناس السريع الزوال وتكبرهم • هم الذين نسوا أنهم سيموتون وأنهم لا يملكون الا أشياء زائلة • أولئك الذين كانوا يقفون بعد تجريدهم من جميع مظاهر الحياة الخلابة أعني بذلك الثروة والحسب والسلطة ، منكسي الرؤوس يتذكرون السعادة التي كانوا يتمتعون بها فيما بيننا كأنهم في حلم ، وأنا قد ذهلت عن نفسي فرحا حتى اني كنت أدنو ببطء ممن أعرفه منهم وأذكره بما كان عليه في حياته وكيف كان ينتفخ عجبا بنفسه وكبرياء عند خروجه صباحا الى جمهور أتباعه الذين كانوا ينتظرونه في صحن الدار وكيف كان خدامه يدفعونهم ويبعدونهم • وأخيرا كيف كان ينهض بصعوبة كلية ليستقبلهم وهو مرتد الثياب القرمزية أو الموشية بالذهب أو المختلفة الالوان ، ظانا أنه يجعل من يحيونه سعداء ومحظوظين اذا تركهم يقبلون صدره أو يده اليمنى التي كان يمدها اليهم • فكان هؤلاء المتكبرون يحزنون لدى سماعهم أقوالي •

غير أن مينوس أصدر حكما فيه شيء من المحاباة اذ ديون[٢] اتهمت دونيس الصيقلي بعدة جرائم وخرق قدسيات أيدتها شهادة ظله • فتقدم اريستيب القورينائي[٣] الذي كان مكرما في هادس وذا نفوذ عظيم فيها ليدافع عنه وأنقذه في اللحظة التي كان سيسلم فيها الى الخيمايرا[٤] بقوله أنه كان حاميا ماهرا لعلماء كثيرين •

ثم تركنا المحكمة ووصلنا الى محل العذاب ، وهنا يا صاح لو نظرت لرأيت وسمعت في كل مكان أهوالا تدعو الى الشفقة • لقد سمعنا ضجة السياط وفي الوقت نفسه أنين من كانوا على النار يشوون ، وشاهدنا آلات التعذيب والاغلال والعجلات ، فالخيمايرا تمزق وكيرفيروس يلتهم ، وكان الجميع الملوك ، والعبيد ، الفقراء والشحاذون والاغنياء يعذبون في آن واحد وكلهم كانوا يندمون على جرائمهم • ولما نظرنا اليهم عرفنا بعضهم اولئك الذين ماتوا حديثا ، فكانوا يخفون وجوههم ويحولونها عنا واذا نظروا الينا فبتذلل وتضرع ، هم الذين يعلم الاله كم كانوا لا يطاقون وكما كانوا في حياتهم يشمخون بأنوفهم • لقد كانوا يتركون قليلا ثم يستأنف تعذيبهم من جديد ، أما الفقراء فكانت عقوبتهم تنزل الى النصف • ورأيت أيضا أشخاص الخرافة أكسيون[١] وسيسيف[٢] وتانتال الفريجي[٣] فريسة للالم وتيتيوس ابن الارض[٤] يا لضخامته يا هيراكليس ؟ ان جسده الممدد كان يغطي حقلا كاملا •

وبعد أن اجتزنا ايضا مقر هؤلاء المحكوم عليهم وصلنا الى سهل الاخيرون[٥] حيث وجدنا أنصاف الآلهة والبطلات وجميع جمهور الاموات موزعين حسب قومياتهم وقبائلهم • فالبعض كانوا قدامى متعفنين أبلاء ، كما يقول هوميروس ، والآخرون حديثين أصلابا لا سيما الاموات المصريون المحفوظون بالتحنيط • ولكن لم يكن من السهل قط معرفة كل منهم • لانهم لا يلبثون أن يصبحوا شبيهين ببعضهم البعض كل المشابهة عندما تتجرد عظامهم ولكن لكثرة النظر والتحديق فيهم كنا نتوصل الى التعرف اليهم • فكانوا مكدسين فوق بعضهم ، نكرات لا يميزهم شيء ولم يسبق عليهم شيء من جمالهم الارضي • وبما أن الهياكل العظمية الكثيرة كانت ركاما في موضع واحد وكلهم متشابهون بنظراتهم الراعبة الفارغة وأسنانهم الجرداء البارزة كنت أتساءل في نفسي كيف يمكنني أن أميز ترسيت من نيره الجميل أو ايروس الفقير من ملك الفياكين أو بيريسياس الطاهي من أغاميمنون[٦] اذ لم يسبق عليهم

---

(٢) بنت أوقيانوس ووالدة أفروديتي .

(٣) فيلسوف من شمال افريقيا تتلمذ على سقراط وهو مؤسس المذهب القائل بأن اللذة أساس السعادة .

(٤) مخلوق عجيب له رأس أسد وجسم تيس وذيل تنين

(١) عذب في الجحيم بربطه الى عجلة نارية دائمة الدوران

(٢) عوقب بدفع صخرة الى قمة جبل كلما بلغ بها القمة هبطت الى السفح .

(٣) عوقب بالعطش وهو وسط الماء .

(٤) عوقب بأن ينهش نسران كبده التي كانت تنمو باستمرار .

(٥) نهر الحزن في العالم السفلي .

(٦) قائد اليونانيين في حرب طروادة .

أي دلالة من الدلائل التي كانت تفرق بينهم فيما مضى ، فعظامهم متشابهة بدون فوارق ولا صفات ، لا يستطيع أحد أن يتبينهم .

ولدى تأملي في هذا المشهد كنت افكر بأن الحياة البشرية تشبه تطوافا طويلا تسيِّره الفورتونا (٧) التي تحدد تفاصيله وتعين لكل من الممثلين لباسا مختلفا ومتنوعا ، اذ تأخذ الناس كيفما اتفق لها فتلبس الواحد ملكا وتضع على رأسه تاجا وتجعل له اتباعا وتعصب جبهته بأكليل ، وتزمل الآخر في ثياب الخادم ، وتزين الواحد بالجمال وتجعل الآخر قبيح المنظر مضحكا . لان المشهد في اعتقادي يجب أن يكون متنوعا قدر المستطاع ، وكثيرا ما شوهدت تنزع في أثناء الطواف ثياب البعض وتحول دون مضيهم حتى النهاية في الترتيب الذي رتبتهم فيه . فجردت قارون (٨) من ثيابه القرمزية وأجبرته على ارتداء لباس الخادم والاسير المضحك . وخلعت على مياندريوس(٩) الذي كان يسير حتى ذلك الحين في صف الخدم طغي بوليكرات وسمحت له بأن يحتفظ الى زمن ما بلباسه هذا وعند انتهاء التطواف يرد كل انسان عدته ويتعرى من ثوبه مع جسده ويرجع الى ما كان عليه شبيها كل الشبه بجاره . فالبعض يتكدرون لجهلهم ويغضبون عندما تأتي « لافورتونا » لتسترد ما ألبتهم اياه كأن ما ينزع منهم ملك لهم ويأبون ارجاع ما أعيروه لمدة من الزمن . أظن أنك رأيت مرارا ممثلي المسرحيات فمنهم حسب مقتضيات الرواية من كان يمثل مرة دور كريون واخرى دور بريام (١٠) أو أغاميمنون . فالرجل الواحد الذي كان يقلد بعظمة وكبرياء سيكروبس أو أريختي يظهر بعد قليل حسب مقتضى الحاجة وحسب أمر الشاعر بثوب الخادم ، وعند انتهاء الرواية يخلع كل واحد من الممثلين هذا الثوب المزخرف بالذهب وينزع قناعه وحذاءه المسرحي ويعود رجلا عاديا متواضعا . فليس هو أغاميمنون بن اترى ولا كريون بن ميناس بل هو هوبولس(١١) اسمه الحقيقي ابن شاركليس من سونيون أو ساتيروس بن تيوجيتون من ماراتون . فهذا هو وضع البشر وهذه هي الفكرة التي كونتها وأنا أشاهد الاموات .

فيلونيدس :

قل لي يا منيب ألا اعتبار في الجحيم لاولئك الناس الذين لهم في الارض قبور فخمة مرتفعة ذات مسلات وصور ونقوش اكثر مما لعامة الناس ؟

مينيب :

انك تهرف يا صاح ، لو رأيت موزول(١) نفسه واعني به الكاري الذي صيَّره قبره مشهورا ، فأنا أعتقد انك ما كنت لتكف منذ زمن بعيد عن الضحك لو رأيته في ذلك الموضع الضنك الذي ألقي فيه حقيرا نكرة في عالم الاموات . في رأيي ان الفائدة كلها التي جناها من هذا الاثر أنه يرزح تحت العبء الفادح . فيا صاح عندما اياكوس يقيس لكل واحد مكانه فان اقصى ما يعطيه طول قدم . ويجب عليه ان يكتفي به ويظل مضجعا ومنطويا ليكيِّف نفسه بالنسبة الى القياس . ولكني أعتقد انك كنت ضحكت اكثر ايضا لو رأيت ملوك هذا العالم والمرازبة وقد حوَّلهم البؤس الى شحاذين وبائعي ملوحات يهينهم أول وافد ويصفعهم كما يصفع أرذل العبيد . لقد شاهدت أنا فيليبس (٢) المقدوني ولم استطع ان املك نفسي من الضحك لأني رأيته في زاوية صغيرة يخيط لقاء اجرة حذاء باليا . وكان يمكن مشاهدة كثيرين غيره وهم يستعطون في مفارق الطرق واعني بهم امثال كسركيس(٣) وداريوس (٤) وبوليكرات .

فيلونيدس :

ان ما تقوله عن الملوك غريب يكاد لا يصدق . ولكن ماذا كان يصنع سقراط (٥) وذيوجين (٦) والحكماء الآخرون ؟ .

مينيب :

ان سقراط كان يتمشى هناك كما كان يفعل هنا

---

(٧) ربة الحظ .

(٨) ملك ليديا ضرب به المثل في الغنى .

(٩) امين سر الطاغية بوليكرات وخلفه .

(١٠) ملك طروادة .

(١١) بولس وساتيروس ممثلان شهيران .

(١) ملك كاريا له قبر فخم (٢) ملك مقدونيا والد الاسكندر الكبير (٣) و(٤) ملكان من ملوك فارس (٥) الفيلسوف اليوناني الشهير (٦) فيلسوف يوناني (٤١٣ – ٤٢٣ ق . م .)

وهو يجادل ويناقش كل الناس، وكان بصحبته بالاميد[٧] وأوليس ونسطور[٨] وغيرهم من الاموات الثرثارين • فخذاه كانتا لا تزالان ورمتين منتفختين بسبب السم الذي شربه • اما ذيوجين الجريء فهو يقيم بالقرب من الآشوري سردنبال[٩] والفريجي ميداس[١٠] وغيرهما من الاغنياء يضحك ويهزأ بهم كلما سمعهم ينوحون ويتأوهون ويتذكرون سعادتهم الماضية وكثيرا ما يغني وهو ملقى على ظهره بصوت شديد أجش يفوق تأوههم ونحيبهم فيضجرهم حتى انهم يبحثون عن مقر آخر لهم لانه لا يبقى في امكانهم تحمل ذيوجين •

فيلونيدس :

بهذا الكفاية • ولكن ما هو القرار الذي اتخذ بحق الاغنياء والذي تكلمت عنه في بدء الحديث ؟•

مينيب :

لقد أحسنت بتذكيري به لأني لا ادري كيف حدت بعيدا عن موضوعي بعد أن قررت ان اتكلم عنه • أثناء وجودي في هادس دعا البريتان[١] الى عقد جمعية للنظر في قضايا تهم الجمهورية • ولما رأيت جمهورا كبيرا يسرع الى الاجتماع اختلطت بالاموات واصبحت اثناء انعقاد الجلسة أحد اعضاء الجمعية التي نظرت في عدة قضايا وانتهت الى قضية الاغنياء الذين اتهموا بعدد كبير من الجرائم والعنف والصلف والقحة والظلم فنهض آخر الامر احد المتحزبين المتعصبين للشعب وتلا القرار التالي:

القرار

« لما كان الاغنياء قد ارتكبوا في حياتهم كثيرا من الاعمال المخالفة للقوانين كالسلب والغصب والاهانات من جميع الانواع بحق الفقراء ، فليحسن لدى المجلس والشعب ان تعاقب اجسادهم بعد موتهم كسائر المجرمين الآخرين وترد أرواحهم الى الارض فتدخل في الحمير وتظل هنالك خمسين الف سنة تنتقل من حمار الى حمار يحملون الاحمال ويسوقهم الفقراء وهم ينخزونهم بالمنخس وبعد ذلك يسمح لهم بأن يموتوا • هذا هو اقتراح كارنيون ابن سكوليتون من نيكيزي من قبيلة الياباتتيد[٢] •

وبعد تلاوة هذا القرار طرحته السلطات على التصويت فأقره الشعب وصاح بريمو ونبح كرفيروس وعلى هذه الصورة تقرر القوانين ويصادق عليها •

هذا ما كنت أريد ان اقوله لك عن الجمعية • ومضيت انا الى الغاية التي من اجلها سافرت فبحثت عن تريزياس حتى وجدته ورجوت منه بعد ان سردت عليه كل قصتي ان يعلمني ما هي افضل عيشة حسب رأيه • فأخذ يضحك (انه كهل صغير اعمى شاحب اللون ضعيف الصوت) ـ ثم اجابني : يا بني اني اعرف سبب ارتيابك، وحيرتك ، ومرد ذلك الى عدم اتفاق الحكماء فيما بينهم، ولكن من غير المسموح به ان يقال اكثر من ذلك ، فراد امانت يمنع هذا • فقلت له : لا تكن كتوما الى هذا الحد يا ابت بل اجبني ولا تدعني اعود الى الحياة وانا أشد عمي منك• عندئذ أخذني بعيدا عن الآخرين وانحنى قليلا وأسرَّ في أذني قائلا : عيشة الجهلاء هي الافضل والاحكم • فأقص عنك الرغبة الجنونية في تعليل الظواهر السماوية والتدقيق في الغايات والمبادىء ، واحتقر هذه القياسات المعقدة واعتبر ذلك كله ثرثرة باطلة ولا تبحث في كل شيء الا عن شيء واحد ألا وهو استخدام الحاضر استخداما حسنا والتمتع به ودع أكثر الحوادث تعبر وأنت تضحك ، ولا تنظر اليها نظرة جدية • وبعد ان تكلم هكذا انسحب الى سهل أسفوديل[٣] •

وبعد هذا التأخر قلت: « هيا بنا يا ميتروبارزانيس، لم لا نعود الى عالم الاحياء ؟ » فأجابني هدىء روعك يا منيب ، اني سأرشدك الى طريق قصيرة وسهلة • وعندئذ جاء بي الى مكان اشد ظلمة من غيره واشار لي بيده الى خط نور ضئيل يتسرب الى داخل الجحيم تسربه من ثقب شباك وقال لي : هذا هيكل تروفونيوس[٤] ومن هنا يهبط البيوسيون ، فاصعد من هنا فلا تلبث ان تصبح في بلاد اليونان • فسخرت بما قال وحييت المجوسي وبعد ان حبوت بصعوبة كبرى في ذلك النفق وجدت نفسي ولا ادري كيف في ليبادي •

---

(٧) اشتهر بالحكمة والاختراعات (٨) ملك بولوس اشتهر بالشجاعة (٩) رجل خرافي اشتهر بالخلاعة والجبن والتخنث (١٠) ملك فريجيا .

(١) شيوخ القبيلة أو القضاة الرئيسيون (٢) كارنيون ـ الجمجمة ، سكوليتون ـ الهيكل العظمي ، اليبانتيد ـ الاموات (٣) تلميح الى الاوذيسة ن ١١ ب ٣١٥ ـ ٣١٦ (٤) عراف كهف ليبادي في بيوسيا اعتبر فيما بعد الها مع

مختارات من الشعر القديم

ترجمة : نويل عبد الاحد

ان كنت تحبني

● لاليزابيت براونينغ ●

ان كنت تحبني فليكن ذلك لا لشيء بل لأجل الحب فقط .
لا تقل : اني احبها لبسمتها ، لنظرتها ، لحديثها العذب ، للفتة في فكرها ، تنسجم مع فكري فتشكل شعورا من طمأنينة لذيذة فهذه الاشياء ، بحد ذاتها ، يا حبيبي ، قد يطرأ عليها التغيير .
أو قد تتغير في نظرك
والحب الذي خلق منها يزول كما خلق ..
ولا تحبني من اجل الشفقة
التي تتولد كلما مسحت الدموع عن خدي ، فقد ينسى الانسان الذي ظل زمنا تحت عطفك ان يبكي ، فيفقد حبك كذلك .
فليكن اذن حبك من اجل الحب فقط
ليستمر حبنا مدى الازل ..

●

التائـه

● لستيفن كرين ●

عندما شاهد التائه طريق الحق أخذه العجب لانه وجده مكسوا بالاعشاب .
فقال : يبدو ان احدا لم يمر عليه ، منذ زمن طويل فتبين له ان كل عشبة كانت سكينا حادة فتمتم قائلا : حسنا ،
لا بد أن تكون هناك طرقا اخرى » .

لاتشفق علي

● لادناسنت فنست ميلاي ●

لا تشفق علي ، لأن ضوء النهار ، عند الغروب
لم يعد لينير الفضاء
لا تشفق علي لزوال الجمال
من الحقل والغابة ، كما تزول السنون
لا تشفق علي لشحوب القمر
ولا لجزر البحر
ولا لسرعة خبو شهوة الانسان
ولا لأنك لم تعد لتلقي نظرة حب علي .
لقد عرفت ذلك دوما :
ليس الحب اكثر من زهرة
تقاومها الرياح
أو مدٍّ عظيم يقع على الشاطيء
لينثر كل ما هو محملا من الانواء
اشفق علي لان القلب
بطيء في ادراك ما يراه العقل
في كل لفتة ...

●

النار و الجليد

● لروبرت فروست ●

يقول البعض ان العالم سينتهي بالنار
والبعض لآخر يقول ، بالجليد
أما فيما عرفته من الشهوة
فأنا مع القائلين بالنار
ولكن ان كان ليفنى مرتين
فأنا اعرف عن البغضاء ما فيه الكفاية
وأقول بأن شأن الجليد عظيم
وكاف لتدمير الارض .

رسالة الى الغموض .. في التشاؤم ..

* * *

لو أردت أن اشبع هذه الرسالة بكل ما يجول بخاطري لما انتهيت من كتابتها ولو واصلت انكبابي عليها أياما وأيام . ان الذي يمور بأعماقي جد مخيف وعنيف وضخم وهائل وغريب .

ليست الحياة بثمرة ناضجة .. شهية يتقدم الفم ببرود ليأكلها .. لا .. وليس الوجود بتلك الخطرات العقلية التي يحاول العقل أن يصهره بها .. وليس الزمان هو ذلك الشوط البسيط الذي نمشيه في دروب متشعبة لبلوغ مآربنا .. والكون ليس فراغ يتسع لكياننا وكينونتنا وهو لهذا وجد . ان الحدود أوسع بكثير مما تتخيل وان الاسوار أبعد وأبعد . ولن يستطيع الخيال المجنح مهما تخيلها أن يبلغ في معرفة ظل من ظلالها .. ان مجال الفكر مدخون في قوقعة الخرافة الانسانية وان منار العقل منار ضرير مادام يشغل حيز المستنقع البشري وليس الواجب أن ييأس المرء من فكره المحدود أو عقله المقيد وقصدي بالتقيد والتحديد كوننا وجدنا بشرا والبشرية لم تجد بعقلها الواعي وفكرها المتحضر ... الغاية التي خلقت لاجلها والهدف الذي اليه تسعى .. ما وجدت البشرية امامي الا هذا المدى المبسوط من الارض والبحر يغلفهما فضاء تقع في ابعاده الاجرام ... ما وجدت البشرية ا لاجيالا منها . ـ تفنى .. تتفسخ .. تنتهي . ـ اثر اجيال .. وشعرت البشرية بالضرورة لتأمين حاجاتها ومن تطور تأمين هذه الحاجات نشأت الحضارة و وُرّثت هذه الحضارة من جيل الى جيل ، فولد التأريخ .. عندما كان الجيل المولود يسأل عن اصله وعن اصل حضارته . ان التأريخ ابن الحضارة كما ان الحضارة وليدة الوعي .. لم تستطع البشرية اكثر من أن تلوك أشيائها بأسنانها دونما أن تصل الى الاسرار المعنوية التي يكمن وراءها الموت .. تترك الذي يقع وراء المفاوز لنجيء الى ما تحت الحس والبصر .. الى الحياة .. هذه الحياة التي فرضت على الانسان فرضا

وجيء بالانسان اليها دون ان يكون له رأيا وأظنه جيء مشدودا من أذنيه ومركوبا على ظهره وادخل القاعة.. فاذا به أمام الحياة يولد الانسان ويكبر قليلا .. قليلا برعاية والديه ثم يتزوج وينجب الاولاد ويعيلهم حتى آخر أيامه .

يولد الانسان وقساوة الحياة وظلامة الايام وتقلب الظروف ومكايد أبناء جنسه ... ضده .

يولد الانسان فيبدأ الصراع ليثبت وجوده امام الفقر والجوع والمرض والحاجة .

يولد الانسان وما أن يرى النور حتى يركض .. ويركض وان لم يركض هده الاملاق وحاق به الضعف وسايره الهزال فعلى كلا الحالين : متعب مكدود .

يولد الانسان ويمر من دور الى دور ... وفي دور اليفاع تبدأ يقظة الاحاسيس فتجتاحه الآلام من جراء ما يرى من رعونة الحياة تجاه الاطوار التي يمر بها ويخيم عليه الاسى عندما تقذف به الظروف في خضم الدورية الرتيبة المملة ..

يولد الانسان ويقف واجما امام الظروف الآثمة وامام النذر العاصفة وهي تتهدده ويتساءل .. اذن لماذا وجدت في عالم يهدد حياتي بالموت ؟ دون موعد سأموت لماذا ولدت ؟

يولد الانسان ويولد معه الشك حتى اذا كبر تنبه الشك وثار بأعماقه عاصف ثوري ضد ناموس الحياة وضد قانون الوجود وضد المثل والمثالية .

يولد الانسان ويقذف به في تيار الحياة الصاخب المضطرب وعليه أن يعبر بقاربه هذا التيار والمسؤولية عليه ... فان حطم التيار القارب حطم بذلك حياة الانسان ... فينتشله بعد عذاب طويل الموت ... فيرتاح من آلامه .. وهل آلم على الانسان من أن يرى وجوده ينهار من جراء الصراع الهائل .. ومن اجل شيء يحس

به مفاده لاشيء .

يولد الانسان فتتقاذفه كل هذه التيارات وتشده كل هذه النزوات فأي سبيل لنا وقد سدت السبل وأي منفذ لنا وقد وضع على المنافذ زفت اسود ..

مما تقدم نرى ان الحياة محنة كبرى بالنسبة للانسان .. هذا الانسان الذي كان في العدم مرتاحا .. هانيء البال لا يشعر ولا يحس .. اذا به هنا يتألم ويشقى ويتحسس هذا الشقاء وتمضي ايامه بين دموع وصراخ وولولات .. ولكن رغم كل ذلك .. هل يكره الانسان الحياة ؟

الحقيقة لا .. فالانسان عبد حقير للحياة وانه أشبه – وهو يعيش – بالذبابة تحت خف الجمل ما ان يرى الانسان حوله كل الصور الحية .. النور والظلام والشمس والنسيم والفصول .. والمرأة واللذة وما الى ذلك من متع وتصور لهذه المتع ومجد ورفعة وتخيل هذا المجد والرفعة و .. و .. و الخ حتى تشبث بكل هذه الذيول ويمسك بي مسكة المستميت عليها .. ان الشقاء شقاء .. والطموح – هذا التفوق الملحاح – يلعب دورا فعالا في حب الانسان للحياة .. والانسان الطامح هو الذي يعبر بطموحه عن حبه للحياة .. ومن يكره الحياة ليس امامه الا تعبيرا عن هذه الكره الا الانتحار .. فبالانتحار يستريح هذا الكاره من مرأى هذا الوجه الذي يثير به الكره .. الا وهو وجه الحياة .. بهذه الكلمات أعبر لك أين الغموض .. أين الساخر من التعابير .. عن المدى الذي يقف امامه الانسان مكتوف اليدين وعن الادراك القاصر لاستكناه اسرار الغيوم التي ترتع في الفضاء المترامي وبهذه الكلمات صورت لك الانسان وحقيقته في حياته ومشاعره اتجاه وجوده واحاسيسه امام آلامه وهل هو يكره الحياة أم يمجدها .. ولماذا ؟ ومن هو الذي يحب الحياة اكثر .. ان الذي يبرهن عن وجوده في الحياة هو الذي يفتح طاقاته الكبرى بها ويكسبها ثوبا جديدا ويوجه دفة سفينتها وجهة طاقاته الكبرى . انه الكائن الطموح .

ان الحياة ليست ثمرة شهية وانما هي جذع شجرة نخر يابس .. علينا نحن ان نجعله صالحا ونعتني به ونشذبه ونرعاه حتى ينتج لنا الثمرة الشهية التي هي نتيجة حياة المكافح في رحلته الحياتية .. كتب الجوع للحياة فيجب ان تتحمله .. الالم .. المآسي .. كلها يجب ان تتحملها .

ليس العيب ان يصارع المرء ضد آلامه ولكن العيب هو ان لا يعي آلامه وكفاحه ضدها يجب ان نعي ذواتنا .. ان معرفة الذات جزء من معرفة العالم .. جزء من معرفة المطلق .

فطرت الحياة على الآلام وفطر البشر على الكفاح ضد هذه الآلام ويأتي الموت فيأخذ الجميع الى وادي الصمت .. انها لمهزلة كبرى وانها التمثيلية ساخرة هذه الحياة

ولكن المدرك هو الذي يصرخ بالنائمين على الحان المهزلة والسائحين في فضاء الاحلام .

سلمية : أحمد سويدان

ذكريات طالبة (بقية)

لكنه تجاهل كلامها .. وشرع يتحدث هو :

– ألم تسمعي يا ماما .. يقولون ان شابا قد مات اليوم .. خنقه الغاز .. فقد كانت مدفأته مشعلة طوال الليل ..

وجمدت عيناي على حروف المجلة التي اتصفحها .. ثم جاء صوت امي :

– مسكين .. ومن هو ..؟ ألم يقولوا لك اسمه ..؟

واختنقت الحروف في حلق الصغير .. ثم نطق .. نطق الاحرف ممزوجة بالدموع :

– حسان .. حسان صديق اخي يا ماما ..

ثم اندفع الصغير الى حرج امه .. كان يشدها اليه بقوة .. بقوة .. وكأنه يريد أن يختبيء من شيء أفزعه ... وكان يبكي بحرقة .. بحرقة مرة مقذعة ..

ولم يتكلم أحد منا .. كانت الدموع وحدها هي التي تتكلم ..

* * *

وفي ظهر ذاك اليوم كنت اسير وراء حسان .. لم اكن في هذه المرة احادثه .. ولم يكن هناك زملاء يطلبون اليه أن يضع النظارة .. ولم يكن هناك شباب يلهبه الحماس وهو يرد (بدنا الوحدة) .

كان الجميع يسيرون في صمت .. صمت تغسله الدموع ..

جوع وضياع وضجر

اسامة بيرقدار

الوقت ... هذه الليلة ... المدينة ... مدينتي العتيقة ، مدينة البيوت المسقوفة بالخشب من عهد السلاطين ... أزقتها الضيقة صالحة للارهاب ... للمؤامرات والاغتيال ... اساليب الانهزاميين ... أصحاب الفكر الرخيصة ... انعدام الذات ... وأد الانسانية الفياضة بالمحبة والسرور ... الشيوعيون ... اصابع الديناميت ... المراهقين الذين يظنون انهم ملكوا الحقيقة والعالم كله وهم في السابعة عشرة من سني أعمارهم .

الوقت ... هذه الليلة ... المدينة ... دمشق .. انها تبدو كالرسم البديع من الطائرة .. دمشق الجديدة .. أبي رمانة .. الثريات الفخمة .. اصص الزهور الخائفة على الشرفة ... الحسناء الجافة من معنى الحياة ... المتكبرة .. تصطنع الجمال .. وليس هنالك اجمل من الشفة البتول دون مساحيق ولا دهانات .. وليس هنالك أروع من العيون تتفجر بالعطف ... والحب ... العيون الخضراء ... مبهجة كالسهول الخصبة ... جميلة كالنرجس ولكن دون ظلال ...

السهرة الصاخبة .. الخيانة الدنيئة .. العار باسم التمدن .. الكبرياء باسم الاشراف والرقي ... البنت البكر تستفيق على الحياة وقبلة الفساد مطبوعة على شفتيها ومعاني الانحلال تسيطر عليها ... المحروم في الشارع يسير ... نظرات دافئة من عينيه الى الافق ... مذهولة الى الابنية المصطفة برتابة كأحذية المخمل الفاخرة ... حاقدة ثم آسفة على اناس ضمن العلب .... علب الحياة المصطنعة ... وليس عندهم حياة .. يملكون القلق ... يذيبون الزمن كالثلج في خمورهم ... انهم يذوبون ... يمتصهم الانعدام ...

الليلة ... المدينة ... دمشق ... مدينتي ... ليست دمشق الازقة القذرة ... وليست دمشق ابي رمانة ... دمشق هي البيوت التي تتعانق دوما تعطي الثقة .. تستفيق مع الفجر على زجل الحمام البهيج .. تغتسل بالندى يكللها ... دمشق هي دمشق الياسمين ... الاخضرار المتسلق دوما ... دمشق الرياحين والزهور .. المحبة المتعاظمة ابدا ....

الناس فيها طيبون يفدون بعضهم بالدم .. يحتقرون الحسد ... محرم البغض ... الدنس تحت الاقدام .. يأكلون عرق جباههم ... يحيكون ثوب سعادتهم من مشاكلهم ... ينشدون مع القمر بصوت من قلوبهم ... من آلامهم ..

القمر شاحب .. النجوم مريضة محتضرة ... الكون اسود .. ولكن النور يتفجر من وجوههم .. الفرحة تتدفق ... على ضفاف بردى يقضون مع الايام تقلبات الايام يصنعون سماء تسودها المحبة والبهجة ..

الليلة هي آخر ليلة من السنة ... المدينة امامي ابدا لا تتغير ... الغروب ... تغرب حياة انسان معه ... هذا هو الجديد ... المدينة كالثوب المزركش ... ولكن ممزق مهترىء ... كالثكلى التي انهكها النحيب ... أصم اذنيها عويل الذكريات العاصفة تتلاعب بمخيلتها أيام حزينة قادمة .. حزن على سعادة هاربة ... فرار من عناء مطبق الابنية المتعانقة في ثقة يئن خشبها القديم ويتوجع .. الرسم البديع منقوش على الارض ... كالزخرفة التي لا تعبر عن الاخلاق ... المدينة مضطربة ... يتقاذفها مد وجزر ... كالثورة ولكن بعض الفوضى .. انها مرحلة الانتقال ... الجماهير تسير نحو الاهداف المقدسة ... وخيال البطل محفور في أذهان الناس ... وفي الحجور تقبع الشراذم التي تسبب الفوضى ... يمسكون الصخر ... وينحتون وردة من حجر الايدي القذرة المكبلة بسلاسل ماركس ولينين أرواحها ونفوسها مختومة بالرصاص تصدر الى كل قطر ينكر حق الانسان في اثبات انسانيته وصنع تاريخه واعتناق قوميته ..... ينتجون وردة من حجر ... تنطبع عليها اللمسات الحمراء .. الحقد ... داعية الاجرام ... طردوا باسترناك لانه صورهم على حقيقتهم ... لانه صور حقدهم واجرامهم

وحيوانيتهم ... ويح زيفاغو لو كان على قيد الحياة لنبش القبور ولتتكلم ساعتها الضحايا ...

الليلة ... آخر ليلة من السنة ... لا ... انه الصباح الآن .. الفجر .. يطل النهار على الكون ... وتشدو البلابل في أوكارها ... نسائم مغرية تحمل عطر زهور صاف من هضاب بعيدة ... تعيش بعيدة .. مع الماء ... مع البدريغرد لها..والزهرةعاشقة تهيم بها ..

أنا الآن أقضي اول يوم من سنة جديدة .. أنا ... جوع ... وضياع وضجر اليوم الاول على الارصفةمع اجراس منظفي الشوارع ... أين قضيت الليلة في الدخان ... في ضجيج موسيقى صاخبة ان هي الا حقيقة ... حقيقتي انا ... التشتت...ضحك ممزوج بالحقد بالندم ... بالكتب ... بالمجاعة بالبطر ... بالحسرة ... بالذكرى أمامي كانت غانية بالحقد بالندم.. بالكبت بالمجاعة بالبطر ... بالحسرة .. بالذكرى امامي كانت غانية مصلوبة على لوحة .. كم أكل الدهر عليها وشرب ... كم ضحكت وكم بكيت وكم هزئت ... ضاعت اخيرا ليس لها ثمن الغذاء ... ودفع ثمن الكفن من كان يتراكض لنظرة منها عندما كانت الايام تتوجها بالحسن وبهاء الطلعة ... بعد ان عصفت في خاطره ذكريات الشباب ...

الغانية ... اللوحة امامي ... كم نظر اليها الناس كم تأمل فيها غيري ... ولكن أعرف حقيقتها...أعرف الحسرة تحت البسمة الميتة .. أعرف البؤس تحت الالتفاتة المصطنعة ...

الظهور العارية تلامس يدي...ولكن بما أحسست انقدت مع الموسيقى أهتز يمينا وشمالا ... التصقت أخيرا بالارض كالمغناطيس لا تقتلع منها قدماي الا بصعوبة امام عيني ... دموع حائزة في المآقي .. ضحكات فارغة يمتصها الدخان ... مهازل ومآسي... طبقات كثيفة من الصخب .. رائحة الشهوة شعرت بالسقم ... وبان من بعيد بريق ظلال ودهان .. سمعت قهقهة عالية رأيتها ... الصدر عار تماما ... العيون تقدم الدعوة ... اقتربت مني ... الصخب من بعيد.. الدخان يحجب الناس .. لم أر غيرها .. لم أر الا نداء الجسد ... وانساقت الاقدام ببساطة ... رحنا نرقص ... ثديها غاص في صدري ... رأسي التعب غاب في عنقها .... جسدها يتحرك ... حرارتها تقتلني ... لم أرد الوردة في الماضي من حجر .. ولست اريد الآن زهرة البؤس ... رميتها بعيدا ... ابتسمت لها .. سالت دمعة من عيني .. لست أريد أن اخطو خطوة على الطريق الذي رصفه غيري بأحقادهم التي فرغوها بجسد تلك المسكينة ...

كم تحوي المستشفيات من ثمار بريئة لمتعة مجنونة رخيصة ... كم تسود سحب التشاؤم الداكنة في مستقبل الانسان ... وكم تتقلص سعادته ... ليس هذا نوعا من الاخلاص لحبي .. لن أتساءل كم من مرة أحببت .. ولكن أحب ... اخترت اخيرا ... سأبقى الى الابد وراءها .. تحولت ايامي من حزن ويأس الى ألفة وحب ووداد ....

لقد سكرت ... دخت ... الخمرة ... الفراغ .... خدرني الصخب وأسكرني الملل .. كم من مرة قيل لي انك ستصبح عظيما ... كم من مرة خدرت .. تركت ذلك المكان .. ودعت اللوحة التي شاركتني ندمي وأسفي ... وسرت ... أين أذهب... الى الفراش.. حيث أبكي وأبكي ... وأنتحر تدريجيا ...حيث أبني الاحلام والآمال .... ومن ثم يصبح الصباح .. ينتهي كل شيء الا انني ابتاع التطلي الرفيعة والصحيفة اليومية وحبة اسبرو .. الى الوظيفة...الى الموت البطيء ...

قيل ان كل انسان يضع لحنه ... وأنا جعلت الليل والنجم شاهدي ... واعتصرت قلبي ليتم اللحن ... ولكن ... !! ... انه على كل حال لحني أنا ... هل يتم ... لا...انه لن يتم ابدا كقصتي .. كالانسان.. كلما ضاع حرف ظهرت آلاف الحقائق المترجمة الى اعمال وحركات وابداع ...

اليوم ... ليس الليلة ... اليوم هو أول السنة الجديدة أقضيه على الارصفة مع اجراس منظفي الشوارع ... كالعادة ستمر الايام ... والشهور ... وتأتي سنة جديدة ... وانا آمل وأتفاءل منذ الآن وحتى الابد بأن يكون غدي وغد كل الناس اشراقا أبديا .. ليس كنجوم الليل التي اختفت .

كلية الحقوق
اسامة برقدار

لن يعود ..؟

قصة جديدة بقلم :
محمد بشار القاضي

* * *

لم أكن أظن أن هذا سيحدث في لحظة واحدة ، وان مجرد نظرة عابرة ألقيها عفو المصادفة على شيء ما ، ستذيب صمامات قلبي ، وتفتحه على مصراعيه ليدخل ذلك الحب ويستقر فيه ، والذي أسميته ـ فيما بعد ـ بنزوة من نزوات طيش الشباب .

لقد كنت بصحبة امي واخي ، نجوب (مدينة الملاهي) بحثا عن تسلية نقتل بها ليل الصيف الحار الثقيل ، حين توقف اخي فجأة ليسلم على صديق له وليقدمه لنا بهذه العبارة :

ـ اعز صديق عندي ، السيد احمد ..

ويتقدم السيد احمد ليصافح امي ، وينحني لها اجلالا واحتراما ، ثم يمد يده لي ، وينظرفي وجهي ، كأنما يريد أن يفتش عن شيء اضاعه أو كأنما خيّل اليّ هكذا ؟؟.. ولما لامس كفي ، ضغط بأصابعه ، برقة وحنو ، أحسست معها بأني سوف أفنى حالما يسحب يده من يدي ... وفعلا كدت أصعق ، حتى لقدفتّحت عيني وأغمضتهما مرة ومرتين وثلاثا ، دارت بي الارض ، ولفتني خفة ، كانني احلم ، أو امشي على الهواء ، فعيناي ، عيناي المحدقتان الجريئتان انكسرت حدتهما الآن.. والكبرياء ، والانفة ، والغرور وكل شيء ضاع ـ أو بات في حكم الضياع ـ في لحظة واحدة ... كنت انظر اليه وهو يمشي بجانبي ، كمن ينظر الى شيء غريب وعجيب معا ، أو كأنه الرجل الوحيد ، الذي أراه اذ ذاك...وأحسست بأن نغمات ناعمة ، مسكرة ملأت اذني ، نابعة من أعمق أعماقي ، تعزفها باشتهاء حواسي ، على أوتار غريزتي وميولي الجائعة ...

ودار بيننا حديث ، حديث ، تكلمت بدوري وأفضت بالكلام ولكني لا اعرف بماذا تحدثت اليه ؟ وبماذا صرحت له ؟.. الا انني اذكر شيئا واحدا فقط هو : انه احس شعوري نحوه فمنحني لقاء هذا الشعور المشتاق ، ابتسامة عريضة رسمها على محياه الاسمر ، ضمنها كل ما يملكه من سرور وغبطة ، وحملها كل ما لديه من سعادة وأمل ..

وانقضت تلك الليلة ...

وتكررت لقاءاتي معه .. تارة مع امي ، في زيارة الى اهله ، واخرى وحدي في نزهة أو في عرض فيلم ؟.. ولعلك تتساءل : كيف تم هذا الامتزاج والانسجام مع أهله ؟..

وبهذه السرعة الفائقة ؟..ستلاحظ معي ان لاجواب ، وستظل في دهشة واستغراب ، ولكنك ربما ستجد الجواب الشافي اذا احببت ؟.. وذبحت قلبك ثم قدمته على طبق من الورد الاحمر القاني ، هدية متواضعة للحبيب السعيد ..؟

ومرت أسابيع ثلاث ، شرح خلالها كل منا ما يكنه

للآخر ، من حب عنيف وهيام مشتعل وشوق زائد مستمر ، واتفقنا على (الخطبة) . وأفضى كل منا الى اهله بهذا النبأ المفرح ... وشرعت انتظر منه ان يفعل .. وطال انتظاري ؟؟.. لأنه كلما تقدم خطوة الى الامام تقهقر وعاد خطوات الى الوراء ... وهكذا دواليك ..

ويبرر هذا التقاعس المقصود ، والتردد المفتعل : (بأنه لم يفهم اخلاقي بعد ، ومن المحال أن تتم خطبة ، أو يتم زواج ، دون ان يتاح له دراسة اخلاقي وعاداتي وميولي .. فالزواج السعيد الموفق ، هو الذي يقوم بناؤه على اسس صحيحة من التفاهم ، والدراسة العميقة فالحب شيء ، والزواج شيء آخر : ... وعلى المرء ان يختار شريكته بعقله لا بقلبه .) .

بهذا الاسلوب ، بل بهذا الوعظ المدرسي ، يبدو انه استطاع اقناعي ، وآمنت بنظريته ايماني بحبي له ..

وتركت له ، الحرية في اختيار اليوم ، الذي نعلن فيه خطبتنا للناس ...

ومرت الايام... وبدأ حب احمد يفتر رويدا رويدا ، وتخبو جذوته التي كانت تتفقد شيئا فشيئا ... وطفق نتيجة هذا الفتور الملحوظ ، يفرض عليّ نوعا من التحكم الاعمى ، والتسلط المستبد ، الارعن .. مرة يخرج عليّ برأي يرغب أن يفرضه فرضا ، ومرة ثانية يقترح اقتراحا ، يود أن يحققه تحقيقا ... اذكر من هذه المرات واحدة ذات اثر فعال في علاقتنا ..؟

كنت معه في نزهة ، وبدأ الحديث بيننا سهلا يسيرا ممتعا ، وانتهى متشعبا صعبا مكروها ممقوتا ، ويتلخص: في ان حضرته ، يرتأي ورأيه صواب في أن أضع الحجاب لان والدته صالحة ، تؤمن بالله ، وتتبع سنة رسول الله ، لا ترضى بأن تكون زوجة ابنها عارية الرأس ، تخرج الى الشارع كالرجال .. ومن العسير جدا ، ان توافق على زواجه وهو رجل يرضخ لاوامر والدته ، ـ مهما كانت ـ ليكسب رضاها ، بل وعملا بقوله تعالى (ولا تقل لهما أف ،) الى آخر الآية الكريمة ...

ولم يقتنع بأن الحجاب شيء والايمان شيء آخر.. وان الحياة لم تعد كما كانت عليه من قبل ، ترزح تحت نير العبودية والرجعية العمياء انما هي قد تطورت وتقدمت ، وان الدين جاء رحمة للبشر ، وهو يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر .. ودار بيننا جدال حول هذا الموضوع حتى بلغ اشده ، وتطور بسرعة لم أكن اتوقعه ان يتطور .. ولما وصلت الى دارنا التفت اليّ وفي افتعال واضح وعصبية ظاهرة قال :

ـ ليس المهم أن أقول أحبك ، ولا ينبغي أن أبدو مائعا حتى ترضي ، أنا أؤمن بالحب كجزء من حياتي ، ـ في حياتي ـ وانت تؤمنين بالحب ككل في حياتك . الفرق بيننا شاسع جدا كما تلاحظين فلماذا تغضبين ،؟.. أنا من واجبي أن انفك عنك ، وأدعك لمن تلتقي معه على صعيد واحد في التفكير والاهداف . وفي هذه الميوعة التي تسميها انت مدنية ، وتطوراً في الحياة الاجتماعية . قال هذا ومضى ..

كانت الليلة بهيما مطبقة السحب والريح عصوفا فوارة ، تئز أزيز الرصاص وتعبث بأغصان الاشجار واوراقها ، وتجعلها تتداعى على الارض لتلفظ آخر انفاسها ، في هذه الليلة ، في هذه الساعة عرفت أن حبي سيزول ، وان أحمد مضى ولن يعود ..

حلب : **محمد بشار القاضي**

طير النيل

قصة بقلم :
نديم احمد طابوشة

•• عندما مالت الشمس نحو الغروب ، تحرك جميل قليلا ، دون ان يكلف نفسه عناء النهوض • وتطلع الى الشمس الغاربة وقال في ذات نفسه : لازال في النهار بقية •

ثم عاد فأسند ظهره الى جدار تلك المغارة ، التي اعتاد أن يأوى اليها كلما خرج الى الصيد • فهي تقيه غائلة البرد •• وتحفظه ، واخوانه ، وجميع « العدة » وحتى زورقه « طير النيل » من الانواء ، والامطار الهائلة ، التي تتساقط عادة على طول الساحل اللاذقي •

اخرج جميل من صدره زفرة طويلة ، أودع فيها شيئا من احزانه ثم اشعل لفافته ليفرج بها عن كربته • وعاد يقول في ذات نفسه مرة اخرى : « لم يبق هنالك سوى ليلتين •• وتنتهي بعدها عتمة الشهر • »

يا الهي •• يجب ان نصطاد شيئا •• والا كان العيد كسابقه •• حيث لا ثياب للاولاد •• ولا دراهم ••

وقبل كل شيء فان طير النيل ••

•• لقد هاله الامر ، عندما ذكر اسم ابنته الكبرى ، فحاول ان يبعد عن ذهنه هذه التصورات ، بأن يعمل أي شيء يشغله عن تذكرة ابنته •• فأطفأ النار التي اوقدها منذ الصباح طلبا للدفء •• وبعدها شرع بجمع العدة •

ولما انتهى قام الى الشباك المنضدة باتقان مبالغ فيه ، وبعثرها بكلتا يديه ••• ثم عاد ينظمه من جديد ، كما كانت •• الا ان عمله هذا لم يجد ، اذ حضرت بذهنه صورة لابنته الكبرى ، وقد بدت حزينة تأكلها الهموم •

ولكن ما الحيلة بأمر خرج عن طاقته •• انه يغدق عليها من الحب الشيء الكثير ••

ألم تلاحظ زوجته انه يحبها اكثر من الجميع ••؟

الم يطلق اسمها على زورقها ؟ بعد ان تأكد انه لا يوجد في « عين التمرة » زورق يدانيه بسرعته ورشاقته •• ولكن قد يكون الحب – احيانا – عملة غير معترف بها •

ألم تقل له : لا اريد سوى فستان احمر ••• وحذاء لماع ••؟

لقد شبت ، فلم تعد تكتفي – كبقية الصغار – بالحب وحده •

ولما انتهى من تنظيم الشباك ، نادى بأعلى صوته على ابن اخته ، الذي اعتاد ان يصحبه الى الصيد ، رغم انه لازال في سن مبكرة •

ولقد حاول هذا ان يظهر نفسه وكأنه مستغرق في نومه الا ان صراخ الخال « عبد •• يا عبد •• » اكد له ان لا مناص هناك ، لان ساعة العمل قد ازفت ، فقام متكاسلا ، متململا ، رغم انه يدرك تمام الادراك ، ان خاله لا يزعجه شيء اكثر من التململ ، والتكاسل ، •• حتى عزوف السمك عن النور ، واللجوء الى الظلمات في اعماق اللجة ، لا تزعجه كلحظة تململ ، أو تكاسل من احد الصيادين • لانه يعتبرهما ، أي التكاسل ، والتململ ، خيوطا واهنة في شباكه •• والشباك الواهنة لا تجتمع بسوى حشائش البحر •• ومع ذلك تجاهل الامر ، وحث ابن اخته ، ليساعده على نقل الشباك الى احد الزورقين الراسيين على الشاطيء •• بينما انهمك الصيادان الآخران بجمع « العدة » التي تخصهما •• وكذلك لم ينسيا مزاود الطعام وجرة الماء ••

قال جميل لابن اخته : تأكد من وجود ابريق « السبيرتو » •• وبقية الاشياء •• وثبت « اللوكسين » تثبيتا تاما ،

ثم أخذ يبحث داخل تلك المغارة عله يجد شيئا قد غفلوا عنه . الا ان ابن اخته صرخ بأعلى صوته ، ومن فوق القارب : « ما في سبيرتو » ..

فالتفت جميل الى اسماعيل ، أحد صياديه ، وحدجه بنظرة عتاب طويلة ..

فقال اسماعيل ، وهو يتظاهر بالمسكنة : والله كانت قليلة جدا .. لا تكفي لتشغيل « اللوكسين » ..

ـ : وتكفيك انت ؟.. متى ستتخلى عن الشرب ؟..

اكتفى اسماعيل بالنظر نحو الارض دون ان يجيب..

فاستأنف جميل حديثه قائلا : اذهب الى « حسن » .. ربما كان لديه شيء منه .. وانصحك الا تعد اذا لم تجد شيئا ، لانني سأسلخ جلدك بهذا الحبل .. وقل له يجب الا يبتعد عنا كما فعل البارحة ، اذا اراد أن يستعمل زورقك لمد شباكه .

فانطلق هذا للحال باتجاه المغارة المجاورة .. وهو يبتسم في سريرته ، ويقول في نفسه : لو انك تفعل ماتقول لما بقي في جسدي حتى اليوم جلد على الاطلاق..ولكن ليمحق الله هذا البحر الشحيح ..

ولما عاد اسماعيل ظهرت علائم البهجة والسرور على وجهه ، وفي حركات يديه ، وهو يرفع ابريق «السبيرتو» امام عيني جميل .. الذي اخذ يجذف بعيدا عن الشاطىء ، وكأنه غير رأيه ، فتبعه اسماعيل ، وزميله بالزورق الثاني

لقد ركض قدر طاقته وابتسم اكثر مما يحتويه قلبه من البهجة ، ومثل دور « المهرج » وهو يقبض على ابريق « السبيرتو » ملوحا به .. امام عيني جميل ..

قام بكل هـذا حتى يخفف من غلواء التطير الذي يصيب جميل في مثل هذه الاحوال .

ومن ثم فان كل ما يرجو من الله هو ان يوقف تطير جميل الى حين .. ويمن عليهم بصيد وفير ، ليوفي ديونه للسمان ، والفران .

كانت حمرة الشفق تبعث على الدفء المخدر ، الا ان عامل الكآبة كان ظاهرا على وجوه الجميع ، بفعل صفحة الماء الساكن ، وكأنه المرآة...وجمود الزورقين ، وكأنهما يمخران اثناء حلم مزعج ...وفوق كل هذا رائحة البحر المعروفة في مثل هذه الحالات .

أخذ جميل يراقب ما حوله ، فوجد زوارق بقيـة الصيادين ، وقد اخذت طريقها الى عرض البحر ..

كانت عديدة .. اكثر من عشرين .. وهي جميـع زوارق الصيد التي ترسو في « عين التمرة » ..

لقد كان لعتمة هذا الشهر بداية حسنة ، فلقد سبق طير النيل الجميع ، فخيب بذلك ظن الكثيرين ، اولئك الذين بالغوا بمدح « عنتر » زورق « حسن » الجديد. حتى هؤلاء استطاع طير النيل ان يثير اعجابهم بشـكل ملحوظ .

ارتسمت على ثغره ابتسامة خفيفة ، ارتاحت لها نفسه كثيرا . فهمس في سره : ما صنعت طير النيل .. حتـى تسبق ولما ذكر اسم ابنته ، عادت اليه ذكرها من جديد، فأراد أن يتخلص منها بأن يشغل نفسه ، فأخـذ يحسن جلوسه في « جورة الدفة » .. ثم بالنظر الى الافق البعيد، حيث كان ملاذ الشفق الاخير .. الا ان تلك الذكرى كانت قوية ، قاهرة . فقال : أي جـو مقيت ، مـرهق يصاحبني .

ثم رفع بصره الى السمـاء .. الى حيث النجـوم اللامعة ببريقها الرمادي .. وقال في ذاته ان خلف هـذه النجوم الها .. لا يتخلى عن مخلوقاته ..

ثم اخرج من صدره زفرة طويلة وهو ينظر الى مـا وراء البحر راجيا من الله ان يحرك صفحة الماء قليلا ، حتى تموت الكآبة التي خيمت على جميع الصيادين .

أحس جميل بدافع من داخله يدفعه للرسو في المكان، الذي رسا فيه البارحة ولقد قال له ذلك الدافع :

ارس هنا .. وتوكل على الله .. فخبر الجميع بما عزم عليه ، فرمم ابن اخته مرساة طير النيل ، ورمى اسماعيل،

مرساة الزورق الآخر ، واما عنتر فلقد رسا بمكان ليس ببعيد عنهما .

ثم انهمك جميل باشعال « اللوكسين » وتهيئة اسباب الصيد .

وبعد ان استقام له الحال بمدة لا بأس بها ، تطلع داخل المياه المضاءة فوجد اسرابا من السردين آخذة بالتجمع وهي ذات حجوم لا بأس بها ، وهذا مما لاشك فيه ، ينبيء بالخير العميم ، والصيد الوفير .

لان السردين ذي الحجم الصغير والمتوسط يستأنس بوجود السردين الكبير .. وكثيرا ما يبحث عنه عندما يفتقده فابتسم في سريرته .. وصاح بابن اخته : عبد.. يا عبد ..

ثم صمت قليلا ، وتأكد بعدها ان ابن اخته قد تنبه ، فقال له : كم الساعة الآن ؟

ـ : ثمانية وعشر دقائق !

فردد جميل خلفه بصوت خفيض ثمانية وعشر دقائق !..

لازلنا في اول الليل .

ثم عاد يراقب تحرك السردين باتجاه النور .. وهو يقول في ذات نفسه والاهتمام باد على وجهه :

ـ : احجام كبيرة .. ستكون ليلتنا ممتعة ، بهجة.

ثم انهمك في عدها ، على غير عادته : واحد .. اثنين .. ثلاثة .. عشرة .. عشرون ....

لقد تصرف كما يفعل الصياد في صيده الاول ، وبتعبير آخر كما يفعل هاو غشيم ، فلام نفسه واعتبر عمله تصرفا صبيانيا ثم ترك مراقبة السردين ، واستلقى على ظهره ، بشكل يرتاح فيه ، واغمض عينيه ليتخيل اسرابا من السردين لا حدود لها . تجتاز عباب البحر . ثم تقف عند انواره هاشة باشة .

فقفز قلبه فرحا ، حتى انه لم يستطع ان يحبس نظره عن التطلع الى السماء ، عله يجد بقعة سوداء ، وكأنها غيمة كبيرة من غيوم آذار .

وعلى أقل تقدير يجب أن تكون أفراخ السردين الكبيرة قد استهوت بعض اسراب السردين الاخرى فتجمع حولها .. ولكنه وجدها كما كانت ، ربما ازدادت قليلا .. فأحب أن يحصيها ليتأكد من تصوره ، الا انه عاد فمنع نفسه ، لانه اذا فعل ذلك يكون قد عاد الى اليوم الاول الذي خرج فيه للصيد ، لحساب احد اصحاب الزوارق .. كابن اخته عندما كان في يومه الاول .

عاد يستلقي من جديد .. ليحصي اشياء اخرى غير الاسماك .. تلك التي رصفت في الاعالي ، حيث الفضاء القاتم في سواده .

وتابع احصاءه مدة طويلة .. ربما مر على نجم اكثر من مرة ، وقد يكون قد احصاه مرات عديدة ، وخاصة اذا كان لامعا براقا ، يسترعي الانتباه ، كفرخ سردين كبير .

ثم عاد يسأل ابن اخته مرة اخرى : كم الساعة ؟..
فأجابه بتكاسله المعروف : الحادية عشرة تماما .

عاد ينظر الى الماء من جديد عله يجد فيه « غيمته السوداء » المحببة الى نفسه .. الا انه لم يجد شيئا سوى تلك الاسماك السابقة ، وشيئا يسيرا قد انضم اليها ..

كان اسماعيل وهو في القارب الآخر ، قد هدده الانتظار فصرخ بأعلى صوته : خير يا ابا طويره .؟

فأجابه هذا : خير ... ان شاء الله خير .

ثم عاد الى استلقائه مرة اخرى ليعد شيئا آخر غير النجوم ، وهي تلك الانوار المنبعثة من مدينة اللاذقية وضواحيها .. فقال في نفسه : لو بعث الله برزقنا قبل هذه الليلة لكنت الآن بين اولادي .. امازحهم، وانا اساومهم على مشتريات العيد ... وكنا قد خلصنا من هذا البرد المميت .

ثم ضغط بابطيه على راحتيه وعاد الى احصائه : واحد .. اثنين .. خمسة .. عشرون .. ثلاثون ...
صمت قليلا ثم عاد يسأل ابن اخته : كم الساعة ؟.

ـ : الواحدة الا ربعا ..

فنظر الى الماء المضاء ، فتراءى له ان عدد الاسماك ثابت لا زيادة فيه ، فأرسل حوقلة صادرة من اعماق أعماقه ، ثم عاد الى احصاء الانوار مرة اخرى ، والتلهي بأي شيء آخر .

الى ان بدأ الزورق بالتهادي على صفحة الماء ..
ولما تطلع جميل باحثا عن السردين .. لم يجد منها سوى اربعة ..

ترى هل تشير الى عدداولاده..كي تزيدفي ايلامه..؟
هكذا حدثته نفسه وهو ينهض ليقول : سنعود الى المغامرة.. اسحب المرساة .

فاستجاب له ابن اخته دون تلكؤ .. لانه يدرك مدى الحزن ، الذي أصابه .

أطفأ جميل « اللوكسين » وقاد « طير النيل » باتجاه الزورق الآخر . ونادى بأعلى صوته : هيا بنا .. يا اسماعيل .

فسأله هذا مستفسرا : هل نعود الى « عين التمرة »؟

ـ : كلا ..

ـ : ان بقية الزوارق في طريق عودتها..لان الانواء ستبدأ عما قريب .

ـ : يخيل الي ان هذه البوادر ليست حقيقية ... لننتظر حتى الصباح !..

لاذ اسماعيل بالصمت ، وهو يتبع جميلا الى المغارة بينما عادت جميع الزوارق الى اللاذقية ما عدا واحدا هو « عنتر » قارب « حسن » الجديد .

ان شعاع الامل الذي خبا ، مع ترك البحر ، اراد جميل ان يمد في عمره ليلة اخرى ..

وتلك كانت بغية حسن . أما بقية الصيادين فلقد يئسوا .. وهذا من حقهم .. فليس هناك سوى ليلة واحدة من ليالي العتمة .. وهي ليست بذات قيمة ، ولو لم تشر البوادر الى شيء .. ونامت العاصفة الى بعد غد ..

وفي الصباح اشتدت الانواء بشكل دفعت جميل الى اليأس التام فقال لصياديه : لنذهب الى اللاذقية ..

فتلقى اسماعيل هذا النبأ السار بكثير من الفرح واعتبره « مفاجأة سارة » .

ربما لانه قد اعد للامر عدته .. وهيأ كل شيء مع زميله . انطلق بزورقه بعد ان سمع « المفاجأة السارة » بلحظات . كان اسماعيل يريد ان يتخلص من هذا المكان المقيت ، لان الانواء اذا هبت ، وسيطرت فانها لن تموت قبل اسبوع . وهذا يعني انه سيبقى هنالك اسبوعا كاملا ... واذا قدر له ان يذهب الى اللاذقية بعد نقاش حاد .. فانه سيعود ليناوب كغيره من الصيادين ، ولو انه يملك نصف القارب الذي يعمل فيه ..

أما بعد ان ترك الامر الى الشراع يعب ما يريد من الهواء ، فان هذا الامر المقيت على نفسه ، قد دفن لساعته
وأما حسن فلقد فكر بأمر الانواء كاسماعيل فتهيأ مثله.. وانتظر حتى تكون البادرة من غيره .

لهذا نشر شراعه حالما شق زورق اسماعيل طريقه ..
ولما انتهى جميل من تهيئة نفسه انطلق هو ايضا .. ربما تعمد ان ينطلق متأخرا ، حتى يريهم بأم اعينهم بشكل لا يحمل الشك ان طير النيل لا مثيل له .

وبعد نصف ساعة جال جميل ببصره في ذلك البحر الزابد وخلال تلك الامواج المتلاطمة .. ادرك ان زوارق كهذه بما في ذلك « طير النيل » لا يمكنها ان تقاوم كثيرا .

الا انه هتف في اعماقه : لي الغلبة ايها البحر ..

ثم دفع مقود الدفة الى اقصى اليسار ، فاندفع الزورق باتجاه الشاطيء .. اكثر فأكثر .

ولقد قام بهذا العمل لان الانواء تقسو كلما توغل الزورق في عرض البحر .. ومن ثم لو حدث شيء ما غير مرض كان بامكانهما ان يسبحا حتى الشاطيء الرملي..

ولما اصبح « طير النيل » على ظهر احدى الامواج تطلع جميل باحثا عن زورق اسماعيل .. فوجده وقد لاذ بالشاطيء كما فعل هو .. فابتسم قليلا وقال في نفسه: عظيم يا اسماعيل عظيم ..

ثم صمت قليلا ، وقال : لم يذهب تعليمي هباء .

لم يمض طويل وقت حتى شاهد زورق حسن عن يساره والى الامام فثارت نفسه من العمل الجنوني والاستهتار بالارواح والاموال . ثم امر ابن اخته ان يلوح لهم حتى يقتربوا من الشاطيء .

الا ان الانواء العاتية كانت لهم بالمرصاد والامواج الصاعدة الهابطة تميت كل امل بالنجاة . وتطفيء كل بارقة قد تظهر لعيني جميل النسريتين .

وظل ذلك الصراع .. صراع الامواج والرياح العاتية والامطار الهاطلة بقسوة وغزارة مدة نصف ساعة امن جميل بعدها على كل شيء .. لأن الشاطيء الرملي في خليج « عين التمرة » اصبح غير بعيد .. والرياح في ذلك المكان اقل شراسة .. واكثر طوعا ..

الا انه ظل قلقا على « حسن » الذي اصبح ، على يسار « طير النيل » ، بعيدا في عرض البحر .

ابطأ جميل قليلا لمدة من الزمن كان ابن اخته يلوح بكلتا يديه .. الا ان القارب « عنتر » لم يستجب الا لنداء العاصفة وتحركات الامواج .

واخيرا مال ذلك القارب على جنبه وابتلعته الامواج..

فاندفع جميل باتجاهه فورا .. وبدون تفكير..لانه اذا حاول ان يفكر بالامر .. وصل الى نتيجة حتمية..وهي ان عدد الموتى سيزيد اذا حاول انقاذهم .

وبعد مدة من الزمن ، وصل الى ذلك المكان ، فوجد الصيادين الثلاثة وقد تعلقوا بالسارية والمجاذيف فنادى على ابن اخته .

ــ : ارم لهم طرف الحبل ..

ولما تمت عملية الانقاذ وجلس الغرقى في ارض الزورق تطلع جميل الى ما حوله وقال في نفسه : « انها النهاية لي ولطير النيل .. وللجميع » . لانه شعر بمقاومة الانواء له منذ ان عاد طير النيل واتجه صوب عين التمرة .

بقي على هذه الحالة ساعة من الزمن ، كان شاطيء عين التمرة خلالها آخذا بالابتعاد التدريجي فأدرك ابن اخته خطورة الحالة ، اذ شاهد الامواج وهي تنهض من تحت الزورق فيبدو وكأنه تسلق جبلا وبغمضة طرف يتهاوى ذلك الجبل الشاهق فيسقط ذلك الزورق وكأنه حجر قذف في بئر جافة . فأخذ يرتعد وهو يقول : لازلنا بعيدين .. وسنظل نبعد .. » .

فأجابه خاله وهو يفتعل البرود وعدم المبالاة : ايه : اتخاف من البحر .. معك طير النيل ..

فسكت هذا ، الا ان علامة القلق والاضطراب لازالت واضحة تماما على وجهه ..

وبعد مدة وجيزة سيطر القلق والصمت على الجميع بما فيهم جميل !

وظلوا على حالتهم هذه الى ان سمعوا صوت محرك فالتفتوا صوبه فوجدوا مركبا بخاريا للصيد يتقدم نحوهم فصرخ ابن الاخت بأعلى صوته : « بابور سمك ... بابور سمك ..» .

وحالما تأكد جميل من المركب البخاري اندفع باتجاهه..

وبعد دقائق قليلة ترك الجميع ذلك الزورق وشدوه بحبل الى مؤخرة المركب .

واما جميل فلقد ظل يقود قاربه دون ان يصغي لقول اسماعيل ــ الذي خرج بالمركب البخاري مع من خرج لانقاذهم .

ــ : يا ابا طويره انك مرهق .. اعطني مكانك ...

كان الافضل له ان يترك امر الزورق لاسماعيل .. الا انه ، رفض ذلك ، لان دموعا غزيرة اخذت تجول في مآقيه .. والاولاد الصغار وعن شقاء محبوبته المفضلة « طير النيل » ..

اللاذقية : **نديم أحمد طابوشة**



دفاع عن باسمة

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

هل يحق لي ان ارد على نقد يوجه الى عمل من اعمالي الادبية ؟

ان الناقد في حقيقته قاض ورائد . فهو بالنسبة الى الفنان قاض يصدر حكمه على الاثر الفني مبنيا على حيثيات بعضها مستمد من القواعد الموضوعية العامة وبعضها مستمد من ذوق الناقد الشخصي وهوى نفسه. وحين يصدر هذا القاضي حكمه فحسن ان يتخذ الفنان منه عبرة ويتعرف منه على اخطائه ، اخطاء الفنان اعني ، ولكن من العبث مراجعته فيه . وهو ، أي الناقد ، بالنسبة الى جمهور القراء رائد يعرفهم بالاثر الذي لم يتعرفوا عليه بعد أو انه يبصرهم بخصائصه وبالجوانب الغامضة أو المشكلة فيه . والرائد لا يكذب اهله كما قال العرب الاولون ، لذلك فمن العبث ، اذا كان الرائد مخلصا ، ان يقوِّله الفنان ما لا يعتقد به حقا ، من العبث محاورته في ذلك ومداورته . ولهذا اتخذت لي خطة ان لا ارد على نقد يوجه الى اعمالي الادبية ، آخذا ومعطيا مع الناقد الذي اصدر على عملي حكمه ، وان كنت مع ذلك اهتم بكل نقد مهما كان مصدره . ولقد اثنى على انتاجي الادبي نقاد كثيرون في مناسبات عدة وهاجمه آخرون ، فما اغتررت بالثناء ولا استنكرت الهجوم . وانما كنت احاول ان اتلمس الصواب في ما يقوله عني الناقد وان افيد منه اذا كان الناقد مخلصا . اما اذا كان سيء النية أو مريدا ان يُعرف بتعرضه الى المعروفين فان ابتسامة الاشفاق عليه أو سكوت المستخف به اولى وأجدر .

الا انني اجدني في هذه المرة متجاوزا خطتي التي اسير عليها اذ ارد على الاستاذ وليد مدفعي الذي نقد في العدد الاخير من الثقافة روايتي « باسمة بين الدموع ». والواقع ان ما اكتبه هو دفاع عام عن « باسمة » اكثر من ان يكون ردا على هذا النقد وحده . وقد وجدتني مسوقا الى هذا الدفاع لاني رأيت روايتي هذه قد اثارت بين قرائها رغبة في مناقشتي وفي الاستفهام مني عن هويات شخصياتها وآرائهم وتصرفاتهم وعن ظروف كتابتها وطريقة كتابتها ما لم تثره قصصي وآثاري الادبية الاخرى . والحق اني سررت بجو النقاش والجدل هذا مثل سروري ، بل اكثر ، باجراء الاعجاب المطمئن الذي

كان قرائي يحيطون بها قصص « بنت الساحرة » أو « قناديل اشبيلية » ، وان كنت اعلم ان نقاش بعض القراء الاصدقاء لي كان يخفي في ثناياه تشككا بالقيمة الفنية لهذه الرواية لم يعقهم عن الافصاح به الا تجنبهم اسماعي ما اكره . وانا اعذر اولئك القراء الاصدقاء في نظرتهم الى « باسمة بين الدموع » نظرة الاستغراب والتشكك ، فقد جاءتهم بما لم يكونوا ينتظرون . لقد استغرب بعضهم ان وجد في طراز كتابتها انحرافا كبيرا عن مخطط الروايات التي ألفوا قراءتها ، والروايات العربية منها على الاخص . واستغرب آخرون اذ فاجأتهم بواقعيتها وبأنها تسير في شخوصها وفي حوادثها على غير ما ألفوه مني في كتابة قصصي القصيرة . ولعل آخرين غير هؤلاء واولئك قد استغربوا أو صدموا لان روايتي لم تكتب بالطريقة التي يريدونها هم انفسهم ان تكتب به .. ولكل هذا اردت ان اضمّن ردي على نقد الاستاذ وليد مدفعي بعض وجوه الدفاع عن هذه الرواية ، جاهدا على ان يكون دفاعي تبيانا لوجهة نظر صواب اكثر منه تبريرا لاخطاء واقعة .

لا يسعني في البدء الا ان اثني على نقد الاستاذ وليد مدفعي لروايتي ، الذي اراده موضوعيا نزيها . فقد كان في نقده كما يجب أن يكون الناقد الحق رائدا مخلصا وقاضيا منصفا . بل انه كان فيما يخيل الي قاضيا رحيما . فان الحيثيات التي بنى عليها حكمه كانت تصلح مبررا لحكم قاس يصدر على مؤلف الرواية ، ولكنه آثر الرأفة ... لذا فأنا اشكره على ما حكم به وان كنت لا اتفق واياه كثيرا في مبلغ هذه الحيثيات من الصحة والصواب . وانا احاول فيما يلي ان اناقشه في صحتها وصوابها .

ابدأ من هذه الحيثيات بالتسلسل الزمني للقصة . فقد وقع الاستاذ مدفعي في اتباعه لهذا التسلسل في بعض الاخطاء غير ذات الخطر ولكن استدراكها يخفف من جريرة المؤلف في نظر الناقد واعتباره . فالفصل الثالث من الرواية لا يبدأ في اوائل الصيف كما قدر الاستاذ مدفعي بل في اواخره ، اذ ان سليمان عاد الى دمشق قبل موعده العادي باسبوعين (هذا وارد نصا في الصحيفة ٥٣) فلما أقام في العاصمة قرابة عشرة ايام هي المدة التي استغرقتها حوادث الفصل الثاني كان الصيف قد انتهى وكاد . والفصل الثالث نفسه لم ينته بانتهاء الخريف بل في الربيع ، فلقد تمت نزهة باسمة وسليمان في يوم مشرقة شمسه من ايام آذار ، واحراج الصنوبر على شاطيء البحر في لبنان دائمة الاخضرار في كل فصول السنة ! وكذلك ليس صوابا ظن الناقد ان اليوم الممطر في بيروت لا يكون الا في الشتاء ، فأمطار ايلول هذا العام لم تجف حتى هذا اليوم من شوارع بيروت ... وما قول الاستاذ وليد اذا ذكرت له ابي تعرضت في أوائل تشرين الاول من احد الاعوام الفائتة الى حادث قريب الشبه من حادث صديقي الاستاذ سليمان بطل الرواية ، في اعقاب مطر غزير انصب على قمة ظهر البيدر ؟

ومن مآخذ الناقد على المؤلف قوله انه سها عن صفة معطف هيام فجعل اللون الاخضر فيه مرة نثرات ومرة خطوطا .. جلّ الذي لا يسهو ، ولكن الامر لا يعدو في الحقيقة ان يكون خطأ مطبعيا : كتب المؤلف « خيوط خضر » فجعلها الطابع « خطوط خضر » . واظن ادراك ذلك سهلا على الاستاذ مدفعي وهو يرى كيف تحولت كلمة « الخضر » في مقاله الى « الخطر » بيد طابع المجلة ... والله وحده يعلم كيف سترد هذه الكلمة في عدد المجلة التي سينشر فيه هذا المقال !.. اما الامور الكثيرة والخطيرة التي جرت في حياة سليمان في خلال ستة شهور ، والتي لم يقتنع بجريها الاستاذ الناقد مستشهدا بقول باسمة ، فهي كثيرة وخطيرة حقا في اعتبار سليمان . من هذه الامور ايمان سليمان بالحب بعد طول كفران ، ومنها حادثة الاصطدام وما خلفته في جسده وفي تفكيره من آثار ، ومنها ادراكه القوى لتفاهة نفسه وحياته . ولا يصح الاستشهاد بباسمة في هذا المجال ، لان الرواية كما ادرك الناقد ولاشك تجري متتبعة شخص سليمان كأنه هو الذي يكتبها بنفسه . فهي تسجل الى جانب أقواله وأفعاله ، خواطره ومونولوجاته الداخلية في حين انها لا تسجل من باسمة وسائر الشخصيات الاخرى غير الاقوال الظاهرة والافعال . لذلك فان كلام باسمة ليس له من قوة التقرير في احداث الرواية ما لكلام سليمان أو خواطره .

ولست ارى انا في طبع سليمان التناقض الذي رآه الاستاذ مدفعي بين تلقيه الصدمة اول الامر بتلبد اعصاب ثم انفجارها تاركة فيه آثارا مضاعفة ، وبين احتماله الغريب للصدمات اذ يعالجها بالسخرية والتفلسف • فالامر الاول هو طبيعة نفسية ترجع الى التكوين العصبي لسليمان والامر الثاني خلق مكتسب ، اكتسبه الاستاذ سليمان بالتفكير والرياضة العقلية • لذلك نجد في سياق الرواية ان الطبيعة النفسية قد تغلب الخلق المكتسب حتى ليعجز سليمان ان يصل الى غايته من هدوء الاعصاب عن طريق السخرية والتفلسف • وعاب الاستاذ الناقد على الرواية ان البيئة التي تدور فيها احداثها لم توصف الا في موضع أو موضعين • وانا احيله ، ردا على هذا ، الى الصفحات التي وصف فيها الحي القديم وتلك التي تصف قلب دمشق وتنقله بين الليل والنهار ، فانها تأريخ لحياة دمشق لم يسجل قبل هذه الصفحات في اثر فني • وكذلك الكلام على ليل دمشق في طريق المهاجرين وعلى أجواء المرابع والمنتزهات والملاهي في بيروت • أما ماورد في مقال الاستاذ الناقد عن تضمن الرواية بعض المواضيع الطبية التي لا دخل لها في سياق قصتها فلعل مرجعه أنانية مثل أنانية الفريد هتشكوك الذي يأبى الا أن يظهر بشخصه ، ولو في لقطة قصيرة ، في كل فيلم يخرجه ••• أو لعل ذلك لادراك المؤلف ان الطب ، مثل السياسة ومثل الحب ، له في الحياة دوره الذي ان لم يكن أساسيا فهو بدون شك خطير وهام • لقد قام الدكتور الياس بدور الطبيب العالم في قصة باسمة ، وفي اعتقادي انه وان ظل مبهم المعالم كشخصية قد وهب الرواية الجديد الذي سماه الاستاذ وليد مدفعي اغناء ، وانه أعطاها قيمة مفردة أخرجتها من صف الروايات التي تلقى بين أيدي القراء العرب في كل يوم •

هنالك نقاط اخرى غير ما ذكرت من نقد الاستاذ وليد مدفعي اختلف واياه عليها ، غير اني اقتصرت على هذه كمثال من مآخذه على « باسمة » موضحا وجهة نظري فيها • الا اني احب أن أقف على نقطة خاصة تتعلق بالترتيب الزمني للرواية اوردها الناقد الكريم وردده مثله كثيرون وهم يتسائلون عن قيمة رواية فقد فيها هذا الترتيب أو اتخذ فيها الشكل الغريب الذي اتخذه في « باسمة بين الدموع » • ان الشكل المألوف والبسيط لكتابة الرواية هو شكل الحكاية أو السيرة التي تبدأ بطفولة البطل وتنتهي بموته ، أو على الاقل تبدأ بولادة الحادثة وتنتهي بخاتمتها • وهذا هو الشكل الذي كتبت فيه كل الروايات العربية تقريبا ، والذي اتبعه حتى كتاب القصة القصيرة • وأنا أعترف اني قد خالفت هذا الشكل في كتابة « باسمة » ، ولكني لا اعترف بأن أرى في طريقتي التي اتبعتها عيبا • ولو شئت لسميت آثارا روائية عالمية لم يتقيد كتابها بشكل السيرة في كتابتها ، غير لي لن أتخذ هذا مبررا لي لاني شخصيا لم أرد اتباع احد في هذا المجال بل اتبعت هواي الفني وحده • ودليلي على ذلك اني حين رجعت الى مجموعة قصصي القصيرة الاخيرة ، قناديل اشبيلية ، مثلا وجدتني قد اتبعت في واحدة منها فحسب طريقة السرد المتتابع الزمن بينما كان الزمن في سائر قصص المجموعة متقطعا أو متداخلا أو متراجعا أو دائرا على نفسه ! وأنا ادرك ان هذه الطريقة متعبة للقارىء الذي يريد سهولة وبساطة ولكن ليس كل ما في الفن سهلا وبسيطا • ولعل لي ، سوى ايماني بأن الحادثة هي التي تكيف الزمن على الغالب ، لعل لي اربا في أن ادير رأس القارىء فاريه في سكر الدوار ألوانا من الجمال الفني لم يره اياها كتابنا الآخرون •••

واقف كذلك عند نقطة أثارها الاستاذ وليد مدفعي اثارة عابرة بينما أجد ان عندها يحسن الاخذ والرد • فثمة ألفاظ قال عنها هو انها عسيرة الفهم أو جافة ، مثل تضاريس وقطع زائد ومرتسم ، وجد ورودها في رواية ادبية • في حين أجد انا ان ايراد مثل هذه الالفاظ هو بعض ما يجب أن تتعمده لاغناء لغتنا الادبية واكسابها الدقة والضبط في التعبير • وقد اشتهرت اللغة العربية بغناها في المفردات وبدقة هذه المفردات في التمييز بين المعاني المتقاربة • وأنا أقول انه ربما كان هذا شأن اللغة عند الاقدمين ولكننا اليوم ككتاب ، نلمس عجزها وقصورها عن اداء ما نريد اداءه من أفكارنا • مثال على ذلك : لو أردت أن تصف مظهر القوة الجسدية لرجل فان أمامك تعبيرا أو تعبيرين مبتذلين غامضين

لا أكثر ، نقول رجل مفتول العضل أو وثيق البنيان ...
ولو وصفت رجلك كما يفعل كاتب غربي بأن قلت انه نامي ذات الرأسين أو بارز الدالية لضحك منك النقاد والقراء وعدوك متحذلقا متكلفا . ومع ذلك ، فان كل طالب بكالوريا ، واغلب قراء الآثار الادبية ممن بلغوا مستوى البكالوريا في دراستهم ، يعرف ولا بد ما العضلة الدالية وما ذات الرأسين مثل معرفته التضاريس والقطع الزائد والمرتسم . ذلك ان اللغة في الواقع لا تعني الكلمات الموجودة في القاموس بل الكلمات المتداولة على الالسن والمألوفة من الاسماع . فالى متى اذن نظل نتحاشى ايراد الكلمات الجميلة المفهومة خيفة أن لا يفهمنا البسطاء ، ونبتعد بذلك عن اغناء لغتنا وتكمينها من اداء أفكارنا بالدقة التي نريدها ؟ أما أنا فما تهيبت قط ايراد المفردات الغريبة التي ألفتها بحكم ثقافتي العلمية ، كما لم اتهيب مرة رواية الافكار العلمية واتخاذها مواضيع لاعمالي الادبية ، بل اعتبرت ذلك علي واجبا كمساهمة مني في رفع مستوى القارىء ومستوى اللغة في آن واحد . اما من يريد التزام الرواسم والصور المبتذلة في الالفاظ أو في الافكار فله شأنه ، وأنا لست من هذا الشأن في شيء ...

وبعد فاني أخشى أن يكون قارىء هذا المقال قد فهم منه اني أرى في روايتي « باسمة بين الدموع » أثرا فنيا كاملا لا مطعن فيه . والحقيقة اني لم ابلغ من الغرور هذا الحد ولا قريبا من هذا الحد . ولكني أجد اني بلغت بهذه الرواية ، على عيوبها ، مبلغا لا بأس به من النجاح . من أين أتتني الثقة بهذا ؟ أستطيع القول انها أتتني من مناقشات قراء الرواية لي ، حتى أولئك القراء الذين ساء ظنهم بها ، والتي دلتني على انهم كلهم قد قرأوها متمعنين فيها متفهمين لها . فاذا قدرت على أن أجعل القارىء العربي يتلو متفهما ثلاثمائة وخمسين صفحة لا تتحدث كلها عن رومانتيكية الحب بل تعالج في أكثرها قضايا علمية وسياسية ... واذا مكنت هذا القارىء من أن يهضم ، ولو مع الاستغراب ، طريقتي في كتابة القصة التي لا تشبه طريقة الحكواتية وكتاب السير في شيء .. واذا سقته بصورة خاصة الى أن يحسن تقدير باسمة ، وهي الخاطئة في نظر التقاليد الخارجة على البيئة ، فيرى فيها علو النفس متفهما عطاءها مكبرا تضحيتها ... اذا قدرت على كل هذا فان لي العذر في اعتقادي بأني نجحت في ما كتبت ، نجاحا لا يمكن على كل حال أن يكون معصوما من التعرض لسهام النقد المخلص المتجرد كما لا يمكن أن يظل أبدا في مأمن من تجنيات النقاد الاغرار أو ذوي الاغراض .

عبد السلام العجيلي

***

حول مقال سيدة من التاريخ

بقلم ـ وليد مدفعي

(سيدة من التاريخ) عنوان آخر مقال نشره الدكتور ابراهيم كيلاني في العدد الاخير من مجلة الثقافة . والذي لفت نظري في هذا المقال ، ليس انني سمعته محاضرة ألقاها الدكتور كيلاني قبل سبعة أعوام ، ولكني وقد وجدت فيه آنئذ موضوعا عاديا لا يهم الثقافة ولا يفيد الجيل قد شق علي أن أعود فأطالعه بعد سبعة أعوام ويطالعه معي ألوف من عشاق الادب وطلاب المعرفة .

يتألف المقال من مقدمة وتمهيد وبحث .

أما المقدمة فهي لمحة سريعة عن الحياة العامة في القرن الاول للهجرة في الحجاز والشام والعراق وهي لمحة جمعت من الامثال والاخبار ما يخدم الموضوع الذي أراده الكاتب فأشار في مقاله الى حياة المجون السائدة معتبرا اياها روح ذلك العصر . وقص علينا سير المغنين والشعراء وتحدث عن المآكل والثياب وكل مايمت

بصلة للملذات وتفتح الشهوات ... حتى بدا لي العصر وكأنه عصر الوجوديين في الحي اللاتيني وظننت دون وعي ، انني اقرأ عن لياليهم الصاخبة في (التابو) .

يقول الدكتور ابراهيم كيلاني في مقاله (وكذلك في الشراب والناس على دين ملوكهم) . فلم يستثن في الشراب والناس على دين مملوكهم) . فلم يستثن جماعة من الذين عاشوا ابان ذلك العصر حتى انني أحاول أن أتخيل العصر فأتصور الناس - بناء على قوله - سكارى في الطريق بل ان الطريق نفسه ثمل لكثرة ما تقيؤوا فوق حجارته . فرب البيت سواء أكان من الاشراف أو من كبار الدولة أو من عامة الشعب يتعاطى شرب الخمر ويضيف زائره بقدح معتقة وكذلك البائع يجب أن يكون في دكانه حتى مترع بالخمرة التي يستضيف بها زبائنه .

ويقول الدكتور أيضا في مطلع مقدمته عن البحث (فكذلك كان الحال في الحجاز بعد أن عمل الامويون على ابعاده عن السياسة وغمر أهله في بحر من الخيرات والاموال والهبات ليلهوهم عن المطالبة بالملك المغتصب والاشتغال بالسياسة مما لاقى هو في نفوس الحجازيين فعكفوا على الاستمتاع بهذه الخيرات ، ووهبوا نفوسهم وأجسامهم للمجون واللهو والعبث) .

انني لا أعتقد ان الامويين قد وزعوا من الاموال الطائلة على كافة أفراد الشعب ما أصاب كل واحد بغنيمة وجعله قادرا على الاسراف والتبذير فلا ريب ان الاموال الموزعة كانت محصورة بالوجهاء واصحاب النفوذ ، وانغماس هؤلاء المتنفذين القلائل لا يحيل العصر كله الى عصر مجون واستهتار ولهو الا اذا قبلنا ان التاريخ هو تاريخ عدد من الشخصيات المرموقة وحتى بعد قبول ذلك الامر لا يمكن أن ننكر وجود عدد من الخلفاء وفئات كثيرة محافظة وقفت سدا منيعا ضد تيار المجون وتشددت في ملاحقة المستهترين .

انني لا ادري اذا كان الدكتور ابراهيم كيلاني يوافقني على هذه الامور ولكني لا اعتقد ان الدكتور نفسه لو قدر له أن يكتب عن الحياة في عصرنا انه سيصوره ماجنا مستهترا ، ولو حاول ذلك لوجد من الشواهد ما يكفي ومن الامثلة خير برهان .. أوليس بين معارفي ومعارفه شخصيا كثيرون يشربون الخمر ثم اننا لدينا عدد من الملاهي وان نساءنا يرتدين الاثواب القصيرة وقمصان الجابونيز والاقمشة الشفافة وخاصة النايلون وأخيرا للدكتور ابراهيم كيلاني أصدقاء شعراء يشببون بالكواعب ويتغزلون ويغازلون .

أجل .. لا أدري اذا كان الدكتور سيؤرخ عصر اليوم على هذا النمط ولكنه ان فكر في مثل ذلك انقل له من أخبار المغنين والراقصين ما فيه الكفاية لابراز العصر بالطريقة التي نريدها متناسين العمل الثوري الايجابي نحو التطور والبناء .

أما التمهيد فقد تحدث فيه الدكتور كيلاني عن وضع المرأة في القرن الاول للهجرة وتعرض الى ناحيتين من نواحي حياتها هما حريتها في انتخاب زوجها ورغبتها في اظهار نفسها أمام الشعراء..واورد من الامثلة التاريخية ما استنتج منه حكما عاما ليس فيه ظل من الحقيقة عندما قال (ولم يبلغ الرجال من الضعف أمام المرأة وغوايتها في أشد عصور الانحطاط ما بلغوه في القرن الاول للهجرة) .

ان اغلاق الباب في وجه الزوج .. أو جواب عائشة القاسي لمصعب لا يوصلنا الى حكم تجريدي مطلق حتى ولو كان الحكم ذاته موجودا في المصادر التاريخية لأن تلك المصادر مقتصرة على الغالب على المرموقين من الناس ولا تعتني الا بالاخبار الطريفة والملفتة للنظر والانتباه . أما حياة الانسان في ذلك العصر فمهملة من قبل المؤرخين، ولا يجوز في القرن العشرين أن تتبنى ما جاء في روايات الخاصة واخبارهم ونجعلها مرتكزا لاحكام عامة نصور فيها الشعب كله والحياة برمتها .

واخيرا ابتدأ البحث الذي كان صلب المقال فاستعرض جوانب عديدة من حياة سكينة وصورها لنا بخفة دمها وجمالها وفتنتها واحكامها المرتجلة في الشعر والشعراء . وتضمن البحث خبرا على حرص المرأة على صيانة جمالها ولو لاقت في سبيل ذلك الاهوال والاوجاع المعضلة ، لكن الخبر غير قابل للتصديق بتاتا لما فيه من مبالغة في الوصف .. (فقد أضجعها قيس الطبيب وشق جلد وجهها

مع يحيى ابو عزيز في كتابه :

بطل الكفاح الامير عبد القادر الجزائري

***

بقلم : محمد العيساوي الجمني

من المؤلم جدا ، والمحزن أكثر ، أن تحول الظروف القاهرة بين الانسان وما يريد . هذه الظروف التي كثيرا ما تقف حائلا وحاجزا بين المرء وما يعتقده ان القيام به أمر واجب مقدس . وهذه الظروف الملعونة المعوقة لا تصطاد كل الناس على السواء ، بل هي مغرمة بتتبع الاكثرحساسية بأداء الواجب، وأكثر اهتماما به ، ودعوة اليه . لماذا هكذا تجري الامور ؟؟ هل يقع هذا الاجراء القاسي على طريق الصدفة فقط ؟؟ أم أمر مرسوم في اللوح المحفوظ من قديم كما يقول علماء الميتافيزيقا ؟؟

ومن المتفق عليه ان الانسان ، الانسان لا يعيش بالخبز وحده . بمعنى لا تكفيه توفر النواحي المادية في محيط حياته ، ودائرة دنياه . ومن هذه الجهة يشعر المرء بفراغ متسع الارجاء عميقا كجب يوسف ، مخيفا كالفقر، ومرعبا كالضياع والتلاشي . يريد الانسان الشاعر أن يظفر بحقه في وطنه.ويؤلمه جدا أن يسلب منه هذا الحق مهما كانت ضآلته . والناس المحرومون من حقوقهم الطبيعية كثيرون في بلادنا العربية المعذبة ، التي يخنق أكثرية حكامها حرية الفكر ، ويسجنون تفكير المواطنين الاحرار الذين لا يرضون بالسير مع القطيع ، وأصحاب الاغراض الخاصة الذين تعميهم الحزبية الخبيثة عن رؤية الحق ، ونهج الصواب . الاحرار الذين يرفضون لذع السياط الهاوية على أجسامهم في نقمة ، وشراهة ، واجرام. وبعبارة أوضح الاحرار الذين يستنكرون الركوع لآلهة الارض . وأنا كشاب عربي ، حر تعرضت لحملة مسعورة من التجويع ، والتشديد ، والتجهيل والانتقام . وتبعا لهذا حرمت من دخول بلادي التي احبها كأي قطعة من وطني العربي الكبير . وانقطعت عني كل ما تنتجه المطابع هناك ، وتكتبه الاقلام . وكانت النتيجة اني لم أطلع على كتاب الصديق الاخ « يحيى أبو عزيز » الذي طبع في سنة ١٩٥٧ ، الا في هذه السنة ١٩٥٩ . وكان الواجب الوطني ــ زيادة عن الادبي ــ يؤكد على قراءته في أيام طبعه ، لو كانت الظروف عادية ، وغير قاسية ، وجائرة . بلادي تونس ، وأنا في القاهرة ومع ذلك كأنني أعيش

اجمع وسلخ اللحم من تحته حتى ظهرت العروق وكان منها تحت الحدقة فرفع الحدقة حتى جعلها ناحية ثم سل عروق السلعة من تحتها وأخرجها ورد العين الى موضعها وسكينة مضجعة لا تتحرك ولا تئن حتى فرغ وبرئت بعد ذلك) .

لم يقدم المقال لنا شيئا جديدا حتى ان الروايات قد أوردت كما جاءت في المصادر ولم يكلف الكاتب نفسه عناء البحث عن صحتها وانما استقاها كما هي . وحاول أن يبرز حياة سكينة كسيدة من التاريخ تمثل العصر الذي كانت تعيش فيه ولكنها لم تمثل لنا الا شقا بسيطا منه وبقي العصر أبعد منالا وارحب من أن تضمه السيدة بمرحها وتتبعها للشعر والشعراء وتشجيعهم . ان اجواء العصر الاموي فسيحة ومتباينة في ذات الوقت حتى ان عصرا من العصور لم يشمل ما كان في العصر الاموي من تناقض بين التحفظ ومحاولات التجديد بين الرضوخ والثورة بين القبول والاستنكار .

دمشق ــ وليد مدفعي
من جمعية العهد الجديد

في عالم بعيد ، بعيد . متى تذهب هذه الحماقات، وأوجاع القلب ، والدماغ ، هذا الموقف المقرف الى حد الغثيان ؟؟ الحقيقة ان الظروف لا تذهب من تلقاء نفسها ، ولا تنمحي بقراءة آية الكرسي . انها لا تذهب الا اذا أردنا نحن ذلك . ولا نريد ذلك الا اذا تألمنا ، وأحسسنا بالالم ، وعزمنا على التخلص منها.فالخير كل الخير في أن تتألم ، وتتألم بحرارة . فالالم وحده يجعلنا نخلق شيئا نضع أمرا ، نغير الوضع ، نقلبه ، نبدله طبق مشيئتنا ، وما تمليه علينا مصلحة الوطن وخير المواطنين ..

الكتاب طبع في تونس ١٩٥٧ . ومؤلفه شاب عربي من الجزيرة درس الابتدائي ، والثانوي في تونس والآن يدرس التاريخ في كلية الآداب ـ القاهرة .

و « يحي أبو عزيز » . وهو المؤلف ، شاب مؤمن بعدالة قضية بلاده ، وعنده كثير من الوعي بمشكلاته ، ومحيط بدقائق ظروفها ، وله المام بزوايا المأساة ، مأساة العرب في الجزائر ، جزائرنا الجريحة ، الواقفة في ميدان المعركة منذ خمسة أعوام في صمود ، وشموخ ، وصبر ، وتجلد ، وتحد . الجزائر المعركة . التي تؤدي ضريبة الدم ثمنا للحرية في كرم وسخاء ، وفي شيء من اللامبالاة بفداحة الثمن الذي تدفعه ، وبعظمة مهر الاستقلال الذي تنشده في يقظة وانتباه . هل لهذه التضحية ، وهذا الفداء ، وهذه الدماء المراقة ، والنفوس المخطوفة ، وهذا الدمار المنشور . هل لهذا كله ثمن غير الاستقلال التام ، والحرية الخالصة من جميع القيود ، ومن جميع الشوائب والمكدرات ، والمعوقات ؟؟؟

قدم الكتاب للقراء السيد : عيسى مسعودي محمده . ومن قراءتنا للمقدمة القيمة ندرك وعي المقدم ، وفهمه للمشكلة الجزائرية ، مشكلة العرب الاولى في وطننا العربي الكبير . وفي أول المقدمة أشار السيد عيسى الى ما يعانيه الحرف عندنا ـ في المغرب العربي ـ من تدنيس والى ما يحاط بالكلمة من قذارة وأوساخ . ان الكلمة فقدت شرفها ، والحرف ضاعت قدسيته . أما الشعر فقد تلطخ في الوحل . ولا زال . ان المطابع ـ هناك ـ تدور على كل ما تشمئز منه النفس الحرة ، وتأباه الكرامة البشرية ، وترفضه الشهامة العربية . ان مشكلة النشر في مغربنا العربي مشكلة لها الصدارة من حيث الاهمية . ان تلويث الاقلام بالرياء ، والنفاق ، والدجل ، والكذب على الشعب أمر بلغ حده . فمتى تتطهر أقلامنا هناك ـ من اللوثة ، من القذارة ، والبشاعة ؟؟ متى ترتفع عن وهدة السقوط ، وتنظف من العفونة وتشرب من مصدر طاهر نظيف ؟؟ متى ترجع للكلمة قدسيتها ؟ وللحرف كرامته ؟ وللقلم شرفه ، وللشعر حرمته ، وللفظ عزته وبهاؤه ؟؟

حركت في مقدمة الاستاذ عيسى أشياء كثيرة ، وذكرتني بالمأساة ـ وهي دائما في ذهني ـ مأساة بلادي، مأساة شعبي هناك . حيث يسري الموت في أوصاله ببطء والموت البطيء أشد أنواع الموت . هناك حيث يحارب الفكر الحر ، ويقبر الرأي . هناك حيث تنسج الغباوة كفن الشعب من خيوط مسمومة ، وحيث تلعب عناكب البلاهة، والسطحية ، والجهل، والقناعة البليدة ، والصبر الركيك ، في بلادي بحرية فاجرة ، واستقلال بغي ، قذر .حيث الحزبية الخبيثة ، والتعصب الذميم ، والتحكم البشع الكريه.الحقيقة ان المقدمة كانت رائعة ، والافكار نيرة ، والفهم للموضوع كان كبيرا ، والوعي بدقائق مشكلات المغرب العربي كان غير قليل . فللاستاذ عيسى الشكر والثناء ..

بدأ الاخ يحيى كتابه بـ « تمهيد » بيَّن فيه : ان الامير عبد القادر قد بلغت ذكرى وفاته في فبراير ١٩٥٧ ، السادسة والسبعين . أما ذكرى ميلاده فقد بلغت ١٥٦ سنة . وذكر المؤلف في « تمهيده » لدراسة حياة الامير عبد القادر مقارنات ، ومقابلات للامير من عظماء الرجال ففي ميدان « الثقافة » لم يجد له مثيلا سوى « الامام محمد عبده » . أما في ميدان « الحنكة السياسية » و « الاثارة الشعبية » و « الدهاء التوجيهي » و « الخبرة الاجتماعية » فانه لم يجد له شبيها سوى « جمال الدين الافغاني » وفي ميدان الحروب ، وغزوات الفتح « خالد ابن الوليد » و « نابليون بونابرت » . وأنا مع كامل احترامي ، ووافر تقديري للاخ يحيى أجد نفسي غير مرتاح لهذه المقابلات والمقارنات لأن لكل شخصية جوانب تنفرد بها ، ونجدها مفقودة عند الآخرين . حسب الامير عبد القادر الثورة ، عدم الخضوع ، عدم

الرضى « بالـواقع » • ان في الامير « الثـائر » على وبين فرنسا • وبهذا رحل الوالي التركي الى بلاده • وسلمت مقدرات شعبه الكفاية • ويكفي أن نعلم انه علم أبنـاء شعبه كيف يثورون ضد الدخيل المغتصب • والثوار هم الذين يضعون تاريخ شعوبهم ويخلقون المعجزات حيث يدفعون بلدانهم الى الامام ، بعد أن يكونوا قد قبروا السياسات المعوجة ، والساسة المنحرفين المتاجرين بشعوبهم في أسواء الاقوياء • وبعد « التمهيد » نجد الباب الثاني : « الامير الفتى » بين فيه الصديق يحيى حيـاة الامير باختصار • فعرفنا ان الامير ولد في ماي ١٨٠٧ م • بقرية « القيطنة » قرب مدينة « معسكر » • أما ثقافته فكانت تقليدية ابتدأت بحفظ القرآن ، وانتهت بجولة في الفقه ، والتوحيد ، والبلاغة ، والنحو ، والعـروض ، والادب العـربي ، على الطريقة القديمة • وفي سنة ١٨٢١ م • انتقل مع والده « المبعد » بأمـر السلطات التركية الى مدينة « وهران » وتركيا الاستعمارية كما هي الحقيقة أو الخلافة الاسلامية كما يسميها المغفلون منا ، هي التي علمت الاستعمار الغـربي ـ فرنسا ـ انكلترا ـ كيف يضربنا بعصا الفقر ، والجهل ، والمرض ، والتفرقة • لماذا نفى الاستعمار التركي السيد محيي الدين الحسني وابنه الامير ؟ فعلت ذلك تركيا لانها اكتشفت ان الشعب العربي في جهة معسكر بدأ يلتف حول والد الامير لانه شم فيه رائحة المنقذ من الثعلب التركي اللعين • وفي « وهران » المنفى ـ للاب والابن ـ استطاع عبد القادر أن ينمي ثقافته ، ويوسع معارفه ، ويخصب تجاربه • وأعتقد عن خبرة صحيحة ، وفهم دقيق مع والده « ضعف الاتراك السياسي والعسكري مع استغلالهم للطبقـات الشعبية الكادحة » •

وفي سنة ١٨٢٥ م • أفرجت تركيا عن والد الامير • فاعتزم الحج الى مكة ، كما عزم على أخـذ عبد القادر معه • ومن هـذه السفرة الطويلة تعـرف الامـير على « تونس الخضراء » ومصر أرض الكنانة ، ومكة المكرمة والمدينة الشريفة حيث منطلق محمد صلى الله عليه وسلم وفي طـريق الرجوع • عرجا على بلاد الشام وعاصمته دمشق • وفيها استمع الامير الى حلقـات الدروس في الجامع الاموي • كما عرجا على بغداد ، عاصمة الرشيد وفي طريقهما الى الجزائر زارا طرابلس الغرب ، فتونس مرة ثانية ، وفي عام ١٨٣٠ م وقعت الـكارثة ، وحلت المأساة بشعبنا العربي في الجزائر • حيث زحف السرطان الفرنسي في يوم ١٣ ماي • وفي يوم ٥ جويليه تم لفرنسا كل شيء بالنسبة للوالي التركي بعد اتفاقية عقدت بينه وفرنسا • وبهذا رحل الوالي التركي الى بلاده • وسلمت تركيا ، أو الخلافة الاسلامية ، الجزائر للوصي الجديد ، للوارث الشرعي ، للاستبداد ، والظلم والطغيـان •• سلمت تركيا : الجزائر • لفرنسا بعد أن حملتها الامانة ، واطمأنت على أداء الرسالة ، رسالة التجهيل ، والتجويع والتفريق ، والتحكم الاستعماري البغيض •

ومن دخل البـلاد بغير حرب ، يهون عليه تسليم البـلاد •

وأصبحت البلاد في فوضى ، تفتش عن منقذ تلتف حوله ، عن رجل ، عن فكرة ، عن ثائر تثور معه وفي جهة « وهران » اجتمع العرب حول السيد محيي الدين والد الامير يبايعونه بالرئاسة • وذلك لما علموه فيه من الوطنية الصادقة ، والشعور الفيـاض ، والاحساس المتقـد ، والغضب لما وقع ••• واستجاب الرجل لنـداء الوطن المتجسد في الحاح المواطنين المؤمنين به • وتحمل الرجل المسؤولية ـ رغـم كبر سنه • فأرسـل لامير المغرب ـ مراكش ـ يطلب منه النجدة ، في مقابل اعطائه حكم ناحية « وهران » واقتصار محيي الدين على النـاحية العسكرية فقط • واستجاب أمير مراكش أولا • ولكنه خاف وانسحب من ميدان الواجب بعد تخويف فرنسا له ، وتهديده • وبعد أن سمي « نائبا » له في تلمسان مـدة ستة أشهر ، باع ضميره ، وواجبه العربي والاسلامي • وهكذا استطاع الاستعمار الفرنسي في أول خطواته أن يلعب دوره باتقان في المغرب العربي • حيث أقنع حاكم مراكش بأن قضية الجزائر لا تهمه • لأنها خارج حدوده وتفرغت فرنسا المجرمة لحرب محيي الدين والد الامير • ما أشبه الليلة بالبارحة ! اذن فتجزئة الكفاح ، والايمان باختلاف قضايانا ، وانفصالها عن بعضها ، أمـر قديم ، عريق في القدم • وتم لفرنسا النجاح باعتمادها على اناس

آمنوا بأن قضية الجزائر هي ليست قضية مراكش ولا تهم تونس ... يا للفضيحة !! متى يفهم العرب في المغرب العربي أن قضيتنا واحدة ، وان مصلحتنا مشتركة ، وان شعبنا واحد . وان مصالحة الاستعمار لقطر على حساب اقليم آخر أمر مخالف لطبيعة قضيتنا ، ومعاكس للمنطق الصحيح . فقضية الجزائر اذن ــ والحالة هذه ــ هي قضية تونس ومراكش ، بل قضية الوطن العربي جميعا وتجزئة القضية ، معناه التفريط ، بل الخيانة على التعبير الواقعي ، غير الملتوي . بقي محيي الدين يقاتل الاستعمار سنتين كاملتين . أظهر خلالهما الامير من الشجاعة ، والاقدام ، والمعرفة غير القليلة بطرق القتال ، وكيفية افتكاك النصر الشيء الكثير ..

وفي ٢٧ نوفمبر ١٨٣٢ م . تمت مبايعة الامير عبد القادر أميرا بدلا من والده الذي أدركته الشيخوخة . وكان في مقدمة من بايعوه والده . وفي « الجامع » بمدينة « معسكر » ألقى الامير خطبته المنهجية ، وبرنامجه السياسي تجاه الوطن والمواطنين . وفي ٤ فبراير ١٨٣٣ م عقدت له بيعة ثانية .. ومن هنا دخل الامير عبد القادر في الكفاح التحريري المنظم . يكافح الاستعمار عسكريا ويفصل في قضايا الشعب، ويسوس الرعية سياسة حكيمة. وسجل انتصارات باهرة في « وهران » و « مستغانم ». وأمام الانتصار المتضخم على فرنسا اضطر القائد الفرنسي « دي ميشيل » حاكم « وهران » أن يعقد مع الامير هدنة ، وذلك في ٢٨ فبراير ١٨٣٤ م . اعترفت فرنسا بامارة الامير على أماكن في مقابل اعترافه بسلطة فرنسا على المدن الآتية : الجزائر ، مستغانم ، وهران ، أرزيو .

وأنا هنا أنقل للقراء العرب نص الهدنة أو « المعاهدة » للمعرفة والاطلاع :

« ان قائدي الجيش المقيم في وهران . الجنرال دي ميشيل » والامير عبد القادر بن محيي الدين اعتمدا واتفقا على ما يأتي ذكره من الامور :

١ ــ منذ يوم تحريره « الصك » يصير ترك الحروب والخصومات بين الفرنسيين والعرب . وكل من الجنرال دي ميشيل والامير عبد القادر يجتهد في القاء الالفة بين شعبين اقتضت الارادة الالهية أن يكونا تحت سلطة واحدة . ولأجل ذلك يتم تعيين وكلاء من الامير بوهران ومستغانم وأرزيو كي لا تقع الخصومة بين الفرنسيين والعرب . كما انه يقام وكيلا عن فرنسا ضابط فرنسي في معسكر .

٢ ــ يصير احترام ديانة الاسلام ، وعوائد أهله .

٣ ــ يلزم رد الاسرى بين الفريقين ..

٤ ــ يصير اعطاء الحرية الكاملة للتجارة .

٥ ــ تلتزم العرب بارجاع كل من يفر اليهم من المعسكر الفرنسي . ويلزم الفرنسيين بتسليم كل من يفر اليهم من أهل الجرائم الهاربين من القصاص الى وكلاء الامير في المدن الثلاث .

٦ ــ من أراد من الاوربيين أن يسافر الى داخلية البلاد يجب أن يكون مصحوبا بتذكرة تكون عليها علامة وكلاء الامير . ويصححها الجنرال . وبذلك يحصل على الحماية في جميع الاقاليم .. » .

ومن أول نظرة يلقيها القارىء على بنود الهدنة يدرك انها كانت لصالح الاستعمار . وفيها اعتراف صريح بسيادة فرنسا على أغلبية الجزائر . وهذا نجاح سياسي للجنرال الفرنسي على الامير . ويظهر ان الامير اكتفى بالبند الثاني وهو : « يصير احترام ديانة الاسلام وعادة أهله » أنا لا أدري كيف يرضى بدين بلا وطن ، وبدون حرية ، واستقلال وسيادة !! وفي اعتقادي ان ايجاد الوطن المتحرر من السيطرة والنفوذ الاجنبي مقدم" على الدين والتدين . وما قيمة الدين والتدين والانسان مستعبد مستعمر" ذليل مقاد ؟؟ الذي أريد قوله هو : ان الامير ضعُف في موقفه من « الهدنة » وفاز الجنرال بالجولة المهم ان فرنسا نقضت « الهدنة » بعد مرور سنة على كتابتها . وهذا دأب الاستعمار في مخادعة الشعوب ــ عند الحاجة ــ بالهدنة ، بنزع السلاح ، بنشر السلام، وعندما يرى المصلحة في نقضها ينقض ما أبرمه في الامس. وبهذا يهادن لفائدته ، وينقض لفائدته ... وبعد النقض خاض الامير معارك مع الفرنسيين أبلى فيها بلاء حسنا . كواقعة « المقطع » و « وادي تافنا » والتجأت فرنسا ــ كعادتها ــ الى عقد معاهدة مع الامير في ١٨٣٨/٦/١ م وهي كأختها مجحفة بحق الجزائريين العرب ، وفيها

اعتراف صريح بحق فرنسا في « الجزائر » و « وهران » احتوت معاهدة « تافنا » على ١٥ بندا ٠ وعلى كل حال نقضت فرنسا المعاهدة الثانية كعادتها ٠ ورجعت الحرب الى الاشتعال من جديد ٠ وفي سنة ١٨٤٣ م تمكن الفرنسيون من احتلال عاصمة الامير الثانية « الزمالة » بعد احتلالهم لمعسكر عاصمة الامير الأولى ٠ وضاقت بالامير السبل فالتجأ « مكرها » الى المغرب الاقصى « مراكش » طالبا الحماية والعون لطرد العدو الفرنسي من بلاده ٠ ولكن فرنسا نجحت للمرة الثانية في اقناع عبد الرحمن بن هشام — وهذا هو اسم أمير « مراكش » بضرورة طرد الامير عبد القادر من التراب المراكشي محافظة منه على « الهدوء في أرضه » والعجيب اننا نسمع هذا الطلب ، وهذه اللهجة من مسؤول كبير في أحد الاقاليم المغربية « المستقلة » والى جانب الانفصالية الخبيثة يطرق أسماعنا جملة « المغرب الكبير » هذه الاكذوبة التي زرعها الاستعمار الفرنسي في أدمغة الكثير من مسيِّري مغربنا العربي المسكين ، المصاب بخلفاء للاستعمار في نظمه ، وخططه ٠ هذه النفقة التي يزعجنا بها ساسة مغربنا ، التي ترمي من تزويد هذه الجملة — بغباوة — الى فصل المغرب العربي عن وطننا العربي الكبير ٠ هذه الخرافة تذكرني بمهزلة « لبنان الكبير » ٠ ولا عجب فالمصدر واحد ٠ هو المدرسة الاستعمارية الفرنسية التي نجحت في نحت أشخاص أقرب الى الآلة منهم الى الانسان الواعي المدرك ٠٠٠ وازاء هذا الموقف الغبي من أمير مراكش اضطر الامير عبد القادر الى الرجوع الى القطر الجزائري من جديد في سنة ١٩٤٥ م وأخذ في محاربة الاستعمار ، وانتصر الامير في معركة « سيدي ابراهيم » ٠ وفي سنة ١٨٤٦ م استطاع أن يسترد شيئا مما فقده في الماضي ٠ وحرر كثيرا من الاماكن حتى وصل الى جبال جرجرة ٠٠ واستمرت الحرب بين الامير وفرنسا ٠٠٠ واضطر الامير مرة اخرى الى الدخول في أرض « مراكش » من جراء تكاثر الفرنسيين عليه ٠ وهنا وقف أمير مراكش موقفا مخزيا ، فيه الكثير من العار ٠ موقفا تشمئز منه نفس قارىء التاريخ ٠ ذلك انه جهز جيشا بقيادة نجليه : « أحمد ومحمد » لمحاربة عبد القادر الجزائري ، وطرده من التراب المغربي ٠ وهذا الموقف أملته عليه فرنسا العريقة في مخادعة العرب المغاربة ٠ تنفيذ المعاهدة معقودة بين فرنسا وأمير المغرب ٠ وأصبح الامير الجزائري بين نارين : نار فرنسا العدوة اللدودة ، ونار الغباء المراكشي المزمن ٠ وازاء هذا الجهل الفظيع ، والخيانة السافرة ، اضطر الامير الى خوض المعركة ٠ ولكن مع من ؟؟ مع اخوانه المراكشيين الاشقاء ! ! يا للفظاعة ، والنذالة ، والحقارة !! ولكن البادىء أظلم ٠ ودارت الدائرة على أهل مراكش ، الذين لم يفهموا ما يجري حولهم ، وما يدور في دائرتهم ، وساقتهم فرنسا كما تساق الانعام الى حرب اخوانهم أتباع عبد القادر ٠ وعلى نفسها جنت براقش ٠ يا لله للمغرب العربي من حماقة حكامه قديما وحديثا !! والآن ٠ ماذا كان ختام الرواية ، رواية عبد القادر الجزائري الحربية ؟؟؟ خاتمة المطاف كانت مؤلمة ، وقاتلة ، ومميتة ٠ أحاطت الظروف القاهرة بالامير عبد القادر ، الظروف التي نجهلها ، ولا نعرف ما هي بالضبط ٠ أحاطت به ٠ فرمى نفسه « متسلماً » ثورته ، وجهوده ، وكفاحه للعدو ، فرنسا ٠ يا للنهاية الذابحة ، المدمِّرة !! بعد أن تداول الامير الامر مع خاصته ، خابر الجنرال « لامورسيار » في القضية ، وحصل الاتفاق على التسليم بشروط منها :

١ — أن يحمل مع جميع عائلته الى « عكا » أو « الاسكندرية » ٠

٢ — أن لا تتعرض فرنسا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر ٠

٣ — ان الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمنا على نفسه وماله ٠٠٠٠٠ وفي يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٤٧ م سلـَّم الامير نفسه للجنرالين: « لامورسيار » و« كافنياك» بحضور « الدوك دومال » ابن ملك فرنسا ٠ وهكذا بعد حرب دامت سبعة عشر عاما قضاها عبد القادر في ميادين الصراع ، والجهاد ، والكفاح ٠ كانت النهاية ، الخاتمة ، الثمرة : التسليم ، والرضى بالواقع المر ، الجارح ٠ يا للخاتمة الفاجعة ، المرعبة !!٠ ركب الامير الباخرة بعد تقديم سيفه لابن ملك فرنسا قاصدا — في اعتقاده — الشرق العربي ٠ ولكنه نسي غدر فرنسا

التقليدي . نسي عبدالقادر ـ غفر الله له ـ عدم تمسك فرنسا بالوعد والعهد والمواثيق . وعلى كل حال سارت به الباخرة ـ من حيث لا يدري ـ الى فرنسا . وفي مرفأ طولون وفي غرة جانفي ١٨٤٨ م ، أحاطه حاكم طولون بأنه مكلف من الدولة الفرنسية بانزاله في برج « لاملاك » الحربي حتى تأتي الاوامر الجديدة . ومن هناك نقل الامير الى مدينة « بو » . وبعدها الى مقاطعة « أورليان » حيث قضى أربعة أعوام وستة أشهر ... ولما ارتقى « نابليون الثالث » عرش فرنسا دعاه لزيارة باريس . ولبى الامير الطلب في ١٩٥٢/١٠/٢٧ م . وأصدرت فرنسا أمرها بالعفو عن الامير فسافر الى « القسطنطينية » فوصلها يوم ١٨٥٣/١/٨ م حيث نزل ضيفا على حكومة تركيا . وزار الاستانة ، ومرسيليا ، وباريس مرة ثانية . وفي سنة ١٨٥٦ م قصد الأمير دمشق الفيحاء . كمقر دائم له . ورحبت به سوريا العربية ترحيبا كبيرا ومن ضمن سكانها « آل أرسلان » المشهورين .. زار القدس . وفي « داري القباقبي » بدمشق كانت محل مسكناه . ولما وقعت مشكلة اضطهاد مسيحيي لبنان للدروز مما أدى الى شبه حرب بينهما وقف الامير موقفا مشرفا ، داعيا الى الاخوة ونبذ العصبية والتسامح . وحج الامير مرة ثانية ... ورجع الى دمشق سنة ١٨٦٤ م في ٢٠ جوان . وفي سنة ١٨٦٥ م زار بيروت ، فالاستانة حيث أجرى مع الحاكم التركي محادثة أدت الى العفو عن المنفيين في حادثة دمشق الآنفة الذكر . ثم ذهب الى مرسيليا ، فليون ، فباريس فلندره ثم رجع الى دمشق . وفي سنة ١٨٦٩ م دعي الامير لحضور افتتاح قناة السويس وفي يوم ٢٤ ماي ١٨٨٣ م مات عبدالقادر الثائر الجزائري الكبير . ودفن بمقبرة الصالحية حيث يرقد « محي الدين ابن العربي » الفيلسوف المتصوف . هذه هي حياة الثائر الجزائري الاول ، وواضع أسس ثورة ١٩٥٤ . ملخصة من الكتاب من بابيه الاولين فقط ... وبعد : أنا لم أكتب نقدا ، أو تلخيصا مطولا للكتاب . انما الذي فعلته هو عرض بسيط موجز لحياة الامير من فصل « الامير الفتى » و « التمهيد » . وهذا هو الذي يهمنا من عبد القادر الثائر . أما عبد القادر « العالم » و « الشاعر » ، و « الحاكم » فهذه النواحي يجدها القارىء في الكتاب . وربما تساعدني الظروف على « الامير الشاعر » فأقدم للقراء ما يعطيهم صورة تقريبية عن شعره . ربما . اما قراؤنا العرب فانهم في اعتقادي يحتاجون لمعرفة « الامير الثائر » وهذا ماتوسع فيه المؤلف . وكتاب « بطل الكفاح الامير عبد القادر الجزائري » للأخ « يحيى أبو عزيز » يجب أن ينشر في دنيانا العربية . وفي محيط الشباب على الخصوص . ليت المسؤولين يطبعونه ويوزعونه في كافة وطننا العربي الكبير . ولكن هل قرأوه هم أولا ؟؟ وهل قرأه شباب المغرب العربي ـ والجزائر على الاخص ؟؟!! يلاحظ القارىء للكتاب حرارة العاطفة يخطها قلم الشاب يحيى أبو عزيز في اخلاص المؤمن بقضيته ، ويقظته الواعي بما يفعل ، والرائد بما يلاقي من مصاعب وأشواك . صحيح ان الكتاب باكورة انتاج يحيى ، ولكنه جاء في قالب مكتمل تقريبا . ولا يخلو من عيوب . وهذا طبيعي ومن هنا ندرك ان المغرب العربي ، والجزائر على الاخص ينتظر من « يحيى أبو عزيز » أشياء كثيرة ، وعظيمة . أقول هذا الكلام وأنا واثق مما أقول . وعلى هذا أتمنى مخلصا وصادقا أن أرى للاخ يحيى عملا أكثر اكتمالا ، وأوسع مجالا . وأكثر وعيا وهو القادر على ذلك .

ولم أر في عيوب الناس شيئا ، كنقص القادرين على التمام .

والحديث عن الجزائر . يجرنا الى الحديث عن ثورتها ، عن الثورة المشتعلة منذ خمسة أعوام وزيادة . وهذا الحديث المتشعب يسوقنا الى التساؤل المزعج المخيف : هل يعيد التاريخ نفسه ؟ ويمثل المأساة المؤلمة على مسرحنا العربي في الجزائر مرة ثانية ؟؟ وهل تختم الرواية وتنهى كما انتهت رواية الثورة العربية في تونس ومراكش ، وتأخذ فرنسا سلاح الثورة وتخمد به حركات المعارضة التي قامت وتقوم ضد الحكم المنحرف ، وضد الاتجاه الذي لا يرضي الا الاستعمار الفرنسي فقط ؟؟ الذي يجب أن نعمله هو ان نصد التاريخ ، وأن لا نسمح له بتكرار نفسه . وأن لا يستولي علينا التفاؤل البليد ، والامل الاجوف . يجب أن نحسب أسوأ الاحتمالات .

والكلام عن القضية الجزائرية صعب ومعقد ، وليس من السهولة أن يتحدث الانسان بصراحة ، وبلا تورية أن قضيتنا في الجزائر من الواجب الاكيد على العرب معرفتها جيدا . وأن يتعرفوا كافة نواحيها ويطلعوا على ما في زواياها من خبايا . يجب أن يفهم العرب عنها كل شيء في الداخل . يجب أن ننتقل مع الثورة خطوة ، خطوة . وأن نساهم جميعا في انجاحها . وليس هذا بجمع المال وتقديم الاسلحة فقط ، بل يجب أن نعرف كيف تصرف هذه الاموال العربية . وبيد من يمسك هذا السلاح . يجب أن نخاف من الساسة الماسكين بزمام القضية الجزائرية ، وخصوصا من اشتهر باتجاه معين ، ومن لهم ماض غير شريف .... أصحاب المراحل ، وانصاف الحلول ، والذين يقدسون الحدود ، والكيانات الهزيلة . وليس يخاف علينا أن القضية الجزائرية يتجاذبها تياران مختلفان : عربي تحرري وحدوي ، وغربي استعماري . وهذا التيار الاخير يتربص بالقضية ، ويعمل على الامساك بزمامها ، والتصرف في مقدراتها . يجب أن لا نترك الفرصة لهؤلاء النفر . ومقود القضية الجزائرية في الحقيقة يجب أن يكون في اليد التي مارست المأساة ، وعاشتها ، تفكيرا وعملا . يجب أن تكون الكلمة للثورة فقط . للذي تمرس بالكفاح التحريري ، واشتهر بالصلابة في حق الوطن . وكل تفريط ، أو تسامح أو تساهل في الثورة العربية في الجزائر . هو خيانة للعرب جميعا . ان قضية الجزائر هي قضية العرب . فليفهم هذا العرب . وفي ختام هذه الكلمة أشد على يد أخي يحيى أبو عزيز بحرارة ، وبقوة ، مهنئا ، وشاكرا ، ومستزيدا ، وحاثا له على السير في الدرب الذي سار فيه ، وقطع فيه أشواطا غير قليلة . والى اللقاء في عمل أتقن ، وأكمل ، وأوسع وأشمل ....

القاهرة : محمد العيساوي الجمني

كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة

غــداً نلتقي ..

تأليف منور فوال

نقد عدنان ابن ذريل

غداً نلتقي .. مجموعة قصصية للاديبة الآنسة منور فوال ، وتضم أربع عشرة قصة قصيرة ، استوحتها المؤلفة من واقع الحياة ، صورت فيها جوانب اجتماعية ، وحللت شخصيات مختلفة ..

وقد نعتت المؤلفة مجموعتها بأنها قصص عاطفية ، وذكرت أنها تبث فيها خواطرها في المجتمع ، والحياة ، وأنها حرصت فيها على الواقع ، والنقل عن المجتمع ..

تنقل المؤلفة عن الواقع ، وتصور المجتمع ، وتقص عن طبقات مختلفة غنية أو فقيرة .. وتحلل مواقف مختلفة ومعظمها في الاهواء ، بعضها مُشكل ، والبعض الآخر بسيط ، مثل الاعجاب ، والحب ، الفشل في الحب ، نكد الزوجية ، الحب من طرف واحد ، كوارث الحياة ، خيبة الامل ... وهكذا دواليك ..

وقد أولت المؤلفة تحليل الشخصيات في عناية فائقة في كثير من القصص ، كما أنها أولت اهتمامها للحادث ، والموقف ، والخبر .. الا ان الغالب على هذه القصص تكامل التحليل ، والسرد ، من هنا هي واقعية ، عاطفية ، أي هي تحلل مواقف مختلفة لاهواء ، ومشاعر ..

الحادثة في هذه القصص متكاملة مع التحليل ، وهي تقوم به ، أو تساعد عليه .. وسرد المؤلفة لها بارع ، والتحليل دقيق ..

غدا نلتقي تروي قصة فتاة محافظة ، هي فنانة ، رسامة ، يعلق بها صديق فنان ، رسام ، ويطلب يدها ، وتتأرجح في الرد عليه ، وقبوله .. وبعد مغامرات غزلية بريئة مع بعض الشباب ، تتعلق به ، وتحرص عليه ، وتتساءل أتذهب اليه ..

الجهد في التحليل واضح حقاً ، ناهيك أن العمل القصصي موفق يسانده السرد ، والوصف ..

قلق مستديم تروي قصة موظفة ، يتردد عليها أصدقاؤها ، وصديقاتها ، فتستقبلهم ببشر ، وترحاب ، يتبين أنها عاقر ، وأن زوجها يتبرم منها لذلك •• وانها بدأت تعزف عنه ، وتفكر في غيره ••

الجهد في التحليل أيضا واضح ، والسرد مثل الوصف بديع ••

الظل الاحمق تروي قصة موظفة عانس ، تتوسط لشاب في عمل ، فيقع في حبها ، ويطلب يدها ، فتعرض عنه ، ولا تأبه بطلبه •• ثم تزف الى عريس ثري ، في حين يسدر الشاب في عزلته يعقر الخمر ، ويرتاد المقاهي ••

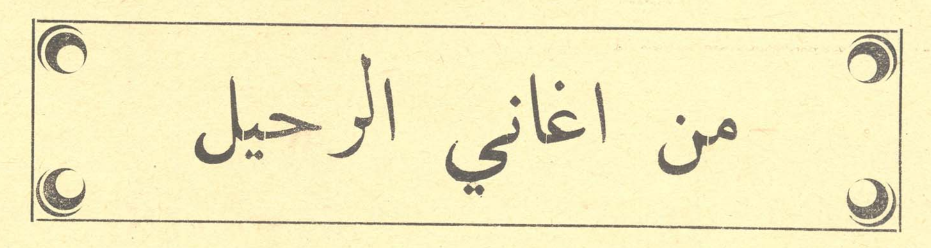
التحليل موفق ، والسرد بديع ••

ومعظم هذه القصص قوية ، جميلة وثمت قصص منها على هذا المستوى من القوة ، والجمال ، واخرى أقل قوة ، وجمالا منها ، واخرى ثالثة ايضا فيها غرابة ، وعنف ••

ففي أصابع الاثم الطلاق الذي انتهت اليه حادثة زواج قام على الاثم وهو موضوع مطروق ، وقد عالجته المؤلفة بفن ، وبراعة ، وفي اللحظة الاخيرة ندم فتاة على حبها من متزوج واقلاعها عنه ، موضوع مطروق أيضا ، بذلت المؤلفة فيه جهدا للسرد ، والتحليل •• وفي أمل وراء السراب حب زميلة لزميل لها في الكلية ، أو تفاهمهما على الزواج موضوع مطروق أيضا ، الا أن الغرابة فيه أنه ينتهي بكارثة مفجعة ، اذ تصاب البطلة بعمى ، وتفترق عن زميلها •• وفي بنت الاصل ، زواج ثري من فقيرة موضوع مطروق ولكن العنف فيه موت الزوجة أثر عملية ولادة ••• فضلا عن ضعف في تركيب القصص ••

هذه ملاحظات أسجلها على هذه القصص القصيرة للاديبة الآنسة منور فوال ، والمجموعة ثالث مجموعة لها في مضمار القصة القصيرة ، وقد حققت فيها خطوة جريئة في طريق التقدم ، والازدهار ، واسلوب القصص موفق ، بديع ، يلائم منتقيات التعبير ، والعمل القصصي منها ، وان كان يظهر في بعض الاحيان فساد قوي في التركيب ، نأمل أن تتداركه المؤلفة في طبعة مقبلة ، وتتدارك بعض الهنات النحوية ، واللغوية ، أو الاغلاط المطبعية •• متمنين لها اطراد النجاح ، والله الموفق •••

دمشق ـ عدنان ابن ذريل



من اغاني الرحيل

بقلم : سليمان عواد

الشاعر اسماعيل عامود أضاف حديثاً ثمرة اولى من بستان عاطفته وفكره الى متذوقي الشعر في بلادنا الطيبة ، فكان بذلك العطاء ، بستانياً تعبق في أنفاسه روائح الزهر ، وعطر الثمر الناضج •

ان النفس الانسانية تهب الى الآخرين ، بمقدار ما تكون معاناتها للحياة قوية ، خصبة ، وبمقدار ما تكون تجربتها ، من العمق ، بحيث تصبح التجربة ، تعبيراً أصيلاً ، حيا ، لكل ما يمر بالنفس من اخضرار أو جمود ••• من فرح الهي ، أو حزن ، في أحشائه ، تكمن انفاس الجحيم ••

وما الشعر الا التعبير ، عن هذه التجارب ، عن هذه الحالات ، التي يعانيها الانسان ••

أما التعبير الركيك ، والكلمات الكسيحة ، فانها كثيرا ما تكون صورة ناطقة عن الضحالة في التجربة ، عن الهزال في الشعور ، بحيث تصبح التجربة ، والتعبير عنها ، لوحة مشوهة ، تعطيك فكرة عن تفاهة صاحب هذه التجربة • وسخف تعبيره وضحالته •••

••• وشاعرنا اسماعيل ، يبشر ، بانسان ، خصب ، أصيل ، قد فتح نوافذ قلبه وبصيرته الى العالم الداخلي ، عالمه هو ، بمقدار ما تطلع الى العالم الخارجي ، عالمنا نحن ، عالم شعبه ، ووطنه •••

علي دمر في ديوانه الجديد

وأخيرا ظهرت « المجهولة » .

والمجهولة ملحمة شعرية غرامية للشاعر علي دمر تقع في ٨٨ صفحة طبعت في مطبعة الاصلاح بحماة مهداة الى شاعر الموسيقا العربية الاستاذ محمد عبد الوهاب .

وعلي دمر هو صاحب « رعشات » الذي قدم لها منذ ثلاثة عشر عاما شاعر العاصي الكبير الاستاذ بدر الدين الحامد بقوله : يا علي .... أنت هزار على فنن مورق في حديقة وارفة الظلال فغرد ولك من الجمال والجلال والمجد والعظمة والبسمة والرفعة ألحانا تملأ جو الحياة شعرا وفنا .

وهو شاعر وجداني غنائي ، يغني آلام نفسه ، وينشد أفراحها ... كما وأنه يندمج في مجتمعه ويعزف على قيثارته ، متغنيا بالبطولات والامجاد ، ولكني أرى أن شعره الذاتي أصفى ، وأقوى من شعره الاجتماعي والوطني ، ولا أدري ما هو السبب ... واسماعيل نفسه لا يدري ؟!!...

... وفي اعتقادي أن الشعر الذاتي ، الذي يترجم احداث النفس أكثر خلودا من شعر المناسبات ، وأكثر صدقا ، واخلاصا ... وفي هذه النزعة الذاتية نلاحظ أن الشعر الذاتي ، في جميع أنحاء العالم يكاد يكون قريبا ... من حيث التعبير عن الذات البشرية وما تقاسيه من شدائد وأتراح ، وما يمر في سمائها من طيور الافراح والسعادة ... مع فارق الموهبة والعبقرية .. طبعا !! ..

... وبينما نرى اسماعيل يحلق في اجواء بعيدة حلوة ، اذ بنا نراه ينخفض نحو الواقع ، الواقع المر الاليم .. ويا ليته بقي محلقا ، اذن لافادنا أكثر ، وزرع في أخيلتنا نجوم الاحلام البعيدة .

ولكن يكفي أن نقول : انه شاعر ... وما الشاعر الا صنو المجانين الموهوبين ، أو الموهوبين المجانين !! ..

وعلي دمر هو صاحب « حنين الليالي » الذي كتب عنه منذ خمسة اعوام الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي استاذ الادب العربي في كلية اللغة العربية بالقاهرة في كتاب « قصص التاريخ » يقول : ان دمر ابن سوريا العزيزة وسيصبح باذن الله بعد قليل فتى سوريا المغرد وشاعرها المجيد .

فالشاعر اذن غني عن التعريف ولا يحتاج الى من يقدمه الى جمهرة الادباء والشعراء ، وقصائده أبلغ دال، وأعظم مترجم ، ويا طالما سمعناه يتحدث الينا من اذاعات دمشق والقاهرة وصوت العرب والسعودية ويشنف آذاننا بالجيد من القول والرائع من الشعر ، واذا كان لا بد من كلمة نقولها بمناسبة صدور « المجهولة » فليست سوى دراسة سريعة تعرف الناس بمواطن الابداع والجمال في شعره .

لقد قرأنا للشاعر من قبل « رعشات » وقرأنا له « حنين الليالي » كما قرأنا له « عواصف على هضاب فلسطين » فكان في كل ما قرأنا له شاعرا عربيا أصيلا يأنف الضيم ويأبى المهانة ويثور على كل ما هو حقير ووضيع ، فلم يرض لامته أن تذل لعدو أو تستخذي أمام ظالم ، وساءه أن يرى الامة العربية الواحدة وقد أصبحت أمما متفرقة ، والوطن العربي الواحد وقد أصبح أوطانا مختلفة ، فدعا الى الوحدة ونبذ الفرقة ، وندد بدعاة الحزبية البغيضة والعصبية المقيتة وهاجم الاستعمار والعملاء ونادى بالحرية والسلام .

والشاعر في ملحمته ينشد الراحة ويخلد الى السكينة طلبا للاستجمام وشحذ الهمة وتجديد العزيمة وجمع القوى المشتتة بعد طول العراك وحربه المرير مع الشر في حلبة الصراع فيقدم ملحمته الى قراء العربية بقوله :

أنا في حربي المرير مع الشر
أغذي من اللهيب كفاحه

فاذا ما تعبت فيه عراكا

فلأجل النشاط هات استراحه

والملحمة مصوغة في اثني وعشرين نشيدا يختلف كل نشيد عن الآخر وزنا وقافية ، ويأتلف معه ورحا ومعنى، والملحمة كالرواية لها بطل أو بطلة ولها زمان ومكان ، أما بطلة الملحمة فهي « المجهولة » وأما زمان ومكان الملحمة فأغلب الظن أنها قيلت في أزمنة مختلفة وأمكنة متعددة ، بعضها قيل في سوريا منذ عشرة أعوام أو أكثر ، وبعضها قيل في مصر منذ أقل من خمسة أعوام أو أكثر ، وبعضها قيل في الحجاز منذ عهد قريب ، ولكن هذا لا يمنعنا من القول أن الملحمة بلغت من الروعة حدا يدعو الى الاعجاب.

وللمجهولة سر وسرها خفي قد يعرفه الشاعر وقد لا يعرفه ، ولكن الذي يمكن أن نقوله أن الشاعر نفسه لم يكشف الستار عن هذه « المجهولة » وماهيتها ، فهل هي في دنيا الواقع أم في دنيا الخيال ؟؟ ولنسم هذه المجهولة (س) فهل نستطيع أن نجعل المجهول معلوما ، واذا كان الامر كذلك فالملحمة أصبحت تمرينا جبريا يسهل حله ، ولكن (س) الجبرية غير (س) الشعرية فلنسم هذه المجهولة عروسة الشعر أو فتاة الاحلام ولنمض مع الشاعر حيث يقول :

من تكونين يا شقيقة روحي

يا نعيمي ويا حنين فؤادي

من تكونين ؟ هل على الارض دنيا

من فتون الملائك العباد ؟

أم على الارض من بني الارض سخف

وتفان في حمأة الاحقاد

ولنتساءل هل هي ملك هاطر من ملائك الله يسبح ويسجد ؟ أم بنت من بنات الارض المجبولة من حمأة السخف والحقد ؟ واذا كانت من بنات الطين ، فهل هي مثل النساء اللائي خلقن للمتعة والزينة والعبث بالقلوب والجيوب ؟ أم أنها سماوية المشاعر ملونة الابعاد علوية من معدن الفن والسمو وفيض من الرحمة وجلال الاعتداد انها كما يقول صاحبها :

أنت مثلي لا شك روح وفن

لست كالغير حفنة من جماد

واذا كانت المجهولة « روحا وفنا » فهل اهتدينا اليها وعرفنا أوصافها ؟ انها ما زالت مجهولة الحسب والنسب، مجهولة المكان والاقامة ولنقرأ مع الشاعر في نشيده الثامن عشر :

يا شعلة من جمال	في كهف نفسي أضاءت
من أي غيب أتيت	من أي أفق طلعت
من أي خمر مزجت	من أي نور جبلت
با نظرة أي معنى	وأي دنيا طويت

وكيف تحيا في القصر أم في الكوخ؟ قد تكون المجهولة من بنات النعيم المقيم واللذة الدافئة ، وقد تكون من بنات الفقر المريع تحمل أكوام الحصاد تحت الهجير، أو تكون زوجة لانسان مبلد الاحساس قاتم التفكير ، أو ربما تكون من بنات المعاهد تنفح الحفل من عبير الجمال الآسر والسحر الحلال .. من يدري ؟!

ويمضي الشاعر في ملحمته ولكنه يخشى دعاة الادب الموجه ويحاول أن يبرر انصرافه الى الغزل وشعر الغرام فيدعو الناس الى الحب ورفع أسباب الكراهية والخصام ويرى أنها سبب في شقاء البشرية وعذاب الانسانية واثارة الحروب وسفك الدماء فيقول :

الكراهات كم أثارت حروباً

طاحنات خوالداً في الدهور

انما الكون لو خلا الحب منه

كان قلب الانسان بعض الصخور

ولكنه لن يسمع في حبه نصحا لناصح أو كلاما لمشير وما أروعه حين يقول :

سوف أبني الحياة حباً على حب

وأنشيء من الحنين قصوري

وللشاعر في ملحمته رأي في المرأة أخالفه فيه ، ومن يطلع على الملحمة قد يجدني مصيبا ، ويتعرض الى قضية اجتماعية خطيرة تحتاج الى دراسة طويلة وتفكير عميق ورأي سديد يقول الشاعر :

ما على المرء ان أراد فتاة

غير اهداء حلية أو حرير

سلعة تشتري الفتاة بمهر

آفة الشرق بيعها بالمهور

ويمضي الشاعر في ملحمته مفتشا عن مجهولته في الليل اذا أظلم والنهار اذا استنار ، والمجهولة ضائعة في متاهات الغيب وغائبة في رحم الزمان ، حتى اذا أعجزه ولج السرى وطول الغدو والرواح نام وطيفها يداعب أجفانه الحالمة وهو ينشد :

ما أجمل الليل وأهنأ نومه
لما يوافي بالخيال المرتجى

ولكن المجهولة تفتعل الصد وتصطنع الجفاء وتظاهر الشاعر بالحرمان فينتفض من نومه مذعورا ، وقد آلمه اللقاء اللاذع دون أن يأتي ذنبا أو يجترح اثما ... ويا له من لقاء .. صامت .. طرف يلتقي بطرف ، ومحب يحاول الشكوى ، وحبيب معرض ، وينتهي الشاعر الى القول بأن حظه في دنيا الخيال كحظه في دنيا اليقظة سواء بسواء واقرأوا معي قوله في نشيده التاسع :

يا طيبها من صدفة ما ذقتها
منذ سنين يقظاً أو في الكرى

الطرف بالطرف التقى من دونما
لفظ وحتى في الكرى ألقى الجفا

حاولت شكوى أو عتابا لم أجد
الا صدودا محرقا مني الحشا

جلست مذعورا فألفيت الدجى
في حلكة اللون كحظي في الورى

وتمر سنون عجاف واخرى سمان والشاعر ما برح ينشد ضالته يستنطق الديار ويسأل الليل والنهار ويخاطب الاشجار والاطيار وكلما لمح طيفا أو صادف شبحا حسبه شخص فتاته ، ولكنه كان يعود في كل مرة الى ضلاله واهما ما هو يردد :

فيا ضيعة الآمال في كل مشرق
ويا خيبة الاحلام في كل مغرب

ويحدثنا الشاعر عن فتيات عرفهن في طريق حياته وكان يتوقع أن تكون احداهن عروسة شعره أو فتاة أحلامه فاقرأوا معي له النشيد الثاني والرابع والسادس والثامن عشر ، ولكن تجاربه ومحاولاته باءت بالفشل ، والمجهولة ما زالت سراً في ظلمة الحياة .

ويرفع الشاعر رأسه الى السماء وهو يجأر بالشكوى ويضج بالالم ويقول :

فيا رباه لا تجعل فؤادي
محبا ان ذي أدهى الرزايا

أأحرق في الهوى وحبيب نفسي
خفي ما درى يوما هوايا

اذا ما طال في هذا شقائي
فأرجو أن تحطمني المنايا

ويخرج الشاعر من ملحمته وهو يناجي المجهولة :

أحبيبتي أخشى حياتي تنقضي
وأنا بدربي دون أي وصول

والشاعر في ملحمته بارع كل البراعة ، اختار لها الافكار البديعة والصيغ الجميلة والالفاظ المهذبة والبحور المناسبة ، وكان موفقا في العرض وحسن الترتيب ، مبتكرا الى حد ما في وصف خلجات نفسه وخطرات أوهامه ، صادقا في ابراز شعوره وأحاسيسه ، وترى في أناشيده صورا جديدة وتشابيه لطيفة واستعارات ملائمة تدعو الى القول بأن الشاعر على دمر قد خرج من فن الصنعة الى روعة الابداع ومن بداوة التقليد الى حضارة التجديد ولم يعد ذلك الهزار الضعيف الصغير المتنقل من فن الى فنن بل أصبح نسراً قوي الجناحين يحلق في الاجواء العالية وله من الجمال والجلال والمجد والعظمة والبسمة والدمعة ألحان تملأ جو الحياة شعرا وفنا .

عدنان قيطاز

حول نقد كتاب «المفسدون في الارض»

بقلم : يوسف أحمد المحمود

* * *

تفضل الزميل محمد التونجي بنشر تعليق على مجموعة قصصي « المفسدون في الارض » في مجلة الثقافة الغراء عدد تموز ١٩٥٩ ، وفي الحال التي أقدر فيها هذه البادرة ــ أن يكتب الادباء عن نتاج بعضهم بعض ، فانه لا يسعني السكوت على بعض الآراء المرتجلة في هذا التعليق .

يتناول الزميل في تعليقه عدد صفحات المجموعة ونوع الورق ... ثم يركز على نقمتي على البشرية وفشلي في الحب والدراسة ، ويأخذ عليَّ كتابتي السوداء ... ويذكر ثلاث قصص فقط ، وبعد أن يتعرض لايماني بالله ، يورد أخطاء نحوية ... ويختم ذلك بحاجتي لمطالعة الكتب القديمة .

والذي لاحظته أن الزميل التونجي لا يزال يحتفظ بكلمات النقد التي كان يقولها في الندوة الادبية التي أنشأها في الجامعة ذات سنة ، ومنها : « ناقم على البشرية » .. « فاشل » ... « متشائم » فاذا كانت هذه مأخذا فليس الكاتب الواقعي هو المسؤول عنها ، لانني في كتابتي أؤدي وظيفة اجتماعية ، واعطي طابعاً مجتمعياً بهذه الصورة الصادقة ... فأنا في كتابتي لا اخلق الحوادث ولا الاشخاص ، وانما آخذ من الحوادث ما تقع عيني عليه ، وآخذ من الاشخاص ما أعرفه وما تقدم لي معرفة كاملة عنه ، وكل ما أخلقه ، انما هو التعبير الفني الذي يعطي الصورة الحية الكاملة للحوادث والاشخاص فالتشاؤم ليس في طبعي ، وانما هو في طبيعة الحوادث التي أكتبها ، والنقمة على البشرية ليست من أعماقي واحساسي أنا ، وانما هي من أعماق واحساس الاشخاص الذين عاشوا تلك الحوادث . فهل يريد الزميل أن أجعل خاتمة قصة « البيت الذي لا يجدد » بأن صاحبه قد عاد من المهجر بالمال الوفير ، وأن النور قد عاد الى احدى عيني زوجته ، وأن ابنه الوحيد الذي مات ، قد بعث من القبر ، وأن البيت قد جدد ؟ وهل يريدني في قصة « اميل » أن أقول بأن عروق اميل واشلاءه التي تطايرت في حادثة الانفجار في حمص ، قد عادت اليه ... ووقف بنفسه يستقبلنا لما جئنا لزيارة أهله ؟

من الممكن أن يقال مثل هذا ، اذا كان الكاتب هو الذي يختلق الحوادث ويختلق الاشخاص ، مجردة من المكان والزمان وعن المنطق ايضا ، أما الكاتب الذي لا يخلق الا التعبير لبيت لا يزال موجودا في ناحية من الضيعة التي أعيش فيها ، فلا يؤخذ عليه التفاؤل ولا التشاؤم ولا يحاسب على نقمته على البشرية ، وانما يؤخذ ذلك على طبيعة الحوادث وعلى الاشخاص الذين عاشوا تلك الحوادث ... واذا بدر لاحد أن يسأل : لماذا نكتب مثل هذه الحوادث ، ولا نكتب الحوادث المفرحة ؟ فيمكن أن نجيبه بأن قصة « أعجوبة الدنيا الثامنة » صورت جانبا من فرحة الشعب العربي بالوحدة بين مصر وسوريا ... ووظيفة الادب الاجتماعية ، تعطي للكاتب الحق في أن يكتب أي حادثة واقعية دون أن يسأل لماذا يفضل الحزن على السرور ...

اننا نستطيع أن نقول عن توفيق الحكيم في « رحلة الى الغد » بأنه متفائل أو متشائم ، لانه يكتب حادثة مجردة عن المكان والزمان الفعلي ... وهي حادثة محتملة ، قد تقع ، وقد لا تقع في أي غد . أما بالنسبة لي فاني أفضل أن يقال لي متشائم وألف متشائم ، وأنا أكتب حادثة واقعية كتابة سوداء ، على أن ادعى متفائلا وأنا أخلق حادثة لا تنطبق على حياة أي شخص في الارض ، ولا يمكن أن تنطبق على حياة ملاك أو حورية في السماء . بل أنني لا أتردد مطلقا بأن أعتبر الكتابة غير الواقعية ، كذبا وتعمدا ، وجناية على المجتمع ، لانها تجعل فيه ما ليس منه ... وهذا النوع من الكتابة ، اما أن حياة الامم تمر دون أن تحتاج اليها ، دون أن تنتفع بها ،

ودون أن يستعان بها في يوم من الايام على معرفة شيء صحيح عن حياة الامة التي كتبت فيها ، واما انه يتأثر بها بعض الناشئة أو المرضى ، فتجعلهم يؤمنون أو يفكرون بشيء لا وجود له على الارض ، ونجعلهم ينحرفون ، فتمرض الصحيح ، وتزيد في مرض المريض . والكاتب الصحيح هو الذي يأخذ مشاكل مجتمعه ، أيا كانت هذه المشاكل ، فيعالجها معالجة صحيحة صادقة، كل الصدق ، وليس هو الكاتب الذي يعجز عن تصوير الواقع تصويراً فنياً فيترك المشاكل التي يعانيها مجتمعه ويطير في السماء أو في الغد كالمشعوذ والدجال ، ويتصيد المواضيع المجردة فيصوغها بالكذب ، ويقدمها في قالب دسم ، لا خيرة له الا أنه يدعو للتخلص من المسؤولية ، وينزح بالانسان عن الواقع كما ينزح به الافيون والحشيش . ورأى أن يحارب المجتمع الكاتب غير الواقعي ، كما تحارب الحكومة تجار الحشيش والافيون .

وما يقوله الناقد عن فشلي في الحب ، فهل هذا مما يؤخذ علي ؟ ان الفلسفة الرداقية ، فيما أظن ، تدعو أن لا يحزن الشخص على شيء يفوته تحقيقه ، لان الاشياء الخارجة عن نطاق الشخص ، انما هي بيد أشخاص آخرين أو بيد سلطة خارجة عنه لا حيلة له فيها ، ولا يعد مسؤولا في فشله في عدم تحصيل ما يسعى اليه ..

وفشلي في الدراسة لا يمكن أن ينعت حتى الآن بالفشل ، لاني لا أزال مواظبا على الدراسة ، ولا أزال مصمما على مواصلتها حتى ولو كنت في الصف الاول ، وحتى لو قطع الزميل التونجي الدكتوراه .. والذي أرجو أن يعلمه الزميل أني في الصف الثالث ، وعود بعين الحسود ، وليس في الثاني كما ذكر ...

وقصة فشلي في الدراسة معروفة ... فأنا : أولا لم تلدني أمي في المدرسة ، كما يمكن أن يكون قد ولد هو وكثير غيره بل أنني نشأت راعيا .. وعاملا ومهملا .. وجئت الى الدراسة في صف الشهادة المتوسطة وأنا لا أعرف الجمع ولا الطرح .. ولا أعرف حرفا واحدا في اللغة الاجنبية .. وكانت دراسة خاصة .. ومع ذلك فقد نجحت في ذلك العام . ولما وصلت الى الجامعة ، رسبت في الثقافة العامة ، لاني أخذت تحت الخمس عشرة درجة في اللغة الانجليزية ... ثم انتسبت الى فرع اللغة الانجليزية ... واستطعت أن أحوز اعجاب الاستاذ كنج ... وهو استاذ الالتونجي أيضا في حلب .. ونلت في المواد التي كان يدرسها فوق الستين علامة ... والذي حال بيني وبين النجاح في هذا الفرع هو الاستاذ موسى الخوري الذي لا يجهله طالب في كلية الآداب .. وذلك لاسباب شخصية بيني وبين هذا الاستاذ الذي تشبث بتنفيذ سلطته ، وتشبثت أنا ثلاث سنوات بالصف الاول اختصاص ... والمسؤول عن فشلي هذا ليس أنا وانما هي نظم الجامعة التي أعطت سلطة ديكتاتورية لبعض الاساتذة .

وبالرغم من هذا فأنا لا أعد نفسي فاشلا ، لاني أستطيع الآن أن أقرأ أي كتاب في الانجليزية ، كما أقرأ أي كتاب في العربية ... والزميل نفسه يقدر حاجة الاديب للغة أجنبية ... ويقدر هذه التضحية التي قدمها شخص لا كافل وراءه .

أما أن يعزو الزميل انماء القصة في روحي الى هذه العوامل ، فأنا أؤكد له بأني كنت أفكر بكتابة رواية عنوانها « زهرة الحياة » وأنا أسوق بقرتي الى الحقول .. وقبل أن اتقن القراءة والكتابة ... كما أنني قد كتبت رواية قبل أن أعرف الحب وبنت الحلال ... وأن بنت الحلال هذه التي فشلت في حبها أحبتني بعد الاطلاع على شعري وعلى بعض القصص التي كنت أكتبها آنذاك ...

ويقول الزميل بأني في قصة « العرس البعيد » أخلط العامية بالفصحى « حين الحوار » ، وارجو أن يرجع الزميل الى الحوار في هذه القصة ، فاذا كان عاميا فما هي الفصحى ، يا استاذ محمد ؟ ان كل ما ورد فيها باللغة العامية مقطعات من اغنيتين ... وأنا ارى من البداهة أن تؤخذ الاغنية بلفظها ، أيا كان ذلك اللفظ .
وما يقوله من أني : « امام المواقف الغرامية الملتهبة مادي جامد التصوير .. يصف كأنه دون احساس أو باحساس جائع نهم ... » فان الزميل لم يثبت على نفي الاحساس، بل استدرك بأن وصفي اما كله يكون باحساس جائع نهم ، واما بعضه يكون كذلك. وحبذا لو استشهد الناقد

بمقطع واحد على الحالات التي اصف فيها بدون احساس .

ويأخذ علي الزميل المفاجأة في قصة « المفسدون في الارض » ويجعل اولها .. « عودة ابيه من المهجر دون أن يكون لنا سابق علم بذلك » . ولكن سامح الله الزميل ، فهل نسي ما قالته الام للشحاد قبل ذلك : « ادع لنا بعودة الغائب سالما .. » وقولها ايضا .. « احقا أنك لا تشعر بحالنا ؟ لا لا أريدك أن تشعر .. كن بحالك ... أنت في بلاد غريبة .. » وهذا القول قبل المفاجأة بسبعة أسطر فقط ..؟

ونأتي الى شيء جديد .. فان الزميل محمد يترك نقد القصص الى نقدي أنا بالذات ، فيقول : « كنت اعرف (يوسف احمد) أنه لا يؤمن بالله ويهزأ بصحبه اذا قال احدهم (ان شاء الله) أو « الله الموفق في الفحوص » .

فأولا أطلب الى الزميل ان يسحب قوله هذا .. فأنا ، قبل كل شيء لا ادخل شخصا بيني وبين ايماني بالله ، لاني اعتبرت ان الايمان بالله بالدرجة الاولى قضية شخصية لا دخل للآخرين فيها .. والآخرون غير مسؤولين عن ايمان أي شخص ، فالله سبحانه يقول : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي .. » ، واذا كان الاستاذ التونجي لا يجد برهانا على ذلك الا ان ارفض ان يقول صحبي : « ان شاء الله » و « الله الموفق في الفحوص » فلمثل هذا الرفض اسباب ... منها : ان كثيرين من الاشخاص اذا اخذ منهم ميعاد .. أو طلب منهم حاجة .. قالوا « ان شاء الله » ثم لا يفون بالوعد وما يوافون بالحاجة ... ولا يعترفون بهذا التقصير أو بهذا الاستخفاف بالآخرين ، وانما يقولون : « يا اخي لم يقدر الله ... لم يشأ الله .. » في الحال التي لا يكون لديهم سبب مانع ، فهم يلقون المسؤولية على الله ، مع ان الله سبحانه لا يسكن أن يمنع الانسان أن يكون صادقا . لذلك كنت ولا ازال اقول لأي شخص يقول « ان شاء الله » في مثل هذه الحالات : « ارجوك .. لا تجعل هذا القول وسيلة للتملص ... بل قل اما « نعم » واما « لا » ... » وهو كما رأى ان الكثيرين لا يتحملون مسؤولية قولهم ... بل يلقون مسؤولية وعودهم ... مسؤولية الاخفاق فيها على الله سبحانه وتعالى ... فهل مثل هذا يؤخذ دلالة على عدم الايمان بالله ؟ ومن هو المؤمن الصحيح ... هل هو الشخص الذين يستعين بالله ويكذب ويلقي مسؤولية الكذب على الله ، أم هو الشخص الذي ينزه الله عن الكذب عليه ؟

وفي الحالة الثانية ... فأنا لا اعتقد ان الله يستحل ان يضيع جهد طالب ويمنعه من النجاح لان الطالب لا يقول « الله الموفق في الفحوص ... » فالله لا تخفى عليه خافية ... ولا يفوته أن يدرك حقيقة الايمان الذي يشتد في ايام الفحوص ، ثم يضعف .. بل يزول نهائيا بزوالها .. وأنا شخصيا لا أستغل ايماناً بالله مطلقا .. بل أفعل ما علي ... واترك لله ان يفعل ما يشاء ... ان كان الزميل يقصد هذا الايمان النفعي القائي ، كالذين يحملون مصاحف صغيرة حين دخولهم قاعة الامتحان ، ويطرحونها ويطرحون تعاليمها ، بعد الفحوص ، فأنا حقا لا أؤمن مثل هذا الايمان .. وأرجو أن لا ينسى الزميل بأني قد حفظت القرآن الكريم كله غيبا .. وظللت أردده طول ست سنوات ... ولم انس ما نسيت منه عن ضعف ايمان ، وانما عن ضيق الوقت لترديده ليظل محفوظا ..

وقوله .. « واظن ان انكاره هذا راجع الى حياته السوداء وعدم توفقه في فحصه وفي بنت الحلال ... » فهذا أضعف تعليل .. لان بعض الظن اثم ... وهذان السببان يؤديان الى فقد الايمان بالنفس ، فكيف فقد الايمان بالله . وما هي « الاشياء التي تجعل حياتي سوداء ؟ عدم التوفيق في الفحص ؟ ان كثيرين غيري قد يئسوا من النجاح وتركوا الدراسة ، أما انا فلا ازال صامدا . أم عدم الفوز ببنت الحلال ؟ ان كثيرين ايضا تنقلب حياتهم بل ينتحرون اذا ما فشلوا في حبهم ، أما انا فان معظم الاعمال الناجحة ، قد قمت بها بعد ذهاب بنت الحلال ... ونجاحي بالشهادة المتوسطة ، كان في نفس السنة التي سافرت فيها بنت الحلال ، الى افريقيا .. ونجاحي في الثقافة العامة كان في السنة التي تزوجت فيها . وارجو ان يتأكد الزميل التونجي بأن القصص السوداء التي اكتبها ليست كلها قصصي أنا بالذات ، بل هي قصص اشخاص آخرين .. وهذه حسنة لا سيئة ، فهي مشاركة صحيحة مني للآخرين بحياتهم ... واذا وجدت الحياة

السوداء التي تخلق قصصا سوداء ، فليس ذلك من صنعي أو صنع اصحابها ، وانما هي من صنع المجتمع يا استاذ محمد ، فهل ترى انت ان نرضى على مثل هذا المجتمع ؟ هل تعد الفنان صادقا وبارعا اذا نحت تمثالا للخيانة وجعله زاهيا مشرقا وفيه علائم الشرف ، أم تعد هذا الفنان مزورا وكاذبا ؟

أما ما يورده الاستاذ التونجي من الاخطاء النحوية، فهل يقتنع هو نفسه بأن يخطيء طالب في شهادة علوم اللغة العربية بنون الافعال الخمسة ، وان ينصب المثنى بالالف والنون ؟ ارجو ان يعد هذا ايضا من الاخطاء المطبعية مع اني لا انكر عدم انتباهي للصيغ النحوية والصرفية ، لاني اكتب بحس غريزي ... ولا اتذكر انني في كل ماكتبته ، قد اصلحت غلطة نحوية . وتعليل الجمل المفككة بقراءتي للترجمات الحرفية واشتغالي بالترجمة... فثق يا زميلي انني لم اعد أقرأ كتابا مترجما الى العربية ، بعد ان تمكنت من القراءة باللغة الانجليزية ... بل أفضل أن أقرأ الكتب المترجمة الى الانجليزية من اللغات الاخرى ، لان ثقتي بالمترجم العربي قد فقدت ، بعد ان اطلعت على بعض الاصول الانجليزية من اللغات الاخرى ، لان ثقتي بالمترجم العربي قد فقدت ، بعد أن اطلعت على بعض الاصول الانجليزية المترجمة الى العربية. وانا فيما اترجمه احرص كل الحرص ان لا ازيد ولا انقص كلمة أو فكرة في الاصل، واحرص ايضا ان اعطي كل ميزة للاسلوب الاجنبي وكل ميزة للتعبير من حيث الصياغة والفكرة ـ واعترف بأن تفكك بعض الجمل عندي يرجع الى الطريقة التي اكتب بها ... وهي اني لا امحو جملة ... حتى ولا كلمة عندما أكتب ... وهذه مسودات قصص ومبيضاتها تشهد بذلك . ولا اتذكر انني اكتب قصة الا مرتين: مرة على المسودة ومرة عندما اقدمها للنشر .. وانا لا اعتز بهذا وانما اعده ضعفا ... وفرصة اجعلها في يد النقاد...

والشيء الذي وقفت منه مدة طويلة موقف الحيرة ، هو كثرة التشبيهات في قصصي ، فبعض القراء أطروها وبعضهم دعا الى التقليل منها ، ولكنني اخيرا اعتبرتها طابعا من طابع قصصي .. واصررت على ايرادها مادامت تأتي عفوا وما دامت غير متكلفة ... ثم ما دامت وظيفة الكتابة اعطاء صورة حية كاملة عن الحوادث والاشخاص..

والذي يراه الزميل في النهاية اني محتاج الى المطالعة ... وأي كاتب في العالم يستغني عن المطالعة ، وأي اديب استوفى حاجته منها ... وانا على الاغلب أقرأ في كل يوم واكتب في كل يوم ... حتى في ايام الفحوص..

واخيرا فاني اشكر الزميل محمد التونجي ، وان لم يف بما وعد به في التمهيد بأنه سيتعرض .. « هنا دراسة موجزة عن عمل كتاب وكاتبه محاولا تبيان مواطن الجودة وزوايا التفكير لكل منهما .. » فالواقع انه لم يورد حسنة لي الا اعجابه بطريقتي التشاؤمية في قصصي .. وأنا لا أوصيه ان يقرأ الكتاب مرة ثانية ، كما كان قد اوصاني بقراءة كتابه مرة ثانية وثالثة عندما ابديت له بعض الملاحظات شفويا .. فالحكم بالاعدام اسهل علي من قراءة أي كتاب مزين حتى لو كان الكتاب الذي امتحن فيه والى أن نلتقي بالزميل التونجي مرة ثانية .. فأرجو أن يكون نقده موضوعيا لا اكثر .!

دريكيش : **يوسف أحمد المحمود**

من « جمعية الادباء العرب »



* « وحل في جبين الشمس » عنوان المجموعة القصصية التي ستصدر للقاص اللبناني سمير تنير عن دار الآداب ببيروت دراسة الناقد السوري محيي الدين صبحي .

* تألفت في جمعية العهد الجديد لجنة لقراءة المسرحيات العالمية والموضوعة لمعرفة مدى صلاحيتها للمسرح حتى تقدمها الجمعية ضمن برامجها ، اللجنة مؤلفة من وليد مدفعي رئيسا ، انطون حمصي نائبا للرئيس ، محمد علي عبده وايلي خوري اعضاء .

* « ابنائي جميعا » للكاتب الاميركي آرثر ميلر ، ستقدم على مسرح سينما الحمراء .. الممثلون من الادباء والفنانين الاعضاء في جمعية مسرح العهد الجديد ..

* يكتب ياسين رفاعية رواية طويلة بعنوان « الشمس لا تشرق في سمائي » .

* اصدر وزير التربية والتعليم المركزي بناء على اقتراح المجلس الاعلى للجامعات قرارا يقضي بترفيع الدكتور محمد الفاضل استاذا ذا كرسي وتعيينه رئيسا لقسم القانون الجزائي واصول المحاكمات الجزائية في جامعة دمشق . والجدير بالذكر ان الدكتور الفاضل اول استاذ جامعي منحه مجلس الجامعات الاعلى هذه المرتبة العلمية في الاقليم السوري .

* اقامت جمعية العهد الجديد مهرجانا ادبيا فنيا كبيرا على مسرح المركز الثقافي العربي بمناسبة احياء ذكرى معركة بورسعيد ، قدمت فيه الاستاذ الشاعر خليل الخوري في قصيدة (قلعة الله) والاستاذ الاديب عبد الله الشيتي في قصة (خديجة ام الفقير) التي تحكي واقع كفاح المرأة العربية البطولي ثم قدمت مسرحية (عينان مسروقتان) كتبها الاستاذ انطون حمصي ووضع حوارها الاستاذ غسان جبري وقام ببطولتها الاستاذ القاص وليد المدفعي يشاركه الاستاذ الكوميدي محمد علي عبدو .. وقد أجاد وليد دوره اجادة دللت على قدرة وموهبة واصالة . ومسرحية هزلية للاستاذ محمود الصواف .

* صدر للاسواق كتاب (ايام معه) الذي احدث ضجة ادبية كبرى في المجتمع .. والكتاب يقع في ٤٠٠ صفحة وهو من تأليف الشاعرة الملهمة كوليت سهيل الخوري .

* القاص العربي عبد الله الشيتي انجز مسرحية (الحقد المقدس) التي سيشترك بها في مسابقة وزارة التربية كما اعد العدة لطبع مجموعته القصصية الجديدة (ان كيدهن لعظيم) !

* صدر للقاص فاضل السباعي مجموعته القصصية الجديدة (مواطن امام القضاء) .

* تألفت جمعية ادبية جديدة انتسب اليها اكثر الادباء الشباب في جمعية الادباء العرب .. الجمعية الجديدة تقوم على مبدأ (المساواة) بين جميع اعضائها دون تمييز بين صغير أو « كبير » !

* وليد مدفعي ، عبد الله الشيتي ، ياسين رفاعية ، سيحيون امسية ادبية « قصصية » في المركز الثقافي العربي قريبا ..

* سعيد الجزائري ، الاديب الكبير ، بدأ يتأهب لاصدار كتابه المنتظر (ناس في طريقي) اصبح اسمه (ناس وايام) .. وسيكون له اعمق صدى في الحركة الادبية !